الرجل
في
المعقل
العالي
رواية
نقلها إلى العربية جوليس
فيليب ك. ديك
قرطاس
للأدب

الرجل
في
المعقل العالي

فيليب ك. ديك

ترجمة: عوليس

ترجمات قرطاس الأدب

مقدمة

بقلم: إريك براون.

عدَّ القرّاء المتكرّسون والكتّاب والنقّاد جزءا كبيرا من حياة فيليب ك. ديك الأدبية بأنها عبقرية غير معروفة، فهو صاحب خيال قدمت رواياته الجنونية لحقائق مجزأة مستقبلا -كما روايات الخيال العلمي الجيدة- أكثر وصفا للحاضر من وصف ما هو قادم.

كان فيليب سارد حكايات تحذيرية، ومتشائما -لكنَّه مشتائم ذو معتقد راسخ بالإنسانوية الفردانية- وكانت أعماله تمضي عكس تيار روايات الخيال العلمي الأمريكية المتفائلة في وقته. حظي بالتقدير في أوروبا لكنه رُفِضَ على نطاق واسع في بلده الأم حيث كانت أغلب نسخ كتبه الأصلية تُطبع بغلاف ورقي؛ ذات مردود مالي ضئيل. أشاد كاتب الخيال العلمي الإنجليزي جون بورتر في عام 1966 بفيليب بأنه "كاتب الخيال العلمي ذو التألق الأكثر استمرارية في العالم"، ووصفه المؤلف البولندي ستاينسلاو ليم بأنه "ذو الخيال بين المشعوذين".

أنتج فيليب ديك في مسيرته التي امتدت ثلاثين سنة: خمسًا وثلاثين رواية خيال علمي وأكثر من مئة قصة قصيرة. من بين إنتاجه الغزير لروايات الخيال العلمي، فقد كتب اثنتي عشرة رواية ذات معايير رائجة، باع منها رواية واحدة فقط خلال حياته. كتب فيليب في الخيال العلمي في مرحلة كان هذا النوع الأدبي ينمو ببطء لكن بتحولٍ عميق. وكانت روايات الخيال العلمي في أمريكا خلال مرحلة الخمسينات تتخلص من اللب الوضيع الأولي الذي بزغ منه هذا النوع في حين كان الوضع مختلفا في أوروبا التي كان يفتخر فيها سليلو الخيال العلمي بأسلافهم أمثال ويلز، وهكسلي، وستابليدون، وفيرني. مُلئت المجلات الأمريكية وقتها بكتابات الفضاء الرديئة التي تتميز بالعلماء المجانين والوحوش الفضائية المُخرِّبة، وقصص التقنية المستقبلية الخرقاء. كانت مجلات مثل Super-science Fiction، و Thrilling Stories، تدفعُ سنتا للكلمة إلى كتّاب رديئين يكتبون أعمال خيال علمي مبتذلة ورائجة (في عام 1953 كان هناك أكثر من ثلاثين مجلة تنشر هذه الأعمال شهريا). وكان هناك في المقابل خامة من الكتّاب الموهوبين ذوي معتقد غير متحرر من الخيال المتخصص في حقل الخيال العلمي. شهدت خمسينات وستينات القرن العشرين بروز مؤلفين سيعلمون

على زيادة الأدب الراقي، وتقدير الأعمال ذات العمق النفساني، والنهوض بالوعي الاجتماعي لهذا النوع الروائي. وكان ديك واحدا من بين أفضل هؤلاء الكتّاب إلا أن الاعتراف به جاء بشقِّ الأنفس وبعد طول انتظار.

ولِدَ فيليب كندريد ديك في شيكاغو عام 1928، وكان مستقلا وعصاميا ومفكرا مناهضا للمؤسساتية، بشهية للمعرفة وقابلية مخيفة في استيعاب المعلومات. امتلك خلفية شاملة عن الفلسفة، وعلم النفس، والدين. درس يونغ قبل أن يشتهر إلى جانب دراسته لمفكري حركة التنوير الألمانية، والغنوصية، والأديان الشرقية، وامتلك أيضا معرفة شاملة وحبا للخيال العلمي. اشترك فيليب ديك في كتابة روايات رائجة، وروايات الخيال العلمي في أربعينات وخمسينات القرن العشرين داخل بيئة مدينة بيركلي بيت -قصد جامعة كاليفورنيا في بيركلي لدراسة الفلسفة لكنه تركها قبل التخرج-. غالبا ما عانى ديك من سخرية أقاربه لأجل مسعاه القادم في الكتابة. نشر قصة الخيال العلمي الأولى في عام 1952، وكتب ثماني روايات خيال علمي، وقرابة اثنتي عشرة رواية ذات معايير رائجة في عقد الخمسينات. كان يطبع بسرعة 120 كلمة بالدقيقة وادّعى أنه ينسج الحبكة أثناء الكتابة.

فشل ديك في إيجاد ناشرين لرواياته البارزة، وأحزنت هذه الظروف الكاتب الشاب الذي كان يتوق للاعتراف به من بين أقرانه المفكرين. بيعت أولى قصصه القصيرة إلى مجلات متنوعة مختصة، ونُشرت رواياته في الخيال العلمي من قبل Ace Double مع روايتين قصيرتين في مجلد واحد ذي غلاف ورقي، الأمر الذي أفسد علاقته مع كلا الطرفين- الدار والمجلات. امتازت كتبه المنشورة بأنها ذات غلاف مثير من الجهتين، وكانت ذات سمات متعارف عليها مثل السفن الفضائية، والفضائيين، وأبطال ذوي سترات فضائية.

استخدم فيليب في بواكير أعماله الروائية التي قُبِل طبعها: أفكار خيال علمي شائعة ومكررة- عالم الفضائيين، والاستبصار، والأسلحة الشعاعية- لكنه وظفها في عالمه الخاص، فقد كانت الكثير من روايات الخيال العلمي تستقرئ العلوم الصعبة، استخدم ديك الخيال العلمي ليستعرض هاجسه بالما ورائيات، وطبيعة الحقيقة المنظورة، والخير والشر، وإساءة استخدام القوة. كان فيليب مهووسا بفكرة إنَّ الكون حقيقيٌ ظاهريا فقط، ووهمي في الوراء حيث تكمن الحقيقة. ويرى أبطال رواياته والقرّاء في عمل تلو آخر بأن الحقيقة بصفتها المنظورة

محض خدعة، مسرحية ظلالية تُصوّرها قوى شريرة، واستعرضت أعمالٌ لاحقة مثل Martian Time-slip، وUbik، وValis، هذه الموضوعة بشمولية.

من المفاهيم الأخرى لفيليب في أعماله كان السؤال مماذا يتشكل الوجود البشري الحقيقي بصفته معارضا للمزيف- السؤال الذي غاص فيه في رواية Do Androids Dream of Electric Sheep؟ وفي أعمال أخرى أيضا.

حين كان يستثمر في هذه المواضيع الرئيسة فقد ملأ رواياته بشخصيات يعرفها تمام المعرفة استخلصها من حياته الحقيقية، مؤلفة سواء من أناس يعرفهم أو نظائر شخصيته. كتب عن أفكاره الكبرى في رواياته، لكن لم يغب عن ذهنه حقيقة بأن الخيال العلمي يدور حول تأثير الأحداث في الأفراد. واحدة من بين العديد من نقاط القوة في أعماله كان التعاطف مع شخصيات أناس عاديين يمرون بظروف استثنائية.

فيليب من بين الروائيين القلة ولا سيما في ميدان الخيال العلمي الذي رسموا بسهولة الأحداث معتمدين في هذا على حيواتهم الخاصة. وعكس فنه إلى حد كبير حياته التي كانت زاخرة بالأحداث والمشاكل والفوضى.

انتقل ديك مع أمه من شيكاغو إلى كاليفورنيا حين كان بسن الرابعة وعاش هناك حتى نهاية حياته ما عدا ثلاث سنوات قضاها في العاصمة واشنطن دي سي ابتداءً من سن السادسة.

كانت علاقات العائلية صعبة، فقد اعتقد ديك أنَّ أمه رفضت أخته التوأم، فتاة اسمها جاين التي ماتت بعد خمسة أسابيع من ولادتها. كان متأثرا بعمق لغياب أخته التوأم ولامَ أمه على وفاتها. هجر والده العائلة عندما كان ديك بسن الرابعة، الأمر الذي كان عنصرا رئيسا آخر في تحديد نفسيته المضطربة والمعقدة. عانى ديك خلال حياته من نوبات قلق، وفي مراحل من عدم قدرته أن يكون اجتماعيا، وعانى من رهاب الأماكن المكشوفة، وكان يأكل بصعوبة في الأماكن العامة. اعتمد في الستينات بعد فشل زواجه الثالث على الأمفيتامينات والعقاقير الموصوفة. كان شكوكيا (يتصور أحيانا بأنه من مراقب من FBI، وCIA) وأُقعد بسبب نوبات متكررة من حالات اليأس الموهنة التي بلغت أوجها في أكثر من مناسبة بمحاولاته سلبَ حياته.

وبعد فشل زواجه الخامس، وخضوعه لجلسات علاج نفسي فقد استمر ديك في كتابة بعض من أهم أعماله الأصيلة في الخيال العلمي في الستينات والسبعينات.

*

بعد سنتين قضاها في كتابة ثلاث روايات ذات معايير رائجة (فشل في بيعها جميعا)، رجع ديك إلى كتابة روايات الخيال العلمي في عام 1961 بعمل عدّه النقّاد أجود رواية له: الرجل في المعقل العالي.

الرواية ذات الطابع الأقل سمة من بين روايات الخيال العلمي التي كتبها قبلَ وبعدَ، وأقل سوريالية، الرواية التي وظَّفت الصوت الواقعي لرواياته اللاحقة وغير المنشورة ذات المعايير الرائجة. تجري أحداث رواية "الرجل في المعقل العالي" في أمريكا المعاصرة (عام 1962) ولم تحوِ أي من زخارفه في روايات الخيال العلمي، إذ لا سيارات طائرة، ولا مراكب صاروخية، ولا محادثة عبر أجهزة اتصال محمولة ولا الاتصال العقلي. وتعد هذه الرواية راقية ومقياسية مقابلة مع أعماله الأولى في الخيال العلمي. وكانت الرواية الأولى التي تُقبل من الناشر الأدبي Putnam's، واستلم عنها جائزة هوغو لأفضل رواية خيال علمي عام 1963.

تصف رواية الرجل في المعقل العالي أناس قليلي الشأن يعيشون حيوات صغيرة بشرف وقلق، وتدرس الصراع الفكري للشمولية والفلسفة الشرقية- وربما هي أجود أعمال فيليب، وواحدة من أفضل كتب الخيال العلمي المنشورة على الإطلاق.

**

تُوفي فيليب ك. ديك في آذار عام 1982، بسن الثالثة والخمسين. في ذات السنة التي رأى فيها عرض فيلم Blade Runner المقتبس من روايته Do Androids Dream of Electric Sheep؟ الفيلم الذي حفّز الاهتمام بأعماله عبر العالم، وقاد إلى إعادة نشر رواياته في الخيال العلمي، وأعماله الأخرى. فبعد أن كان مبخوس التقدير في حياته؛ نالت أعمال فيليب ك. ديك في نهاية المطاف الاهتمام الأكاديمي والشعبي الذي تستحقه.

***

كلمة المترجم

كثيرا ما راودتني فكرة ماذا لو انتصرت ألمانيا النازية على الحلفاء، وكيف سيكون شكل العالم، وما الذي سيفعله مجنون دموي مثل هتلر، وبقيت صورة هذا العالم مضببة وغير واضحة المعالم حتى قرأت رواية "الرجل في المعقل العالي" لأقرر بعدها ترجمتها نظرا لاعتبارات عديدة من بينها ما يخص الرواية والروائي، من أهمية الرواية كونها واحدة من أفضل أعمال الروائي الأمريكي فيليب ديك إن لم تكن أفضلها، ولكون هذا الكاتب واحد من أفضل روائي الخيال العلمي الأمريكيين الذين لم تعرفهم المكتبة العربية ولم يُترجم أي عملٍ له إلى العربية، الأمر الذي شكّل حافزا لترجمة هذه الرواية، وإضافة كاتب ورواية جديدة إلى المكتبة العربية، وفتح الباب على مصراعيه لروايات فيليب ديك وترجمتها إلى العربية مستقبلا، أما الاعتبارات الأخرى فهي شخصية؛ لحبي روايات الديستوبيا، مدن الفوضى والدمار، حيث لا توجد قوانين عادلة، أو قيم أخلاقية، أو تعامل إنساني، فكثيرا ما جذبني هذا العالم الغرائبي، وآمل أن تنال هذه الرواية المكانة التي تستحقها بين روايات الديستوبيا والخيال العلمي.

لم تكن مهمة ترجمة هذه الرواية باليسيرة ولا سيما مع كاتب مثل فيليب مهتم بالفلسفة والأديان الشرقية، ومؤمن بوحدة الوجود، وشكوكي غارق في أفكار ما ورائية باحثة عن حقيقة العالم والوجود البشري، سبقته مشاكل عائلية واضطرابات نفسية كان لها الدور الكبير في تشكيل عالم أعماله المختلفة وبث أفكاره وهواجسه ما بين طيّات رواياته وقصصه. تتناول رواية الرجل في المعقل العالي موضوع التاريخ المبدّل ثيمة رئيسة للعمل تتوزع فيها الأحداث والشخصيات بأفكار ورؤى متعارضة أحيانا ومتشابهة في أخرى تمثّل في بعض فصولها الصراع الفكري بين العقلية النازية المدمرة والعقلية الإنسانوية الطامحة إلى شكل حياتي واجتماعي أفضل، والصراع ما بين الشرق الياباني والغرب الأمريكي. اعتمدت معظم شخصيات الرواية في اتخاذ قراراتها على كتاب I ching كتاب التغييرات الصيني الذي يمتد لأكثر من خمسة آلاف عام، الذي تُرجم إلى العربية، وعملتُ على إضافة الهوامش والشروحات التي تمنح القارئ

الفهم الكامل لكيفية استشارة كتاب التغييرات. استند فيليب إلى الشخصيات النازية الحقيقية لتدعيم عمله الروائي سواء من خلال اشتراكها في بناء الحدث أو من خلال ذكرها في الحوارات والسرد، لذا كان لزاما وضع تعاريف في الهامش عن الشخصيات الواردة. ولا يفهم من هذا أن الرواية بحاجة إلى قراءة سابقة في كتاب التغييرات أو التاريخ النازي أو تاريخ الحرب العالمية الثانية وإن كان هذا مهما لأجل إدراك مقاصد الروائي كاملة إلا أنَّ القارئ في العموم سيجد كل ما يحتاجه ليفهم أحداث الرواية، ويبقى الأمر منوطا به في حال رغبته بالقراءة أولا عن كتاب التغييرات الصيني والتاريخ النازي والحرب العالمية الثانية.

يقدم فيليب ديك في رواية الرجل في المعقل العالي وجبة فكرية وتاريخية دسمة في قالب روائي استعرض فيه الحياة في العالم النازي الديستوبي، وفاتحا الأبواب أمام التاريخ البديل لكثير الأحداث التاريخية، وكما أجاب عندما سئل عن سبب وجود الخيال العلمي بقوله*: يوجد خيال علمي لأن العقل البشري يتوق إلى التحفيز الحسي والفكري قبل أي شيء آخر، والفكرة المُختلقة تتيح له تحفيزًا غير محدود، الفكرة المختلقة والعالم المبتكر.

فإنه يخلق عالما مبتكرا يسحب القارئ إلى داخله حابسا إياه بين عوالم حقيقة وبديلة وحقائق ملموسة ومتخيلة، ويحفّزه عبر تقديمه قراءة مختلفة عن الماضي والعالم الآني، فكل شيء قد لا يكون كما يبدو للعيان، وهذا ما يوحيه إلينا سواء في رواية الرجل في المعقل العالي أو الجندب يستلقي ثقيلا.

* حوار مع الكاتب: ترجمة بلقيس الكثيري.

الرجل في المعقل العالي

إلى زوجتي آن التي من دون صمتها ما كان لهذا الكتاب أن يُكتب.

شكر وتقدير

النسخة التي استخدمتها واقتبست منها في الرواية من كتاب آي تشينغ كتاب التغييرات هي نسخة The Richard Wilhelm ترجمها إلى الإنجليزية كاري ف. باينز*، ونشرتها Pantheon Books.
قصيدة الهايكو الواردة في الفصل الثالث ليوسا بوسون ترجمها إلى الإنجليزية هارولد ج. هيندرسون من الأعمال المختارة للأدب الياباني، الجزء الأول.
قصيدة الواكو الواردة في الفصل التاسع لـ تشييو، ترجمها إلى الإنجليزية دايسيتز ت. سوزوكي من كتاب الزن والثقافة اليابانية.
استعنت كثيرا بكتاب صعود وسقوط الرايخ الثالث (تاريخ ألمانيا النازية) لـ وليام ل. شيرر، سيكير و واربورغ (1960)؛ وكتاب هتلر، دراسة في الاستبداد لـ آلن بولوك (1952)؛ ويوميات غوبلز 1942-1943، تحرير وترجمة لويس ب. لوكنير (1948)؛ وكتاب موتى التبت، وضع وتحرير إيفانز وينتز (1960)؛ وكتاب ثعالب الصحراء لـ باول كاريل ماكدونلاد.
وأدين بالشكر شخصيا للكاتب الغربي البارز ويل كوك لمساعدته لي في التعامل مع موضوعي التحف التاريخية وحقبة توسع الولايات المتحدة الأمريكية.**

* ترجم بشار عبد الله هذه النسخة إلى العربية بعنوان كتاب التغيرات.
** تمتد هذه الحقبة من بواكير القرن السابع عشر إلى عام 1959.

1

كان روبرت تشيلدان يراقبُ البريد بقلقٍ مدة أسبوع، لكن الشحنة الثمينة لم تصل من ولايات الروكي ماونتين. وفي اللحظة التي فتح فيها متجره صباح الجمعة رأى رسائلَ فقط على الأرض بجانب صندوق البريد، وفكّر، سأغضب الزبون.
سكب لنفسه كوب شاي معدٍ من جهاز إعداد الشاي الجداري بطول خمس سنتمترات وأخذ المكنسة وبدأ بالكنس، ليكمل بعد برهة تنظيف واجهة متجر التحف اليدوية الفنية الأمريكية. استعدادا ليومه كان كل شيء نظيفا ومرتبا بجانب درج مليء بالعملات النقدية، ومزهرية القطيفة النضرة، وموسيقى المذياع تملأ المكان.
حثَّ رجال الأعمال الخطى فوق الرصيف خارج المتجر باتجاه مكاتبهم على طول شارع مونتغميري. بعيدا، مرتْ عربة قطار* وقف تشيلدان ليشاهدها بسرور، وشاهد أيضا نساء بأثواب حريرية ملونة طويلة. رنَّ الهاتف بعدها، فذهب ليجيب.
’نعم‘ أجابه صوت مألوف. اضطرب قلب تشيلدان. ’معك السيد تاغومي. ألم يصل مُلْصق تجنيد الحرب الأهلية بعد، سيدي؟ أرجوك تذكر، وعدتني بوصوله في أي لحظة الأسبوع الماضي‘. كان الصوت مهتاجا وحادا، وبالكاد يحتفظ بتهذيبه ويضبط اتزانه. ’ألم أعطك عربونا، سيدي، سيد تشيلدان، كما اشترطت؟ تعلم أنه هدية. وضحتُ هذا. لعميل‘.
’أكملتُ استعلامات كثيرة‘ بدأ تشيلدان ’وعلى نفقتي الخاصة، سيد تاغومي، سيدي، وفيما يتعلق بالطرد المتفق عليه، فأنت تدرك الإجراءات خارج هذه المنطقة لذا-‘.
قاطعه تاغومي ’إذن لم تصل بعد‘.
’نعم، لم تصل، سيد تاغومي‘.
صمت جليدي.
’لا يمكنني الانتظار أكثر‘ ردَّ تاغومي.

---

* وسيلة نقل داخل المدن.

’لا، سيدي‘. حدّق تشيلدان بتجهم عبر نافذة المتجر إلى النهار الدافئ المشرق وبنايات مكاتب سان فرانسيسكو.
’إذن ماذا توصي بديلا لذلك، سيد تشيلدان؟‘ تعمّد تاغومي أن يُخطئ في لفظ الاسم، إهانة* بأسلوب جعل آذان تشيلدان تحمرُّ اتقادا. توتر الجو، وفاقمت الإهانة الفظيعة موقفهما.
ثارت رغبات ومخاوف وعذابات روبرت تشيلدان وانكشفت غامرةً إياه وعاقدةً لسانه. تلعثمَ، والتصقت كفه الدبقة بالهاتف. وملأت رائحة القطيفة هواء المتجر، والموسيقى ما زالت تُبث، لكنه شعر كما لو أنه يهوي في أعماق بحر ما.
’حسنا...‘ قال محاولا احتواء الموقف ’جهاز صنع زبدة. صانع مثلجات يعود لسنة 1900‘. رفض عقله التفكير. ستنساها؛ عندما تخدع نفسك فحسب. كان في الثامنة والثلاثين، وبإمكانه تذكر أيام ما قبل الحرب، تلك الأوقات. فرانكلين د. روزفيلت والمعرض العالمي؛ كان الماضي عالما أفضل. ’هل بإمكاني أن أجلب قطع مرغوبة منوعة إلى مكان عملك؟‘ قال.
حُدد موعد في الساعة الثانية ظهرا. عليه أن يغلق المحل، أدرك هذا حين وضع سماعة الهاتف. لا خيار، يجب أن تُرضي هؤلاء الزبائن، العمل يعتمد عليهم.

أدرك وجسده يرتعش دخول شخص ما -زوجان- إلى المتجر. شاب وفتاة، جميلان كلاهما، وأنيقان. مثاليان. هدّأ نفسه وتحرك بمهنية وبساطة باتجاهِهما، مبتسما. كانا منحنيين ليتفحّصا منضدة العرض وحملا مرمدة سجائر جميلة. خمّن أنهما متزوجان. يعيشان في مدينة وايندنغ ميستز، حيث الشقق الخاصة الجديدة المطلة على بيلمونت.
’مرحبًا‘ قال، وشعر بتحسنٍ. ابتسما إليه بدون أي استعلاء، لطفٌ محض. أثارت معروضاته -التي كانت بالفعل الأفضل من نوعها في منطقة الساحل- دهشتهما قليلا، رأى ذلك وكان مبتهجا. لقد فهما.
’قطع ممتازة بالفعل، سيدي‘ قال الشاب.
أوما تشيلدان بعفوية.

---

*Childan: تعمد تاغومي أن يلفظ اسمه بشكل خاطئ "تشايلد"، بفصل لفظ Child -تعني طفل- عن آخر حرفين.

كانت أعينهما لامعتين ليس بسبب الرابط الإنساني فحسب بل وبالذوق المشترك في تمتعهما بهذه التحف الفنية التي يبيعها، بقي ذوقهما المشترك ورضاهما منصبين عليه، وكانا يشكرانه لجلبه أشياء مثل هذه لرؤيتها، ويلتقطانها ليفحصانها، ويلمسانها ربما حتى من دون نية شرائها. نعم، فكّر، يعلمان في أي نوع من المتاجر هما الآن، ليس متجر سيّاح تافه وليس من متاجر اللوحات التذكارية ذات الخشب الأحمر يقرآن عليها موير وودز، ومقاطعة كونتري، و و.م.أ*، أو اللافتات المضحكة وخواتم الفتيات أو الطوابع البريدية ذات مناظر الجسور. كانت عينا الفتاة بالذات، واسعتين، وسوداوين. فكّر تشيلدان ما أسهل أنْ أقعَ بغرام فتاة مثلها.

ما أشدَّ مأساة حياتي، كما لو أنها لم تكن سيئة بما فيه الكفاية سلفا. الشَعر الطويل الأنيق، والأظافر المطلية، والآذان المثقوبة والمزّينة بأقراط نحاسية طويلة يدوية الصنع.

’قرطاكِ‘ قال ’اشتريتهما من هنا؟ ربما‘.

’لا‘ أجابت ’من الوطن‘.

أومـا تشيلدان. لا يعرض هنا شيء من الفن الأمريكي المعاصر، هنا يمكن عرض أشياء من الماضي فقط، في متجره هذا. ’أتمكثان هنا لمدة طويلة؟‘ سألَ. ’في مدينتنا سان فرانسيسكو؟‘.

’أنا مستقر هنا إلى أجل غير مسمى‘ أجاب الشاب ’مع لجنة تحقيق العيش النموذجي للمناطق سيئة التخطيط‘. علا زهوٌ وجهه. ليس من الجيش، ولا من أولئك الجهلة المجندين ماضغي اللبان وأصحاب الوجوه الفلاحية الجشعة، والمتجولين في شوارع الأسواق محدقين إلى العروض الخلاعية، وأفلام الجنس، ومعارض القنص، والملاهي الرخيصة ذات صور شقراوات متوسطات السنِّ يمسكن بشبق حلمات أثدائهن بأصابع متغضنة... وتملأ موسيقى جاز الهونكي-تونك الأحياء البائسة التي كوّنت العالم السفلي لسان فرانسيسكو، وأكواخ الخشب والقصدير التي قامت من الخرائب حتى قبل أن تسقط القنبلة الأخيرة. لا- هذا

---

*ولايات المحيط الهادئ الأمريكية .Pacific States of America) (A.S.P.

الرجل من علية القوم. مثقف ومتعلم، أكثر حتى من السيد تاغومي، على الرغم من أن السيد تاغومي صاحب أعلى منصب رسمي في البعثة التجارية لساحل المحيط الهادئ. كان تاغومي رجلا مسنا وتبيّنت مواقفه أيام مجلس وزراء الحرب.

’هل ترغب بهدايا تعبِّر عن تراث الأصالة الأمريكية؟‘ سأل تشيلدان ’أو لتزين شقتك الجديدة بها في أيام إقامتك هنا؟‘ لو يكون الاقتراح... خفق قلبه.

’تخمين صائب‘ قالت الفتاة ’لقد بدأنا التزيين. بقي القليل لم نقرره. هل تعتقد أن بإمكانك أن تفيدنا؟‘.

’نعم، بإمكاني أن أرتب زيارة لشقتكما‘ قال تشيلدان. ’سأجلب معي بعض حقائب اليد، بإمكاني أن أقترح محتواها في الوقت الملائم لكما. هذه بالطبع مزيتنا‘.

خفض عينيه في محاولة إخفاء رجائه. قد تعادل هذه الصفقة آلاف الدولارات.

’لدي منضدة إنجليزية جديدة من خشب القيقب محاطة بالخشب من كل الجهات من دون مسامير، ذات أبَّهة وفخامة. ومرآة من أيام حرب عام 1812. وأشياء من الفن الأصيل: مجموعة من السجّاد مصنوع من شعر ماعز مطلي بصبغة نباتية‘.

’أنا‘ قال الشاب ’أفضّل الطراز الحضري‘.

’أجل‘ قال تشيلدان بحماس. ’استمع، سيدي. لدي جدارية من مكتب إدارة تطوير العمال

لحقبة الثلاثينات، أصلية ومصنوعة من الخشب، مكونة من أربعة أقسام، وتصوّر هوريس غريلي*، قطعة جامعٍ تحفٍ لا تقدر بثمن‘.

’أها‘ قال الشاب، وعيناه السوداوان تومضان.

’وآلة فيكترولا الموسيقية لسنة 1920 صُنعت لتكون خزانة خمور‘.

’أجل’.

’فضلا عن، أنصت، سيدي: صورة مؤطرة وموقعة لجين هارلو‘.

حملق الشاب فيه.

’هل نجري ترتيبات؟‘ قال تشيلدان، منتهزا هذه اللحظة النفسية المناسبة. أخرج

---

*Horace Greeley.

من جيبه معطفه الداخلي قلمه ودفتر ملاحظاته. 'سآخذ الاسم والعنوان، سيدي وسيدتي'. غادر الزوجان بعدها المتجر، وقف تشيلدان، ويديه خلف ظهره، يتأمل الشارع. ابتهاج. إذا كانت كل أيام العمل هكذا... لكن الأمر يتعلق بنجاح متجره أكثر من العمل. لقد كانت فرصة للقاء اجتماعي بزوجين يابانيين شابين، على أساس قبول الآخر كونه إنسانا أكثر من النظر إليه بصفته يانك* أو بأفضل حال تاجر. يبيع قطع فنية. نعم، هؤلاء الشباب الجدد، أبناء الجيل الناشئ، الذين. لا يتذكرون أيام ما قبل الحرب أو حتى الحرب نفسها- إنهم أمل العالم. فوارق المكان لم تترك فيهم أثرا ملحوظا.

سوف تنتهي، فكّر تشيلدان. يوما ما. الفكرة الحقة للمكان ليست في المحكوم والحاكم بل في الشعب.

وارتعش لوهلة بخوف، متخيلا نفسه يطرق بابهما. فحص ملاحظاته. آل كاسورا. سيسمحان لي بالدخول، وبلا شك سيقدمان الشاي. هل سيدير الأمور كما يجب؟ أن يعرف كيف يتصرف ويتكلم في كل لحظة؟ أو سيسيء لنفسه، مثل حيوان، بزلة مزرية؟

اسم الفتاة بيتي. يا للذكاء البادي على وجهها، فكَّرَ، ذات العينين الودودتين الرقيقتين. لقد لمحت آماله ومخاوفه بالتأكيد في الوقت القصير الذي كانت فيه داخل المتجر.

آماله- شعر فجأة بالدوار. ما هذه التطلعات المعتوهة المتهورة إن لم تكن انتحارية تلك التي فكّر فيها؟ من المعروف أن العلاقات بين اليابانيين واليانكيين، بالرغم من أنها في عمومها كانت بين رجل ياباني وامرأة يانكية. هذا... ارتجف من الفكرة. ثم إنها متزوجة. استطرد بفكره بعيدا عن هذه الأفكار اللا إرادية الفارغة وانشغل بفتح بريد الصباح.

لاحظ أن يداه ما زالتا ترتعشان. وتذكر بعدها موعد الساعة الثانية مع السيد تاغومي؛ في تلك اللحظة توقفت يداه عن الارتجاف واستعاد رباطة جأشه. عليَّ أن آتي بشيء مقبول، قال لنفسه. أين؟ كيف؟ ماذا؟ مكالمة هاتفية. موارد. قدرة تجارية. سيارة فورد موديل 1929 خردة معاد ترميمها بمقاعد مغلفة بقماش ممتاز (أسود). إنجاز عظيم للمحافظة

---

* Yank أمريكي بالعامية.

على حظوة الزبون إلى الأبد. صندوق معدني أصلي لطائرة ترايموتور عُثر عليه في مخزن حبوب في ألاباما، إلخ. تحنيط رأس السيد ب. بيل، بما فيه شعره الأبيض المنسدل، تحفة أمريكية رائعة. تجعل سمعتي في القمة عند أهل الخبرة وعلية القوم عبر المحيط الهادئ، ولا أستثني مناطق الأرخبيل الياباني. ليُلهِم نفسه، أشعل لنفسه سيجارة مارجوانا من نوع لاند-أُو-سمايلز الفاخر.

***

داخل غرفته في شارع هايز كان فرانك فرينك يتساءل وهو مستلقٍ فوق فراشه- كيف ينهض. سطع وهج الشمس المار عبر الستارة على كومة الملابس الملقاة فوق الأرضية، ونظّارته أيضا. هل يدوس عليها؟ جرِّب أن تذهب إلى الحمام عبر ممر آخر، فكّرَ، زحفًا أو تدحرجا. آلمه رأسه لكنه لم يستأ. لا تنظر إلى الخلف أبدا، قرَّر. الوقت؟ الساعة فوق المنضدة. الحادية عشر ونصف! يا للكارثة. لكنه بقي مستلقيا.

لقد طُردت، تذكّر.

ارتكب أمس خطأً في المصنع. وأساء الحديث مع السيد ويندام-ماتسون، ذي الوجه صقيل والأنف السقراطي، وخاتم الألماس، وسَحَّاب بنطال ذهبي. بكلمات أُخر، نفوذ. عرش. بدت أفكار فرينك مشتتة.

نعم، فكّر، سيضعوني الآن في القائمة السوداء؛ مهارتي بلا فائدة- ليس لدي تجارة. ذهبت خبرة خمسة عشر عاما هباءً منثورا.

والآن يتوجب عليه المثول أمام لجنة تسوية العمال لمراجعة فهرس عمله. بما إنه لم يكن قادرا على الإطلاق فهم علاقة ويندام-ماتسون مع البينوكس -دمية الحكومة البيضاء في ساكرامنتو- لم يستطع سبر غور نفوذ مُوَّظِفِيه السابقين ومخاتلة السلطة الحقيقية، اليابانيين. كانت البينوكس تدير لجنة تسوية العمال.

يجب عليه أن يواجه أربعة أو خمسة وجوه ممتلئة ومتوسطة العمر، بناءً على طلبٍ من ويندام-ماتسون. إنْ فشل في الحصول على تسوية هناك، قد يجد طريقه إلى واحدة من شركات الاستيراد-التصدير التجارية التي تعمل خارج طوكيو، وتقع مكاتبها في كاليفورنيا، وأوريغون، وواشنطن. وفي أجزاء من نيفادا الواقعة ضمن دول المحيط الهادئ الأمريكية. لكنه إذا فشل في إنجاح دفاعه هناك...

جالت الخطط في ذهنه وهو مستلقٍ في فراشه محدقا بالمصباح القديم المثبّت في السقف. بإمكانه أن يتسلل إلى ولايات الروكي ماونتن، لكنها رُبطت بصورة كبيرة بـ و.م.أ، وقد يقومون بتسليمه. ماذا عن الجنوب؟ ارتدَّ جسده. أوه مقرف. ليس هذا. كونه رجلا أبيضَ

سيحصل على وظائف كثيرة، في الحقيقة أكثر من الوظائف التي حصل عليها هنا في إلى و.م.أ لكنه... لم يرد ذاك النوع من الأماكن. والأسوأ، فإن الجنوب يمتلك شبكة من العلاقات الاقتصادية والأيديولوجية مع الرايخ، والرب يعلم ماذا بعد.

كان فرانك فرينك يهوديا. اسمه الحقيقي فرانك فينك. ولد في الساحل الشرقي، نيويورك. في عام 1941، ضُمَّ إلى جيش الولايات المتحدة الأمريكية، بعد انهيار روسيا مباشرة. أُرسل إلى الساحل الغربي بعد أن أخذ اليابانيون هاواي. عندما انتهت الحرب، كان هناك، في الجانب الياباني وفقا للخط الاستيطاني الفاصل. وما زال هنا اليوم، بعد خمس عشرة سنة.

جنَّ جنونه في يوم الاستسلام عام 1947 وكارها اليابانيين كما كان. وعد بالانتقام ودفن أسلحة الخدمة على عمق عشر أقدام تحت الأرض في القبو مغطاة جيدا ومزيّتة من أجل اليوم الذي سيجتمع هو ورفاقه. على أي حال، كان الزمن شافيا عظيما، الحقيقة التي لم يأخذها في حسبانه. عندما تخطر بباله هذه الفكرة اليوم، حمام الدم الكبير، وتطهير البينوكس وأسيادهم، يشعر كما لو أنه يراجع واحدا من الألبومات الحولية الملطخة منذ أيام دراسته في الثانوية قادما على حساب تطلعاته أيام الصبا. فرانك "غولدفيش" فينك الذي كان يتطلع ليكون عالِمَ حفريات ونذر أن يتزوج نورما بروت. كانت نورما بروت فتاة الفصل الجميلة وقد نذر أن يتزوجها حقا. مضى على ذلك مدة طويلة مثل استماعه إلى فريد ألين أو مشاهدة فلم و. ك. فيلدز. ومنذ عام 1947 كان قد رأى أو تحدث ربما مع ستمئة ألف ياباني، وشعر بعد الأشهر الأولى القلائل بتلاشي رغبته بإيذاء أي أحدٍ منهم. ولم يولِ الأمر اهتماما بعد. لكن انتظر. كان هناك أحدهم، سيد أومورو، الذي امتلك نسبة كبيرة من الممتلكات المستأجرة في وسط مدينة سان فرانسيسكو، وكان فرانك مستأجرا لديه مدة من الزمن. تلك التفاحة الفاسدة، فكّرَ. قِرشٌ لم يقم بأي أعمال ترميم، قسَّم الغرف إلى أُخر أصغر وأصغر، رافعا الإيجارات... قام أومورو بابتزاز الفقراء، لا سيما الذين بلا عمل والموشكون

على فقر مدقع من أصحاب الخدمة السابقين خلال أيام الكساد الاقتصادي في السنوات الأولى من الخمسينات.
على أي حال، فقد كانت هذه واحدة من مهام البعثات التجارية اليابانية التي قطعت رأس أومورو. ولم يسمع في الوقت الحاضر بانتهاك شنيع وفظيع مثل هذا، فيما عدا القانون المدني الياباني، الذي كان مفخرة لاستقامة من قبل المكاتب التعاونية اليابانية، لا سيما لأولئك الذين قدموا بعد انهيار مجلس الحرب. شعر فرينك بالطمأنينة بتذكّره الأمانة الصارمة والرواقية للبعثات التجارية. وحتى ويندام-ماتسون قد يُطاح به مثل بعوضة مزعجة، سواء أكان ويندام-ماتسون صاحب الشركة أم لا. في الأقل هذا ما يرجوه. أظنني أومن بهذا الازدهار المشترك لتحالف دول المحيط الهادئ، قال لنفسه، غريب. بالنظر إلى الأيام الخوالي... بدت كما لو أنها زيف جلي، ثم الحملات الدعائية التافهة. لكن الآن...
نهض من فراشه وشقَّ طريقه إلى الحمام بترنّح. بينما كان يغسل ويحلق، استمعَ إلى أخبار منتصف اليوم من المذياع.
’دعونا لا نهزأ بهذا الجهد‘ كان المذياع يذيع في اللحظة التي أغلق حنفية الماء الساخن.
لا، لن نفعلها، فكّر فرينك بمرارة. عرف أي جهد بالتحديد قصد المذياع. بلى، بعد كل هذا ثمة شيء ظريف، صورة بلا شاعرية، ألمان غاضبون يمشون فوق المريخ، فوق الرمل الأحمر حيث لم يخطُ بشر فوقه من قبل قط. وضع رغوة الصابون على فكه، بدأ فرينك بالترنم بمقطوعة هجائية:

Gott, Herr Kreisleiter. Ist dies vielleicht der Ort wo man das Konzentrationslager bilden kann? Das Wetter ist so schon. Heiss, aber doch schon…*

---

* يا إلهي يا سيد كرايس لايتر، هل هذا هو المكان، الذي يمكن للمرء بناء معسكر الاعتقال فيه؟ بالرغم من أن الطقس حار، لكنه بالطبع جميل جدا...

صدح المذياع: 'يجب على المشارك في ازدهار الحضارة أن يتوقف لبرهة ويتأمل فيما إذا كان سعينا من أجل تحقيق العدالة الرزنة للواجبات المشتركة والمسؤوليات يتوافق مع المردود المستحق...'. الرطانة النموذجية لهرم الحكم، انتبه فرينك. '... لم نُخطئ في معرفة حيز المستقبل حيثُ ستبذل جهود البشر، الشماليون، اليابانيون، الزنوج...' واستمر المذياع.

وحين كان يرتدي ثيابه، تأمل بسعادة مقطوعته التهكمية. الطقس لطيف، لطيف جدا. لكن لا يوجد هواءٌ لأتنَفسه...

على أي حال، كانت هذه حقيقة، لم تفعل دول المحيط الهادئ أي شيء تجاه استيطان الكواكب. كانت مشاركة ومنشغلة إلى حد ما في جنوب أمريكا. في حين كان الألمان منشغلين بنشاط كبير في تأسيس أنظمة روبوت هائلة عبر الفضاء، كان اليابانيون مستمرين بحرق الأدغال في مناطق البرازيل الداخلية، ومشيّدين عمارات سكنية ذات ثمانية طوابق طينية من أجل شركات التوظيف السابقة.

وفي الوقت الذي أطلق اليابانيون أول سفينة فضائية لهم كان الألمان قد أحكموا قبضتهم على النظام الشمسي. وبالعودة إلى أيام التاريخ القديم، فقد فاتت الفرصة على الألمان حين كانت بقية أوربا تضع اللمسات الأخيرة على إمبراطورياتها الاستعمارية. على أي حال، تبصّر فرينك، لن يكونوا في المؤخرة هذه المرة؛ لقد تعلموا.

وفكّر بعدها بإفريقيا، وممارسات النازية فيها. توقف الدم في عروقه، ثم سرى مترددا في الأخير.

ذاك الخراب المهول القاحل.

صدح المذياع: '... علينا أن ننظر بعين الافتخار إلى تأكيدنا على احتياجات الشعوب الجسدية الأساسية في كل مكان، تطلعاتهم الروحانية الثانوية التي يجب أن تكون...

أغلق فرينك المذياع. ثمَّ، بهدوء، أعاد تشغيله. ما أفظع الحياة، فكّر. إفريقيا. بحق أشباح موتى القبائل. أبادوهم لإنشاء أرض- ماذا؟ من يدري؟ ربما حتى الرأس المخطط في برلين لم يعلم. تبني مجموعة من الروبوتات، وتكدح بعيدا، تبني؟ التدمير.

يخرج الغيلان من معرض الحفريات في مهمتهم لإعداد كأسٍ من جمجمة عدو، إذ تخرج كل العائلة وتستخرج الحوايا -الأدمغة الطازجة- أولا بجد لتأكلها ثم الأوعية الصالحة من عظام سيقان الرجال. من الاقتصاد ألا تفكر بأكل أجساد الذين لا يعجبونك بل في أكل أدمغتهم خارج جماجمهم. التقنيون الأوائل! رجل ما قبل التاريخ ذو معطف أبيض شديد النظافة في واحد من مختبرات جامعة برلين، يجرب الاستخدامات الممكنة لجماجم أناس آخرين، وجلودهم، وآذانهم، وشحومهم. أجل، سيدي الطبيب. استخدام جديد لإبهام القدم؛ أترى، يمكن للمرء أن يعدّل المِفصل لصناعة ولاعة سجائر سريعة الاشتعال. الآن، لو كان بإمكان السيد كروب إنتاج واحدة بكميات...

أرعبت هذه الفكرة: أن يحكم العملاق آكل لحم البشر شبيه الإنسان العالم مرة أخرى. قضينا مليون سنة هربا منه، فكّر فرينك، والآن قد رجع. ولم يرجع عدوا... بل سيدا.

'... بإمكاننا أن نشجب' كان المذياع ينقل صوت الجبناء القُمَاء من طوكيو. رباه، فكّر فرينك؛ وندعوهم القردة، تلك الروبيانات المتمدنة ذوات السيقان المقوسة التي لن تنصبَ أفران الغاز مجددا لشيء أكثر من صهر أزواجها إلى أختام شمع. '... غالبا ما شجبنا في الماضي الإهمال الفظيع للبشرية أثناء سعيها المتعصب الذي طرد أوسع شريحة من الناس بشكل كلي خارج المجتمع القانوني'. أولئك، اليابانيون، كانوا ملتزمين جدا بالقانون. '... نقتبس قول قديس غربي معروف للجميع: "ما الذي سيجنيه امرؤ إذا امتلك العالم أجمع وفي المقابل خسر روحه؟"'* توقف المذياع، وتوقف فرينك أيضا محاولا شد ربطة عنقه.
كان هذا أيضا غسول الصباح.
عليَّ أن أتفق معهم هنا، أدرك هذا. سواء وضعوني في القائمة السوداء أم لا، سيكون بمثابة انتحار لي إذا غادرت منطقة حكم اليابانيين وظهرت في الجنوب أو أوربا- أي مكان في الرايخ. يجب أن أتوصل إلى اتفاق مع العجوز ويندام-ماتسون.

---

* القول مقتبس من الكتاب المقدس.

قعد على سريره، بجانبه كوب شاي فاتر، أخذ فرينك نسخته من كتاب التغييرات*. وأخرج من جيب أنبوبة جلدية بداخلها تسعة وأربعين من أعواد اليارو. تأمّلَ، حتى تبيّن أفكاره بوضوح وحضّر أسئلته.
قال بصوت عالٍ ’بأي وسيلة يجب أن أتقرب من ويندام-ماتسون للوصول إلى اتفاق لائق؟ كتب السؤال أسفل اللوحة، بدأ بعدها بنقل أعواد اليارو من يدٍ إلى أخرى حتى انتظم لديه الخط الأول، البداية. ثماني نقاط. أُقصيت نصف السداسيات الأربع والستين**. قسّم الأعواد*** وحصل على الخط الثاني. بعد بُرهة، وبناءً على خبرته ومهارته التامة، حصل على الخطوط الستة جميعا، والسداسية موضوعة قبالته، ولم يكن محتاجا أن يراجع الجدول لتمييز السداسية. بإمكانه معرفتها إنها السداسية الخامسة عشرة. Ch'ien.
التواضع. سينزل الرفيع، ويرتفع الوضيع؛ وتُذل العائلات العزيزة، لم يكن بحاجة أن يعود إلى النص- يحفظه عن ظهر قلب. فأل مبشّر. منحه المُستخار المشورة المفضلة.
لكنه ما زال مثبطا قليلا. هناك شيء سخيف يتعلق بالسداسية الخامسة عشرة. التصرف بتملق مبالغ به. بالطبع عليه أن يكون متواضعا. ربما هناك فكرة ما فيها. إضافة لكل هذا، فهو لا يملك سلطة على العجوز ويندام-ماتسون تجبره على إرجاعه إلى العمل. كل ما يمكنه أن يقوم به هو أن يأخذ بمشورة السداسية الخامسة عشرة؛ إنها إحدى اللحظات التي يضطر فيها المرء أن يشاورَ، ويأملَ، ويترقبَ بإيمان. السماء بتدبيرها قد تعيده إلى وظيفته القديمة أو ربما حتى إلى شيء أفضل.

.I ching or Book of changes*

** يتكون كتاب التغييرات I ching من أربع وستين سداسية (كل سداسية عبارة عن رمز مكون من ستة خطوط أفقية "خط متصل أو مقطّع" مرتبة بشكل عمودي ويبدأ الحصول على هذه الخطوط من الأسفل إلى الأعلى لتكوين سداسية مكونة من ثلاثيين "ثلاثي أسفل" و"ثلاثي أعلى"، وتتوزع هذه السداسيات في مصفوفة. يمثل الخط المتصل اليانغ (الأبيض) والخط المقطّع اليين (الأسود). وكل سداسية مرتبطة بوصف وحكم خاصين بها. إضافة إلى إن هناك حُكم خاص بكل خط من خطوط السداسية الستة لا يُقرأ حكمه إلا في حالة الحصول على الخطوط المتحركة التي سنعرفها في الفصل التالي.

*** تجري الاستخارة عن طريق أعواد اليارو أو العملات النقدية كما سنرى.

لا تُوجد سطورٌ ليقرأها، لا تسعات ولا ستات؛ كانت ثابتة. وهو ساكن. إذ لم تتحرك تجاه سداسية ثانية. هيّأ نفسه لطرح سؤال جديد، وصاح 'هل سأرى جوليانا مجددا؟'.
إنها زوجته، أو بالأحرى زوجته السابقة. تطلقت جوليانا منه السنة الماضية، ولم يرها لأشهر؛ في الواقع لم يكن يعرف أين تسكن. من الجلي إنها غادرت سان فرانسيسكو، ربما حتى ولايات المحيط الهادئ الأمريكية. ولم يسمع أصدقاؤهم المشتركون شيئا منها أو إنهم
لم يخبروه. حرّك أعواد اليارو بهمة وحدّق إلى سجل النقاط. كم مرة سأل عن جوليانا، سؤال تلو آخر؟ هنا أتت السداسية بالنتائج السلبية العرضية عبر أعواد نباتية. وفوق ذلك تتجذرُ بعشوائية في اللحظة التي يعيشها، وكانت حياته مرتبطة بكل الحيوات الأخرى
والجسيمات في الكون. تُصورُ السداسية المطلوبة الحالَ بطريقتها الخاصة عبر الخطوط المتصلة والمقطّعة. هو، جوليانا، المصنع في شارع غوف، البعثات التجارية التي حكمت،
استكشاف الكواكب، مليارات الأكوام الكيميائية في إفريقيا التي لم تعد موجودة اليوم، تطلعات الآلاف حوله في الأكواخ المكتظة في سان فرانسيسكو، المخلوقات المجنونة في ألمانيا بوجوهها الهادئة وخططها المهووسة، كلهم مرتبطون معا في هذه اللحظة الآنية إذ تختار أعواد اليارو الحكمة المناسبة جدا في كتاب استُهل في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وكتبه حكماء الصين في زمن امتدَّ لخمس آلاف سنة، مغربِلين ومتقنين، إذ نظموا علم الكونيات والعلوم البديعة قبل أن تتعلم أوروبا كيف تقوم بالقسمة المطولة.
السداسية -وجف قلبه- الرابعة والأربعون. Kou. اللقاء قادم. حكمة العدالة. العذراء قوية. لا يتوجب على المرء أن يتزوج عذراء. ربط الأمر مجددا بجوليانا. ويلاتاه، فكّر، وهو يسند ظهره إلى الخلف. لقد كانت خيارا خاطئا لي، أعلم هذا. لم أسأل عن ذلك. لماذا قام المُستخار بتذكيري؟ لي قدرٌ عاثرٌ، أن يكتب عليَّ اللقاء بها وأقع في الحب -حبها-.
جوليانا- امرأة ذات أبهى طلّةٍ تزوجها. حاجباها وشعرها فاحما السواد بمسحات من سلالة إسبانية موزعة لتمنحها لونا صافيا، حتى في شفتيها. متثنية وساكنة المشي؛ فقد كانت ترتدي حذاءً بكعب قصير باقٍ معها منذ أيام الثانوية. في

الواقع، كانت كل ثيابها مهلهلة وواضح بأنها قديمة ومغسولة بكثرة. لقد كانا معدمين زمنا طويلا وبالرغم من ملامحها كانت تلبس سترة قطنية، ومعطف قماش ذي سحاب، وتنورة صوفية بنية، وجوارب بوبي، ثم كرهت هذا اللبس لأنه جعلها تبدو، كما قالت، كأنها امرأة تلعب التنس أو (حتى أسوأ) جامعة فِطر في الغابة.

رغم كل شيء آخر، فقد جذبته تعابيرها البلهاء؛ بدون أي سبب. كانت جوليانا تحيي الغرباء بطريقة لافتة، ومتذمرة، بابتسامة الموناليزا التي تعلّقهم في الحيرة، فيما إذا يتوجب عليهم مبادرتها التحية أم لا. كانت جذابة جدا لذا في أكثر الأحيان كانوا يلقون التحية، وعندئذ تنسلُّ جوليانا بوداعة. في البداية اعتقد أنها نظرة عابرة ساذجة، لكن في الأخير قرر أن تصرفها كشف عن رغبة تامة وإلا فهو غباء متأصل فيها. أزعجته طريقتها المحيرة في

تحيتها المتكررة للغرباء في النهاية، وكذلك طريقتها في المجيء والذهاب التي تشي بأنها في رحلة غامضة كشجرة ميّالة صامتة، لكن حتى ذلك الحين باتجاه النهاية، عندما كثر شجارهما، ما نظر إليها قط سوى إنها الصنعة الحرفية والتامة للإله، نزلت إلى حياته لأسباب لم يكن ليعرفها أبدا. كان الأمر نوعا من الحدس الديني أو الإيماني بها- فلم يستطع تخطي خسارتها.

بدت قريبة جدا الآن... كما لو أنها ما زالت عنده. تلك الروح، ما زالت تشغل حياته، تتجول في غرفته بحثا أي شيء ستبحث عنه جوليانا، وفي عقله كل ما تناول مجلدات المُستخار.

تساءل فرانك فرينك وهو جالس فوق فراشه، ومحاطا بالاضطراب وحده، متأهبا للخروج وبدء يومه؛ من عداه في مدينة سان فرانسيسكو الكبيرة المعقدة يقعد في هذه اللحظة يُشاور المستخار. هل حصلوا على مشورة كئيبة كالتي حصل عليها؟ هل كانت فحوى المشورة عكس ما كانوا يرجونه مثله؟

2

قعد السيد نوبوسوكي تاغومي يستشير كتاب الحكمة الكونفوشيوسية السماوي الخامس، سُمي المُستخار الطاوي لقرون بـ آي تشينغ أو كتاب التغييرات. في ظهيرة ذلك اليوم، بدأ يقلق بشأن موعده مع السيد تشيلدان، الذي سيكون بعد أكثر من ساعتين.
لجناح مكاتبه في الطابق العشرين في مبنى نيبون تايمز في شارع تايلور إطلالة على الخليج. وعبر الجدار الزجاجي كان يمكنه مراقبة السفن وهي تدخل عابرة أسفل جسر غولدن غايت. في هذه اللحظة كان بالإمكان رؤية سفينة شحن عملاقة خلف جزيرة الكاتراز إلا إن السيد تاغومي لم يعر الأمر اهتماما. وذهب باتجاه الجدار وفك الرباط وأسدل ستار البامبو حاجبا المنظر. أصبح المكتب المركزي الكبير أكثر ظلمة، ولم يكن عليه أن يحول عينه لتجنب الضوء. بإمكانه الآن أن يفكر بصفاء أكثر.
قرَّر أنه لم يكن في وسعه أن يسعدَ عميله. قال لنفسه: لنواجه هذا، مهما كان الشيء الذي سيجلبه تشيلدان معه فإن العميل لن ينبهر. لكن في الأقل لا يجب نجعله مستاءً، ولا نُشعره بالإهانة بإعطائه هدية متواضعة.
قريبا سيصل العميل إلى مطار سان فرانسيسكو عبر مسار الطائرة الألمانية الصاروخية الجديدة، الميسيرشميت 9-إي. لم يركب السيد تاغومي مركبة كهذه قط، عندما يلتقي السيد باينز عليه أن يضع نصب عينه أن يبدو لا مباليا، مهما بدا حجم الصاروخ هائلا. حان وقت التدريب. وقف قبالة المرآة فوق جدار المكتب، مظهرا وجها هادئا، وضجرا نوعا ما، ومفتشا عن ملامحه اللا مبالية ليتجنبها.
نعم، إنها شديدة الضوضاء، سيد باينز، حتى إن المرء لا يستطيع القراءة. لكنَّ مدة الرحلة من ستوكهولم إلى سان فرانسيسكو هي خمس وأربعون دقيقة فقط. ثم لعلنا نتطرق بعدها لحديث عن أخطاء ألمانيا الميكانيكية؟ أفترض أنك استمعت إلى المذياع. حادثة تحطم طائرة فوق مدغشقر. لا بد من تسليط الضوء على مكابس الطائرات القديمة.
من الضروري أن يتجنب السياسة. فهو لم يعرف آراء السيد باينز حول القضايا الرئيسة اليوم. قد يتحدثان عنها في سياق ظهورها. السيد باينز، بصفته سويديا

سيكون محايدا، مع ذلك فقد اختار لوفتهانزا على الخطوط الجوية الإسكندنافية. حيلة حذرة... سيد باينز،

سيدي، يقولون إن السيد بورمان مريض جدا. سيُختار مستشار الرايخ الجديد من قبل الحزب هذا الخريف. محض إشاعات؟ هناك الكثير من السرية، وللأسف، ما بين دول المحيط الهادئ والرايخ.

يوجد في الملف فوق طاولة مكتبه مقالٌ من النيويورك تايمز لخطاب جديد ألقاه للسيد باينز مؤخرا. درسه السيد تاغومي الآن بعين الناقد، حانيا ظهره بسبب عدسات لاصقة لتصحيح قصور النظر الذي يعاني منه. توجب تدقيق الخطاب لمرة إضافية -الثامنة والتسعون؟-. استكشاف مصادر المياه على القمر. 'ما زال علينا حل هذه المعضلة المفجعة' أُقتبس من خطاب السيد باينز. 'جارنا الأقرب، ولا يمكن الاستفادة منه إلا لأغراض عسكرية' هكذا*! فكّر السيد تاغومي مستخدما الكلمة اللاتينية. دليل يقودنا إلى السيد باينز. يبدو مرتابا بشأن الأغراض العسكرية. أخذ السيد تاغومي هذه الملاحظة بعين الاعتبار.

قال السيد تاغومي لامسا زر الاتصال الداخلي 'آنسة إيفريكيان، أود أن تجلبي آلة التسجيل الخاصة بك، من فضلك'. فُتح جانب واحد من بوابة المكتب الخارجي، وظهرت الآنسة إيفريكيان مزينة شعرها بأزهار زرقاء جذابة. 'زهرة ليلك' انتبه السيد تاغومي. فيما سبق، كان يهتم جدا بالأزهار في موطنه في هوكايدو.

انحنت الآنسة إيفريكيان، فتاة أرمينية طويلة ذات شعر بني.

'آلة التسجيل مُعدة؟' سأل السيد تاغومي.

'نعم، سيد تاغومي' قعدت الآنسة إيفريكيان، وشغلت آلة التسجيل المزودة ببطارية تشغيل.

بدأ السيد تاغومي. 'استفسرت من المُستخار، "هل سيكون اللقاء اليوم بيني والسيد تشيلدان مثمرا؟" وحصلتُ لسوء حظي على سداسية تنذر بالشؤم وهي: غلبة العظماء. الوتد يتهاوى. ثقل كبير في المنتصف، كل شيء يفقد توازنه. تبدو بوضوح بعيدا عن التاو**'.

---

* Sic.

** التاو: هو النظام الطبيعي للكون والذي يجب على الشخص معرفته من أجل إدراك الحكمة الفردية وفقا للفلسفة والأديان الشرق آسيوية.

طنَّت آلة التسجيل.
صمت السيد تاغومي وأطرق مفكرا.
تأملته الآنسة إيفريكيان بترقب. توقف طنين آلة التسجيل. ’اطلبي من السيد رمزي أن يأتي للحظة، من فضلك’ قال السيد تاغومي. ’نعم، سيد تاغومي’ نهضت، بعد أن وضعت آلة التسجيل، وطرق كعبا حذائها الأرض حين غادرت المكتب.
ظهر السيد رامزي متأبطا ملفا كبيرا يضم فواتير الشحنات. تقدّم الشاب البشوش مرتديا ربطة عنق أنيقة مخططة بألوان سهول الغرب الأوسط الأمريكي، وقميصا ذا مربعات، وبنطالَ جينز ضيقا أزرقَ بلا حزام يشذُّ عن موضة اليوم. قال ’مرحبا سيد تاغومي. يوم جميل، أليس كذلك؟‘. انحنى السيد تاغومي. في تلك اللحظة، ثبت السيد رامزي فجأة في مكانه وانحنى أيضا.
’لقد تشاورت مع المُستخار.’ قال السيد تاغومي، حين عادت الآنسة إيفريكيان لتقعد في مكانها ومعها آلة التسجيل. ’تدرك أن السيد باينز -الذي سيصل شخصيا خلال مدة وجيزة- يدعم الإيديولوجية الشمالية المتعلقة فيما يعرف بالثقافة الشرقية. وباستطاعتي أن أبذل جهدا لأبهره من أجل فهمٍ أفضل بأعمال أصلية من فن المخطوطات الصينية أو بالأعمال الخزفية من حقبة توكوغاوا الخاصة بنا... لكن هذا ليس عملنا لنتحول إليه‘.
’أدرك هذا‘ قال السيد رامزي؛ وامتلأ وجهه القوقازي بتعابير تركيز شديد.
’لذلك سنرضي تحامله ونقدم إليه تحفة فنية أمريكية لا تقدر بثمن بدلا من هذا‘.
’نعم‘.
’أنت، سيدي، من أصول أمريكية على الرغم من تكبدك عناء تغيير لون بشرتك إلى الأسمر‘. ودقق النظر في السيد رامزي.
’السمرة يتكفل بها مصباح الشمس’ قال السيد رمزي بصوت خفيض. ’لاكتساب فيتامين دي فحسب‘. لكنه لم يتخلص من ملامح شعوره بالإهانة. ’أوكد لك بأني ما زلت أحتفظ بجذوري الأصلية مع-‘. تلعثم السيد رامزي عند نطقه هذه الكلمات. ’لم أقطع صلتي بسلالتي العرقية الأصلية‘.
قال السيد تاغومي للآنسة إيفريكيان، ’استئنفي، رجاءً‘ طنَّت آلة التسجيل مرة أخرى. ’في مشاورتي للمستخار وحصولي على سداسية Ta Kuo، الثامنة

والعشرين، تلقيتُ أيضا ذلك الخط غير السار، تسع نقاط* في الموضع الخامس. ويقول:

أطلعت شجر الحور الذابلة زهورا
واتخذت العجوز زوجا
لا لوم. لا ثناء.

’يبين هذا بوضوح بأن السيد تشيلدان لن يأتي بشيء ذي قيمة ليعرضه لنا في الساعة الثانية‘. توقف السيد تاغومي برهة. ’لنكن صريحين، لا يمكنني أن أعول على حكمي الشخصي فيما يتعلق بالتحف الفنية الأمريكية. لأجل هذا-‘ تريث في تدبيج عباراته. ’لهذا نحن بحاجتك سيد رامزي، لنقل إنك ابن البلد. من الواضح أننا مطالبون ببذل أقصى جهودنا‘. لم يحرَ السيد رامزي جوابا. لكن، وعلى الرغم من جهوده لإخفائها فقد ظهرت ملامح الألم، والغضب، وردة فعل صامتة ومحبطة.

’الآن‘ قال السيد تاغومي. ’استمررت بمشاورة المُستخار لأغراض السياسة، لا يمكنني كشفها لك، سيد رامزي، السؤال-‘. بكلمات أُخر، عنت نغمة صوته بأنك و البينوك فوقك

لستما موضع ثقة لمشاركة قضايا مثل هذه التي نتعامل معها. ’من الصعب الإفصاح عنه، على أي حال، لقد حصلت على الجواب الأكثر استفزازا. جعلني أتامل مدة طويلة‘.

---

*عند استشارة المستخار بواسطة العملات النقدية الثلاث، فإن العملية تقوم على أساس أن لـ(وجه) العملة ثلاث نقاط (يانغ) والكتابة (الظهر) نقطتان (يين). إذا حصل المستخير على ثلاثة وجوه (9 نقاط، خط يانغ) أو ثلاثة كتابات (6 نقاط، خط يين) فإن خط اليانغ يسمى اليانغ القديم ورمزه (ـــ•ـــ) ويتحول إلى الخط المقابل: اليين، فتنقلب السداسية وفقا للخط الجديد، وخط اليين يسمى اليين القديم ورمزه (ـxـ) ويتحول إلى الخط المقابل: اليانغ، فتنقلب السداسية وفقا للخط الجديد. يسمى هذان الخطان بالخط المتحرك، وإذا حصل المستخير على خطوط متحركة فإن عدد "الحُكم" التي يحصل عليها (ولكل خط حكمه) محدد ومرتبط بالخطوط المتحركة قبل وبعد التحول بين السداسيات، أي يمتلك المستخير أكثر من حُكم، كما سنرى لاحقا. وفي حالة حصول المستخير على سبع أو ثماني نقاط فإن الخط يسمى بالخط الثابت، وإذا لم يحصل على أي خط متحرك فإنه يبحث عن رقم سداسيته ويقرأ الحكم الخاص بها.

تبدأ عملية الاستخارة وبناء السداسية برمي العملات، ثم الاعتماد على اختيار خط يين أو يانغ وفقا للأقلية، فإن حصل في عملتين على وجهين "يانغ" وعملة على كتابة "يين" فإن الخط سيكون خط يين مقطّع. وهكذا في حالة كان اليانغ هو الأقل. وفي حالة ثلاثة وجوه أو ثلاث كتابات، فإن سيكون "يانغ قديم" أو "يين قديم" كما ورد أعلاه، ثم قراءة الحكم أو الأحكام الخاصة باستخارة المستخير.

تأمله كل من الآنسة إيفريكيان والسيد رامزي باهتمام شديد.
’يتعلق بالسيد باينز‘ قال السيد تاغومي.
أومأ.
’سؤالي يتعلق بخصوص ما قام به السيد باينز عبر الأعمال الغامضة للطاوية سداسية Sheng، السادسة والأربعين: حكم جيد. خط الست نقاط في الموضع الأول وخط التسع نقاط في الموضع الثاني‘.
كان سؤاله هل سأكون قادرا على التعامل مع السيد باينز بنجاح؟ والتسع في الموضع الثاني تؤكد أن بإمكانه فعلها. يقول:

إذا صدق المرء
سيحقق مراده وإن بأدنى جهد
لا لوم.

من الواضح بأن السيد باينز سيكون راضيا بأي هدية تقدمها إليه البعثة التجارية من خلال مكاتب السيد تاغومي الفرهة. لكن، كان للسيد تاغومي -أثناء طرحه السؤال- تساؤل آخر في عقله الباطني، وكان بالكاد يعيه. فهم المُستخار -كما في الغالب- التساؤل الأكثر أهمية في حين كانت الإجابة عن الآخر، إذ فوّض نفسه ليجيب سؤال العقل الباطن أيضا.
’كما نعلم‘ قال السيد تاغومي ’سيجلب السيد باينز لنا تفاصيل دقيقة عن نماذج حقن جديد مطوّرة في السويد. فلقد نجحنا في توقيع اتفاقية مع شركته، بإمكاننا ودون أدنى شك استبدال البلاستيك بالعديد من المعادن الحالية، والنادرة جدا‘.
منذ سنوات كانت دول المحيط الهادئ تحاول الحصول على المساعدة الأساسية في الحقل الاصطناعي من الرايخ. غير إنَّ المجاميعَ الكيميائية الألمانية ولا سيما مجموعة فاربين للذكاء الألماني التي أخفت اختراعاتها، في الحقيقة، خلقت عالما محتكرا من البلاستيك، خاصة في تطوير البوليسترات. هذا يعني أن تجارة الرايخ بقيت متفوقة على تجارة دول المحيط الهادئ، وفي مجال التقنيات فإن الرايخ متقدم عليها عشر سنوات في أقل تقدير. إن الصواريخ العابرة للكواكب التي تغادر أوربا من فيستونغ تتكون بصورة أساسية من

بلاستيك مقاوم للحرارة، وخفيفة الوزن، وشديدة الصلابة حتى إنها صمدت تجاه تأثيرات
أكبر النيازك. لا تملك دول المحيط الهادئ أي شيءٍ من هذا وما زالت ألياف الخشب التي تُستعمل حتى اليوم، وكذلك -بالطبع- الأدوات المعدنية واسعة الانتشار. ارتد جسد السيد تاغومي وهو يفكر بهذا، لقد شاهد في معارض التجارة بعضا من أعمال الألمان المتقدمة، من ضمنها كل أنواع السيارات الاصطناعية د.إس.إس.* والتي تُباع بعملة و.م.أ. بسعر ستمئة دولار. لكن السؤال الضمني الذي لم يستطع أبدا أن يكشف عنه للبينوكس والذي يدور حول مكاتب البعثات التجارية، وله علاقة بأحد مقترحات السيد
باينز بواسطة البرقية المشفرة الأصلية من طوكيو. قبل كل شيء، كانت مواد التشفير نادرة، وتستخدم عادة في القضايا الأمنية لا القضايا التجارية. وكانت الشفرة ذات صيغة مجازية، ومتركّزة على لمحة شعرية، والتي أُعتمدت لخداع مراقبي الرايخ- الذين بإمكانهم حل أي شفرة أدبية بأي صيغة كانت. لذا فإن السلطات اليابانية قد وضعت الرايخ في عين الاعتبار لا زمرة الخونة الشكلية في جزر الأرخبيل الياباني. كانت كلمة السر عبارة، ’الحليب المقشود في حميته‘، مشيرة إلى بينافور، الأغنية الغريبة التي جاءت على ’... نادرا ما تُظهر الأشياء حقيقتها/ فالحليب المقشود يتنكر بالكريمة‘. أكد الـ *I Ching* للسيد تاغومي ما تبصره عندما شاوره، وكان تعليقه:

هنا الرجل القوي مفترض سلفا. صحيح إنه لا ينسجم مع بيئته ما دام فظا جدا ولا يلقي أي اهتمام بمظهره، لكن متى ما كان مستقيما في شخصيته فسوف يلقى قبولا.

وما تبّصره كان -ببساطة- أن السيد باينز ليس كما يبدو عليه والغرض الحقيقي من قدومه إلى سان فرانسيسكو لم يكن لأجل توقيع اتفاقية نماذج الحقن. السيد باينز -في الواقع- جاسوس لكن لو قضى السيد تاغومي حياته كلها لما كان ليفهم أي نوع من الجواسيس هو، أو لمن يعمل أو لأجل ماذا.

Der Schnelle Spuk *

***

في الواحدة وأربعين دقيقة من تلك الظهيرة، أغلق السيد روبرت تشيلدان بنفور كبير الباب الأمامي لمتجر التحف اليدوية الفنية الأمريكية. حمل أكياسه الثقيلة إلى الرصيف، ونادى سائق البيدي كاب وأخبر الصيني ليقلّه إلى مبنى نيبون تايمز.

انحنى الصيني ذو الوجه النحيف وهو يتصبب عرقا وبدأ بتحميل أكياس السيد تشيلدان إلى البيدي كاب. ساعد بعدها السيد تشيلدان في الجلوس فوق المقعد المبطّن بالسجاد، ضغط الصيني على العداد وقعد فوق مقعده وانطلق في شارع مونتغومري بين السيارات والحافلات.

قضى السيد تشيلدان اليوم بأكمله في البحث عن غرض يناسب السيد تاغومي وغمرته المرارة والقلق أثناء مرورهم أمام البنايات، وابتهج بعدها. نظرا لمهارته المتفردة، وبغض النظر عن باقي مميزاته وجد الغرض المناسب، سيهدّئ السيد تاغومي من سَورة غضبه وسيبتهج عميله أيا كان. فأنا أرضي زبائني دائما، فكّر السيد تشيلدان.

استطاع أن يشتري بأعجوبة نسخة لا تقدر بثمن من المجلد الأول لمجموعة تيب توب للرسوم الهزلية. يعود تاريخها إلى الثلاثينيات، لقد كانت نسخة مطلوبة من أمريكانا؛ واحدة من أوائل الكتب الهزلية، نسخة بحث عنها جامعو التحف باستمرار. بالتأكيد، حمل معه أشياءَ أخرى ليعرضها أولا. وسيعمل على عرض الأغراض وصولا إلى الكتاب الهزلي الذي أخفاه جيدا في الكيس الجلدي وغطاه بورق رقيق ووضعه في منتصف أكبر الأكياس. بث مذياع البيدي كاب ألحانا شعبية، تتداخل مع ما تبثه المذاييع الأُخر للعربات والحافلات والسيارات. لم يستمع تشيلدان إلى شيء فقد كان معتادا عليها. ولم يلاحظ أيضا لافتات النيون الكبيرة بإعلاناتها الدائمة التي تطمس واجهات كل البنايات الضخمة. ولم يكن بِدعا منهم، فقد امتلك أيضا لافتته الخاصة التي تتوهج ليلا مع اللافتات الأخرى في المدينة. وهل هناك طريقة أخرى للإعلان؟ على الإنسان أن يكون واقعيا.

لقد هدأته -في الواقع- جلبة المذياع، وضوضاء الزحام، واللافتات، والناس، ومحت كل مخاوفه الداخلية. إضافة إلى إنه من المُسلي أن تقعد في عربة ويقوم شخص بحملك إلى مكان آخر، وتشعر بإجهاد عضلات الصيني الذي ينتقل إليها

بسبب الاهتزازات المتكررة؛ تأمل تشيلدان أداة من أدوات الاسترخاء. أنْ تُجَرَّ خير من أنْ تَجُرَّ، وإنَّ لك اليد العليا ولو للحظة واحدة فقط.
أيقظ نفسه مع شعور بالندم. هناك الكثير الذي يجب تخطيطه؛ ليس هناك وقت لقيلولة الظهيرة. هل كان مهندما كما يليق تماما لدخول بناية نيبون تايمز؟ من المحتمل أنه سيصاب بالدوار حين يستخدم المصعد السريع لكن بحوزته أقراص ضد الدوار، مركب ألماني. يعرف النماذج المختلفة من البشر. مع من يجب أن يتعامل باحترام، ومَنْ بوقاحة. كن فظا مع البواب، وموظف المصعد، والعامل، وموظف الاستقبال، والمرشِد، وعمال النظافة. انحنِ إلى أي ياباني، بالطبع حتى لو كنت ملزما أن تنحي مئات المرات. أما في البينوكس، ومنطقة نيبولوس، انحنِ لكن انظر مباشرة نظرة تخترقهم كأنهم غير موجودين. ثم هل هذا كافٍ للسيطرة على الموقف؟ ماذا عن الزوار الأجانب؟ يمكن رؤية الألمان في مبنى البعثات التجارية، وكذلك المحايدين.
قد يرى عبدا أيضا.
ترسو السفن الألمانية أو سفن الجنوب في ميناء سان فرانسيسكو في كل الأوقات، ويُسمح للسود ما بين حين وآخر بالعبور مدة قصيرة هناك، في مجاميع أقل من ثلاثة دائما. ولا يسمح لهم بالخروج بعد حلول الظلام حتى وفقا لقانون دول المحيط الهادئ، إذ يتوجب عليهم الالتزام بحظر التجوال. يُفرّغ العبيد كذلك شحناتهم في الميناء، حيث يعيش هؤلاء بصورة دائما بالقرب من الشاطئ في أكواخ تحت أرصفة الموانئ فوق مستوى الماء. لن يكون هناك أحدا منهم في مكاتب البعثات التجارية، إن كان هناك من يقوم بإنزال شحنات على سبيل المثال، هل يتوجب عليه أن يقوم بحمل أكياسه إلى مكتب السيد تاغومي؟ بالتأكيد لا. لا بد من إيجاد عبد، حتى لو اضطر أن ينتظر واقفا لساعة. حتى وإن فاته الموعد. من غير الوارد أن يسمح لعبد أن يراه يحمل شيئا؛ عليه أن يكون منتبها لهذا الأمر. غلطة مثل هذه قد تكلفه غاليا ولن تكون له مكانة من أي نوع بين أولئك الذي رأوه.
فكر تشيلدان في طريقه، كنت سأستمتع بحمل أكياسي إلى مبنى نيبون تايمز في وضح النهار. يا لها من لفتة عظيمة، ليس في ذلك خرق للقانون؛ لن أوضع في السجن. وأود إظهار مشاعري الحقيقية، ذلك الجانب من الإنسان الذي لا يظهر في الحياة العامة أبدا، لكن...

كان بإمكاني أن أفعلها لو لم يكن هناك أولئك العبيد السود الملاعين الذين يتجولون في الأرجاء، بإمكاني تحمل أن يراني من أعلى مني وسخريتهم- فهم في كل الأحوال يسخرون مني ويهينونني كل يوم. أما هؤلاء الذين هم دوني غير جديرين برؤيتي، وأن أشعر بازدرائهم، مثل هذا الصيني الذي أمامي. لو لم تستقلني البيدي كاب، لرآني وأنا أمشي إلى مقابلة عمل...

يجب على المرء أن يلوم الألمان على هذا الوضع، ورغبتهم في قضم لقمة أكبر من قدرتهم على مضغها. بعد كل هذا، بالكاد تمكنوا من الانتصار في الحرب، لينطلقوا بعدها في استعمار النظام الشمسي، في حين أصدروا في بلدانهم المراسيم التي... حسنا، في الأقل كانت الفكرة جيدة. وعلى الرغم من كل شيء نجحوا في تعاملهم مع اليهود والغجر ودارسي الكتاب المقدس. وأعيد العبيد إلى أوطانهم في آسيا ليتخلفوا ألفي سنة. أُخرجوا من أوروبا بالكامل، من أجل راحة الجميع. عادوا لركوب ثور التبت والصيد بالقوس والرمح. توزع هذه المجلات العظيمة الفخمة المطبوعة في ميونخ على كل المكتبات ومناضد بيع الصحف... بإمكان المرء أن يرى صورا ملونة تملأ صفحة كاملة لشخص واحد لمستوطن آري ذي عينين زرقاوين وأشقر الشعر يعمل بجد، ويحرث، ويقطف، وهكذا دواليك في سلة حبوب العالم الغذائية الدائمة المسماة أوكرانيا. يبدو على هؤلاء التابعين أنهم سعداء حقا. وكانت حقولهم ومواشيهم تبدو نظيفة. لم يعد بإمكانك بعد الآن رؤية صور البولنديين المخمورين ذوي النظرات البليدة والجالسين في الشرفات أو بائعي اللفت الذابل المتجولين في سوق البلدة، وكل ما يتعلق بالماضي، مثل الطرق الطينية القذرة التي تتحول إلى مستنقع في مواسم المطر وتَعْلق فيها العربات. لكن إفريقيا. لقد تركوا حماسهم ببساطة يُخرج أفضل ما لديهم هناك، ويتوجّب عليك أن تطري ذلك، مع أن النصيحة الأكثر تمعنًا حذرتهم من إنه قد يكون من الأفضل أن ينتظروا قليلا حتى يكتمل مثلا مشروع الأرض الزراعية. أظهر الألمان الآن عبقريتهم؛ بزغ الفنان الكامن فيهم بأبهى حلة. عُلبت مياه البحر الأبيض المتوسط الذي أُستنزف، وحُوّل إلى الأراضي الصالحة للزراعة عبر استخدام الطاقة الذرية- يا لها من جرأة! انقلب الهمازون على أعقابهم، على سبيل المثال التجار الساخرون على طول شارع مونتغومري. وفي حقيقة الأمر، كادت إفريقيا أن تنجح تقريبا... لكن في مشروع مثل هذا، فقد

ابتُدِئ سماع كلمة تقريبا المشؤومة. بيان روسنبرغ القوي والشهير الذي نشر في عام 1958، وظهرت فيه تلك الكلمة لأول مرة الذي كان نصه:
فيما يخص الحل النهائي للمشكلة الإفريقية فلقد أنجزنا كل أهدافنا تقريبا. إلا إنه لمن المؤسف-
استغرق الأمر مئتي سنة للتخلص من السكان الأصليين في أمريكا، وقامت ألمانيا بالأمر ذاته بشكل شبه كامل في أفريقيا في غضون خمس عشرة سنة. لذا لم يكن هناك أي اعتراض قانوني ملموس. ناقش تشيلدان -في الحقيقة- هذا الأمر مؤخرا أثناء تناوله الغداء مع مجموعة تجّار موثوق فيهم. لقد توقعوا المعجزات، وبثقة، كما لو أن النازيين يستطيعون إعادة تشكيل العالم بواسطة السحر. لا، لقد كان الأمر في حقيقته هو العلم والتقنية والموهبة الرائعة في العمل الجاد إذ لم يتوقف الألمان أبدا عن إدارة الأمور بأنفسهم. وحين يؤدون مهمة ما، فإنهم يؤدونها بالشكل الصحيح.
على أي حال، أذهلت رحلات الطيران إلى المريخ العالم وصرفت انتباهه عن المصاعب في إفريقيا. وبالعودة إلى ما قاله لرفقائه من أصحاب المتاجر: إن ما يملكه النازيون ونفتقده نحن- النبالة.
أظهروا إعجابكم بهم لاجتهادهم في العمل وكفاءتهم... لكن الحلم هو ما يحرك المرء. كانت أولى الرحلات إلى القمر، ثم إلى المريخ؛ إلم يكن هذا توق البشرية الأول، أفضل آمالنا للمجد. اليوم، هناك اليابانيون في الجانب الآخر. أعرفهم حق المعرفة؛ فأنا أعمل معهم يوما تلو آخر. إنهم -لنواجه الحقيقة- شرقيون. أناس من الشعوب الصفر. نحن البيض مضطرون أن ننحي إليهم لأنهم يملكون السلطة. نرى الألمان، نرى ما الذي يمكن أن يقوم به البيض بعد أن يغزو، وهو شيء مختلف تماما.
’لقد وصلنا إلى بناية نيبون تايمز‘ قال الصيني، وصدره يعلو ويهبط بسبب المجهود الذي بُذل في الصعود وقد تباطأ الآن.
حاول تشيلدان في نفسه تصور شكل عميل السيد تاغومي. من الواضح إن الرجل مهم بصورة غير معهودة؛ نبرة صوت السيد تاغومي في الهاتف، وثورانه العنيف، كشفتا الحقيقة. جالت صورة لأحد زبائن تشيلدان أو بالأحرى زبائنه في عقله، رجل أتمَّ معه صفقة جيدة ليكافئه منوِّها باسمه بين شخصيات معتبرة تقطن في الباي إريا.

لم يكن بإمكان تشيلدان قبل أربع سنوات أن يجري صفقة نادرة ومرغوب فيها مثل هذه التي يقوم بها اليوم. كان يدير متجرا صغيرا خافت الإضاءة لبيع المواد المستعملة في منطقة جيري. كانت المتاجر في جواره تبيع الأثاث المستعمل والخردوات، وحتى تلك المخصصة لغسيل الملابس. لم يكن بالجوار المناسب، ففي الليل هناك لصوص بأذرع قوية وأحيانا تحدث حالات اغتصاب فوق الرصيف، بالرغم من كل جهود قسم شرطة سان فرانسيسكو وحتى وحدة المتابعة اليابانية، الكيمبيتاي. وعند انتهاء يوم العمل تثبَّت حواجز شبكية في نوافذ المتاجر منعا لحدوث سطو. وفي أحدى المرات جاء إلى هذه المنطقة من المدينة عجوز ياباني، عسكري سابق في الجيش، الرائد إتو هومو. طويل، ونحيف، وأشيب، يمشي ويتوقف بصورة شاقة. أسدى الرائد هومو لتشليدان أول تلميح عن مهنته وما الذي يتوجب عليه فعله بتجارته.

’أنا جامع تحف‘ وضَّح الرائد هومو. قضى هومو الظهيرة بأكملها باحثا في أكوام المجلات القديمة في المتجر. تكلم بصوته اللطيف عن شيء لم يستطع تشيلدان أن يدركه تماما حينئذ: بالنسبة لكثير من اليابانيين الأثرياء والمثقفين فإن التحف التاريخية للحضارة الأمريكية الشعبية تكتسي من الأهمية ما للمتاحف الرسمية من أهمية. لماذا، الرائد نفسه لم يعرف السبب فلقد كان مهتما وبشكل خاص بجمع المجلات القديمة التي تحوي الأزرار النحاسية الأمريكية، إضافة إلى الأزرار نفسها. لقد كان الأمر مثل جمع العملات النقدية أو الطوابع، ولا يوجد له تفسير منطقي يُقال. ويدفع جامعو التحف الأثرياء المبالغ الباهظة مقابل ذلك.

’سأعطيك مثالا‘ قال الرائد ’هل تعرف ما معنى بطاقات "أهوال الحرب"؟‘ ونظر إلى عيني تشيلدان بطمع.

تذكر تشيلدان أخيرا -وهو يبحث في ذاكرته- شيئا في النهاية. كانت تلك البطاقات توزع خلال طفولته، مع العلكة الفقاعية. القطعة بسنت. وتأتي متسلسلة، تصوّر كل بطاقة أحد أهوال الحرب المختلفة.

’أحد أعز أصدقائي‘ تحدث الرائد ’جمع "أهوال الحرب"، وتنقصه واحدة. التي تحمل اسم غرق في الباناي*. ولقد عرض مبلغا ضخما من أجل هذه البطاقة‘.

’بطاقات فليب؟‘.

’سيدي؟‘.

’بطاقات نقلبها. كل بطاقة لها وجه وعقب’. كان في قرابة الثامنة من عمره وقتها. ’كل واحد منا كان لديه حزمة من بطاقات فليب. يقف بعضنا في مواجهة بعض، ثم نرمي البطاقة لتنقلب في الهواء. والفتى الذي تسقط بطاقته ووجها ذو الصورة إلى الأعلى؛ يربح كلا البطاقتين’. ما أمتعَ أن تتذكر تلك الأيام الطيبة، لقد كانت الأيام السعيدة الأولى في طفولته.

آخذا الأمر بعين الاعتبار، قال الرائد هومو ’سمعت صديقي يتحدث عن بطاقات "أهوال الحرب"، لكنه لم يذكر هذه البطاقات قط. في رأيي إنه لم يكن يعرف في الواقع كيف يلعب بهذه الأوراق‘.

أتى صديق الرائد إلى المتجر أخيرا ليسمع قصة تشيلدان التاريخية بنفسه. وسُحر هذا الرجل الذي كان ضابطا متقاعدا في جيش الإمبراطورية.

’أغطية القناني‘ هتف تشيلدان بدون سابق إنذار.

طرفت عيانا الياباني عن قلة استيعاب.

’اعتدنا -ونحن أطفال- أن نجمع أغطية قناني الحليب ويحمل كل غطاء اسم المنتج الحليب. كان هناك آلاف الأنواع من المنتجات الألبان. وكل منتج له غطاؤه الخاص‘.

ومضت عينا الضابط بصورة تلقائية. ’هل تملك أيا من هذه المجاميع، سيدي؟‘.

بالطبع، لم يكن تشيلدان يملكها. لكن... من المحتمل أنه ما زال بإمكانه الحصول على

بعض منها، أغطية علب منسية منذ زمن طويل من تلك الأيام الخوالي قبل الحرب عندما كان الحليب يعبأ بقنانٍ زجاجية عوضا عن العلب الكارتونية.

وهكذا على مراحل، دخل إلى عالم التجارة. ابتدأ آخرون أعمالا مشابهة ومستغلين الجنون الياباني المتنامي بكل ما له علاقة بأمريكا... لكن تشيلدان بقي دائما محافظا على حدوده.

---

* حادثة باناي: هجوم عسكري ياباني على بارجة عسكرية أمريكية في نهر يانغتسي في الثاني عشر من كانون الأول/ ديسمبر سنة 1937.

’أجرتكَ‘ قال الصيني جاذبا إياه من تأمله، ’دولار، سيدي’. أنزل الأكياس ووقف ينتظر. دفع له تشيلدان شارد الذهن. أجل، من الواضح جدا إن وكيل للسيد تاغومي يشبه الرائد هومو -في الأقل- فكر تشيلدان وفقا لوجهة نظر شخصية. لقد تعامل مع الكثير من اليابانيين... لكنه ما زال يواجه صعوبة في تمييزهم. هناك الدَحادح منهم، وشبيهو الصيادلة، وأيضا بستانيو شجيرات الأزهار... كانت لديه تصنيفاته. وكذلك الشباب، الذين بدوا له لا يشبهون اليابانيين على الإطلاق. ووكيل السيد تاغومي لا بد أن يكون بدينا، رجل أعمال يدخن السيجار الفليبيني.

ثم فكر تشيلدان فجأة بقشعريرة وهو واقفٌ قبالة بناية نيبون تايمز وأكياسه بجانبه فوق الرصيف: ماذا لو أن زبونه ليس يابانيا! كل شيء اخترته في هذه الأكياس بناءً على هذا الاحتمال ليلائم أذواقهم-

لكن على الرجل أن يكون يابانيا. فمُلْصق تجنيد الحرب الأهلية كان طلب السيد تاغومي الأول؛ بالتأكيد اليابانيون وحدهم من يكترث لأطلال كهذه. هوسهم المثالي لهذه الأمور المبتذلة، وإعجابهم الطبيعي بالوثائق والإعلانات والدعايات. تذكّر أحدهم الذي كرس وقت فراغه لجمع إعلانات الجرائد عن براءات الاختراع الطبية الأمريكية في العقد الأول من القرن العشرين.

وهناك مشاكل أخرى عليه مواجهتها. مشاكل حالية. كان النساء والرجال يعبرون الأبواب العالية لبناية نيبون تايمز على عجالة، مهندمون جميعا؛ وأصواتهم تصل إلى أذني تشيلدان، الذي بدأ بالمشي. نظرة خاطفة إلى الصرح الشاهق، البناية الأعلى في سان فرانسيسكو: جدار من المكاتب، والنوافذ، تصميم معماري ياباني مذهل، ويحيطه مساحات خضراء قصيرة العشب، ومناظر طبيعية من حديقة الصخور اليابانية، الكاريسانسي، ومجرى مائي متعرج جاف رملي الأرضية تحفه أحجار صغيرة غير منتظمة...

رأى شخصا أسودَ يحمل أمتعة، سيتحرر الآن. نادى تشيلدان في الحال، ’يا حمّال‘. أسرع الأسود باتجاهه مبتسما.

’إلى الطابق العشرين‘ قال تشيلدان بأخشن صوتٍ يملكه ’الجناح باء. في الحال‘ ثم أشار الأكياس وخطا خطوات كبيرة باتجاه أبواب البناية. وبطبيعة الحال لم ينظر خلفه. بعد لحظات ألفى نفسه في زحمة أحد المصاعد السريعة، وأغلب من حوله يابانيون، بوجوههم النظيفة المشرقة بلطف تحت ضوء المصعد اللامع. ثم

تـأثير الـمصعد الـمثير للدوار وحـركته إلـى الأعـلى، والـنقرات الـسريـعة الـخاطـفة للطوابق التي يتعداها، فأغلق عينيه وثبّت قدميه بقوة، ومصليا لنهاية الرحلة. أخذ الأسود -بطبيعة الحال- الأكياس إلى الأعلى عبر مصعد الخدمة. لم يكن من المنطقي أن يسمح له أن يكون هنا.

فتح تشيلدان عينيه ونظر للحظات- كان واحدا من بين البيض القلة في المصعد.

عندما خرج من المصعد في الطابق العشرين، كان تشيلدان ينحني ذهنيا، محضّرا نفسه للقاء في مكاتب السيد تاغومي.

3

لمحت جوليانا فرينك أثناء غروب الشمس بقعة ضوء تنطلق على شكل قوس في السماء، وتتلاشى باتجاه الغرب. إحدى سفن النازيين الصاروخية، قالت لنفسها، تطير نحو الساحل. مليئة بالفرص الكبيرة وأنا هنا في الأسفل. لوّحت إليها مع أن السفينة الصاروخية كانت قد اختفت بطبيعة الحال سلفا.

تهبط الظلال من جهة الروكيز، ويكتسح الليل القمم الزرقاء، ويشق سرب طيور مهاجرة طريقه بموازاة الجبال. من مكان إلى آخر تضيء سيارات أضواءها الأمامية؛ رأت بقعتي ضوء على امتداد الطريق السريع، وأضواء محطات الوقود، والمنازل أيضا. أصبحت تعيش في كانون سيتي، كولورادو، منذ أشهر، وتعمل مدربة جودو.

انتهى يوم عملها وحضّرت نفسها لتستحم. شعرت بالتعب. شغلَ رواد مركز راي الرياضي كل الحمامات، لذا وقفت تنتظر خارج الأبواب في الجو البارد، مستمتعة برائحة نسيم الجبل، والهدوء. كل الذي تناهى إلى سمعها همهمة خافتة لبائع شطائر اللحم داخل كشكه في آخر الشارع على جانب الطريق السريع. رُكنت شاحنة ديزل عملاقة، وكان بالإمكان رؤية السائقَين في الظلمة وهما يتحركان في الجوار ويرتديان سترتيهما الجلديتين قبل أن يدخلا إلى كشك شطائر اللحم.

فكّرت: ألم يرمِ ديزل* نفسه عبر النافذة مقصورته؟ منتحرا بإغراق نفسه في رحلة في المحيط؟ ربما سأضطر لفعل هذا. هنا لا يوجد محيط، لكن هناك دائما طريقة ما. كما يكتب شكسبير، دبوس يُغرز من أحد طرفي القميص من الأمام، ووداعا فرينك. الفتاة التي لا يجب أن تخاف من إغارة متشرد قادم من الصحراء. تمشي مستقيمة مع وعي تام بتعدد احتمالات حدوث مواجهة تشد الأعصاب ضد خصم أشهب يسيل لعابه أو لنقل الموت بدلا عن هذا باستنشاق دخان عادم سيارة في الطريق السريع، أو ربما عبر أنبوب طويل مجوف.

---

* تقصد رودولف ديزل المهندس والميكانيكي الألماني الذي يُرجح أنه انتحر، بعد أن اختفى في ليلة من السفينة التي كان تنقله من مدينة أنتويرب- شمال بلجيكا- إلى لندن، وعثر على جثته من قبل طاقم هولندي في بحر الشمال بالقرب من النرويج بعد عشرة أيام.

تعلمت هذا من اليابانيين، فكّرت، الذين تبنوا السلوك الرزينة تجاه الفناء، إلى جانب جني المال من الجودو. كيف تقتل، كيف تموت. اليانغ واليين. لكن هذا فيما مضى، الآن: هذه أرض بروتستانتية.
من الرائع أن ترى الصواريخ النازية تمر فوق الرؤوس ولا تتوقف، ولا تكترث بتاتا لأي شيء في كانون سيتي- كولورادو، ولا في يوتا ولا وايومنغ أو الجزء الشرقي من نيفادا، ولا أي واحدة من مقاطعات الصحراء الجرداء والمراعي. ليس لنا قيمة، قالت لنفسها، بإمكاننا العيش خارج حياتنا التافهة. إذا أردنا هذا. إذا اكترثنا للأمر.
سمعت ضجة فتح الباب من أحدى الحمامات، أنهت الآنسة دافيز بحجمها الكبير استحمامها، وخرجت مرتدية ثيابها، ومحفظة نقودها تحت ذراعها. ’أوه، لقد كنت تنتظرين آنسة فرينك؟ أنا آسفة‘.
’لا بأس‘ أجابت جوليانا.
’هل تعلمين، آنسة فرينك، لقد تعلمت كثيرا من الجودو، حتى أكثر مما تعلمته من الزن. أردتُ أن أخبرك‘.
’يُنحف فن الزن وركيكِ’ قالت جوليانا ’ويساعد فن الساتوري* غير المؤذي على خسارة الوزن، آسفة آنسة دافيز، أنا شاردة الذهن‘.
’هل آذوكِ كثيرا؟‘.
’من؟‘.
’اليابانيون. قبل أن يعلموك كيف تدافعين عن نفسك؟‘.
’لقد كان مريعا’ أجابت جوليانا ’لم يسبق أن كنتِ هناك، على الساحل حيث كانوا‘.
’لم أكن لأخرج أبدا من كولورادو‘ قالت الآنسة دافيز، وارتعش صوتها بخوف.
’من الممكن أن يحدث الأمر هنا‘ قالت جوليانا، ’قد يقررون احتلال هذه المنطقة أيضا‘.
’ليس بعد هذا الوقت!‘.

* فن بوذي ياباني وتشير العبارة إلى الإيقاظ الروحي أو التنوير المفاجئ.

’لن يخطر ببالكِ ما يعزمون فعله‘ قالت جوليانا ’إنهم يخفون أفكارهم الحقيقية‘.
’ماذا- هل أجبروك على فعل؟‘ ضمت الآنسة ديفز محفظتها إلى صدرها بكلتا ذراعيها، واقتربت في ظلمة المساء لتسمع.
’كل شيء‘ أجابت جوليانا.
’يا إلهي، كنت سأقاتل’ قالت الآنسة دافيز.
استأذنتها جوليانا ثم مشت إلى الحمام الشاغر، ووصلت امرأة أخرى وهي تحمل منشفة فوق ذراعها. لاحقا، قعدت في كشك شطائر لحم تشارلي المشوية الشهية، تقرأ بسأم قائمة الطعام. وتذيع آلة الفونوغراف لحنا قديما، صوت غيتار معدني وأنينا بعاطفة مخنوقة... كان الهواء ثقيلا بدخان الدهن المتصاعد. أبهجها كون المكان دافئا ومشرقا. وأحدث وجود سائقي الشاحنة عند منضدة الطلبات، والنادلة، والطباخ الإيرلندي الضخم بسترته البيضاء- فرقا.
بمجرد رؤيتها تقدم منها تشارلي ليأخذ طلبها بنفسه. فتح فاه مبتسما وقال ’هل تريدين شايًا الآن آنستي‘.
’قهوة‘ ردت جوليانا متحملة دعابة الطباخ السمجة.
’وهو كذلك‘ قال تشارلي هازا رأسه.
’وشطيرة لحم حارة مع صلصة‘.
’ألا تريدين زبدية حساء الجرذان؟ أو ربما دماغ معزة مقلي بزيت الزيتون؟‘.
التفت سائقا الشاحنة من فوق كرسييهما، وابتسما تماشيا مع دعابة الطباخ. وكذلك سرّهما ملاحظة أنها جذابة جدا. وحتى بدون مداعبة الطباخ ستلفى سائقي الشاحنة يتطلعان إليها. منحتها شهور تدريب الجودو طبقة عضلات غير عادية؛ تعرف جيدا كيف تسيطر على نفسها، وأثّر ذلك في هيئتها. فكّرت في اللحظة التي رأت نظرتهما بأن كل ما عليها فعله هو الاكتفاء بحركة عضلات كتفيها. هذا ما يفعله الراقصون، أيضا. ليس للأمر علاقة بالحجم. ارسلوا زوجاتكم إلى المركز الرياضي وسوف نعلمهم. وستكونون أكثر قناعة بالحياة.
’ابقيا بعيدا عنها‘ حذّر الطباخ سائقي الشاحنة مع غمزة ’سترميكما في الحاوية‘.
توجهت بالسؤال إلى أصغر السائقي ’من أين أنتما؟‘.
’ميسوري’ أجاب الرجلان.
’هل أنتما من الولايات المتحدة؟‘ سألت.

’أنا‘ أجاب أكبرهما ’من فلاديفيا؟ لدي ثلاثة أطفال هناك. أكبرهم في الحادية عشرة‘.
’اسمع‘ قالت جوليانا ’هل من السهل أن تحصل على وظيفة جيدة هناك؟‘.
أجاب سائق الشاحنة الشاب ’بالتأكيد إن كان لديك لون البشرة المناسب‘. كان ذا وجه أسمر مكتئب وشعر أسود مجعد، وبدت تعابير وجهه صارمة ولاذعة.
قال أكبرهما ’إنه طلياني‘.
’حسنا‘ أجابت جوليانا ألم تربح إيطاليا الحرب. وابتسمت في وجه سائق الشاحنة الشاب لكنه لم يبادلها الابتسامة.
وبدلا من هذا، برقت عيناه الكئيبتان بشكل أكثر حدة، وأشاح بوجهه بعيدا فجأة. أنا آسفة، فكّرت، لكنها لم تقلها. لا يمكنني أن أنقذك أو شخص آخر من أن يكون أسمرَ. فكّرت بفرانك. أتساءل إن لم يمت بعد. قال الشيء الخطأ، تحدث متجاوزا الحد. لا، فكّرت، فهو بطريقة ما يحب اليابانيين. ربما وجد نفسه معهم لأنهم كانوا قبيحين. دائما ما أخبرت فرانك بأنه قبيح. بمسامات كبيرة، وأنف عريض. أما بشرتها فكانت صافية، على غير المعتاد. هل سقط ميتا من دوني؟ الواشي** حسّون بهيئة طير. ويقولون الطيور تموت.
’هل ستعود إلى الطريق الليلة؟‘ سألت سائق الشاحنة الإيطالي الشاب.
’غدا‘.
’إن كنت غير سعيد في الولايات المتحدة لماذا لا تغادرها من غير رجعة؟‘ قالت ’لقد عشت طويلا في منطقة الروكيز ولم تكن بذاك السوء، وعشت في الساحل، في سان فرانسيسكو. ولديهم موضوع البشرة نفسه‘.

تطلّع إليها برهة في اللحظة التي انحنى فوق المنضدة، أجاب الشاب الإيطالي ’سيدتي، لقد سئمت قضاء يوم بكامله أو ليلة بطولها في مدينة مثل هذه. فكيف بالعيش هنا؟ رباه- لو كان بإمكاني أن أحصل على عمل آخر، وألا يكون عملي

______

* وردت بكلمة Fink، وهنا تعريض بزوجها السابق فرانك فرينك (فينك) استخدم فيه فيليب أسلوب التورية إذ المعنى القريب هو الواشي، والمعنى البعيد المقصود هو زوجها.

في الطريق أتناول وجباتي في أماكن مثل هذه-' قطع حديثه وبدأ بشرب القهوة حين لاحظ اِحمرار وجه الطباخ.
قال سائق الشاحنة الكبير 'جو، أنت متكبر'.
'بإمكانك العيش في دنفر' اقترحت جوليانا. 'إنها مكان أجمل'. أعرفكم يا سكان شرق أمريكا، فكّرت، تحبون الحياة الفخمة، حالمين بمشاريعكم الكبرى. مدينة الروكيز ضئيلة كالأعواد بالنسبة لكم. لم يحدث شيء هنا حتى قبل أن تندلع الحرب، حيث يجتمع رجال مسنون متقاعدون، وفلاحون، وأغبياء، وبليدو الذهن، وفقراء... واندفع كل الشباب الأذكياء شرقا إلى نيويورك، عابرين الحدود بصورة شرعية أو غير شرعية. والسبب، فكرت، إنها المكان الذي يوجد فيه المال، صناعة المال الكبرى. الازدهار. أنجز الألمان الكثير من الاستثمارات... لم يكلفهم الأمر أمدا طويلا ليعيدوا بناء الولايات المتحدة.
قال الطباخ بصوت فظ غاضب 'رفيق. لستُ من محبي اليهود لكني رأيت العديد منهم يهربون من بلدك أمريكا في عام 49، وبإمكانك أنت أيضا الحصول على أمريكا خاصتك. إذا بُنيَ الكثير وأصبح جني الثروة سهلا فالسبب إنهم سرقوا مال اليهود عندما طردوهم من نيويورك، وذلك بفضل قانون نورمبرغ النازي. لقد عشت في بوسطن حينما كنت طفلا، ولم أرَ أي مزية في اليهود، لكني لم أتخيل قط بأني قد أرى قانون النازيين العنصريين يُطبق في الولايات المتحدة، حتى لو خسرنا الحرب. متعجب كيف أنك لست في الولايات المتحدة الأمريكية، والقوات المسلحة الأمريكية التي تستعد لغزو بلد صغير في أمريكا الجنوبية بمثابة واجهة للألمان ليستطيعوا دفع اليابانيين إلى الخلف قليلا-'.
وقف سائقا الشاحنة على أقدامهم بوجوه صارمة. التقط أكبرهما علبة صلصة الطماطم من المنضدة ورفعها بمستوى عنقه. ومن دون أن يستدبر الطباخُ الرجلين مدَّ أصابعه خلف ظهره حتى لمست أصابعه واحدة من شوكات اللحم وأخذها قابضا عليها.
قالت جوليانا 'تملك دنفر الآن واحدة من المدارج المقاومة للحرارة لأجل هبوط صواريخ لوفتهانزا فيها'.
لم يجب أحد من الرجال الثلاثة أو يتحرك. قعد الزبائن الآخرون بصمت. قال الطباخ أخيرا، 'طار أحدها نحو مغرب الشمس'.
'لم يكن متجها إلى دنفر' ردت جوليانا. 'لقد كان متجها غربا، إلى الساحل'.

قعد سائقا الشاحنة تدريجيا. قال أكبرهما ’أنسى دائما بأن القليل من الصُفُر في الجوار‘. قال الطباخ ’لم يقتل اليابانيون اليهودَ، في الحرب أو بعدها، ولم يبنِ اليابانيون الأفران‘.

’من المؤسف أنهم لم يفعلوها‘ قال سائق الشاحنة الكبير. التقط كوب قهوته واستأنف طعامه.

الصُفُر، فكرت جوليانا. نعم، أعتقد أن هذا صحيحٌ، نحب اليابانيين الموجودين في الجوار.

’أين ستبيت‘ سألت موجهة حديثها إلى سائق الشاحنة الشاب ’الليلة‘.

’لا أدري‘ أجاب. ’لقد خرجت من الشاحنة وولجت إلى هذا المكان. لا تعجبني هذه الولاية بالكامل. ربما سأنام في الشاحنة‘.

’نُزل الهوني بي ليس سيئا إلى ذلك الحد‘. اقترح الطباخ.

’حسنا، ربما سأبيت هناك‘ أجاب سائق الشاحنة الشاب ’إن لم يمانعوا لكوني أيطاليا‘. لديه لهجة خاصة على الرغم من محاولته إخفائها.

فكرت جوليانا وهي تراقبه، السعي وراء المثالية يجعله بهذه المرارة. يطلب الكثير من الحياة، يتحرك دائما، وقلق، ومهموم. أنا في الحال نفسه، لم أستطع البقاء في الساحل الغربي وفي النهاية لن أطيق المكوث هنا. ألم يكن القدماء هكذا؟ فكرت، غير إن الحدود اليوم لا تنتهي هنا إنما في الكواكب الأخرى.

ومضت في تفكيرها: بإمكاني أنا وهو أن ننضم لإحدى مراكب الاستعمار الصاروخية، لكنَّ الألمان سيقصوننا بسببه بشرته وبسبب لون شعري الأسود- أولئك الشماليون جِن قوات الحماية النازية* ذوو البشرة الشاحبة في قلاع التدريب ببفاريا. لا يملك هذا الشاب -جو أو أيا كان- حتى تعابير الوجه المطلوبة، يجب عليه أن يمتلك ذاك البرود بطلَّة حماسية، كما لو أنه لا يؤمن بشيء لكن بطريقة ما يملك إيمانا مطلقا. نعم، هذا ما هم عليه. ليسوا مثاليين مثلي وجو إلا إنهم كلبيون** بإيمان تام. يبدو الأمر وكأنه نوع من الخلل الدماغي كما في عمليات فص المخ الجراحية- ذلك التشويه الذي يقوم به علماء النفس الألمان كونه بديلا رخيصا للعلاج النفسي.

---

* قوات الحماية النازية: *Schutzstaffel*

** نسبة إلى الفلسفة الكلبية التشاؤمية.

رأت أن مشكلتهم مع الجِنس؛ لقد قاموا بشيء ما قذر ويعود إلى الثلاثينيات، ثم تفاقم إلى ما هو أسوأ. بدأه هتلر ربما مع- من؟ أخته؟ عمته؟ ابنة أخته؟ بطبيعة الحال قامت عائلته بهذا سابقا بشكل طبيعي فقد كان أبواه أبناء عمومة. يمارس جميعهم زنى المحارم، عائدين إلى الخطيئة الأصلية باشتهاء أمهاتهم. هذا هو تفسير سبب امتلاك نخبة جِن قوات الحماية تلك الابتسامة الملائكية المتكلفة والبراءة الشبيهة ببراءة الأطفال فهم يحفظون أنفسهم لأمهم. أو بعضهم لبعض ومن الأم في نظرهم؟ تساءلت. القائد، السيد بورمان، الذي من المفترض أنه يحتضر الآن؟

أو الرجل المريض. العجوز هتلر، ومفترض أنه داخل مصحة في مكان ما، يعيش المتبقي من حياته بخرف الشلل الجزئي. سفلس الدماغ، يرجع تاريخه إلى أيام فقره وهو متسكع في فيينا... بمعطف أسود طويل، وملابس داخلية قذرة، ومأوى رديء.

من الجلي إنَّ انتقام الإله التهكمي هذا مستلخص من بعض الأفلام الصامتة. ينهش هذا الرجلَ المتوحشَ رجسُه الداخلي، الوباء التاريخي للشر البشري.

الجزء المرعب من الأمر إن إمبراطورية ألمانيا المعاصرة كانت من مخرجات ذاك الدماغ المدبر. أولا حزب سياسي، ثم أمة، ليملكوا بعدها نصف العالم. وشخّصها النازيون بأنفسهم وعرفوها، ذاك الدجال طبيب الأعشاب الذي عالج هتلر، موريل*، وداواه بعلاج اسمه كبسولات الطبيب كوستر المضادة للغاز- وكان متخصصا في الأساس بالأمراض التناسلية. عرف العالم أجمع ذلك الأمر، ومع ذلك ما زالت ثرثرة القائد مقدسة، كتابا إلهيا. تأثرت وجهات النظر بحضارة اليوم، ومثل جراثيم الشر، رفرفت ملكات النازيين الضريرات من الأرض إلى الكواكب الأخرى ناشراتٍ التلوث.

ماذا ينتج عن سفاح المحارم غير الجنون والعمى والموت.

هزّت نفسها متحيرة.

’تشارلي‘ نادت الطباخ ’ألم تنتهِ من طلبي بعد؟‘ شعرت مؤكدا بالوحدة، وقفت على قدميها ومشت نحو منضدة الطلبات وقعدت بجوار المُسجِّل.

---

* ثيودور غيلبرت موريل: طبيب ألماني، وكان طبيب هتلر الشخصي (1886-1948).

لم يلاحظها أحد عدا سائق الشاحنة الإيطالي الشاب. كانت عيناه السوداوان مثبتتين عليها. جو، اسمه جو. جو ماذا؟ تساءلت.
مقتربة منه، أدركت الآن أنه لم يكن شابا كما ظنّت. من الصعب أن تحدد؛ هالة القوة حوله أخلت بحكمها. كان يخلّل أصابع يده الصلبة في شعره باستمرار، ساحبا إياه إلى الخلف بأصابع معقوفة صلبة. هناك شيء مميز بهذا الرجل، فكّرت. إنه يتنفس- الموت. أزعجها الأمر، وجذبها. حنى سائق الشاحنة الكبير رأسه وهمس لصاحبه. أمعن الاثنان النظر فيها إلا إن النظرة هذه المرة لم تكن نظرة النزعة الذكورية المعتادة.
’يا آنسة‘ قال أكبرهما. أصبح الرجلان متوترين تماما الآن. ’هل تعرفين ما هذا؟‘ رفع صندوقا مستويا أبيض اللون، لم يكن كبير الحجم.
’نعم‘ أجابت جوليانا. ’جوارب نايلون. منسوجة من ألياف اصطناعية من قبل المجموعة الاحتكارية الكبرى في نيويورك، فاربين للذكاء الاصطناعي. نادرة وثمينة جدا. عليك أن تسلمها إلى الألمان، الاحتكار ليس بفكرة سيئة‘. مرر سائق الشاحنة الكبير الصندوق إلى رفيقه الذي دفعه بكوعه باتجاهها فوق المنضدة.
’أتملكين سيارة؟‘ سألها الشاب الإيطالي مرتشفا قهوته. ظهر تشارلي من المطبخ حاملا طبقها.
’بإمكانك أن تقليني إلى ذاك المكان‘. ما زالت عيناه البريتان والصارمتان تتفحصانها، وبدأت تشعر بتوتر تدريجيا، ويزداد ذهولها. ’هذا النُزل. أو إلى أي مكان من المفترض أن أبات فيه الليلة. أليس كذلك؟‘.
’نعم‘ أجابت ’لدي سيارة. ستيدي بيكر قديمة‘.
نقل الطباخ نظراته منها باتجاه سائق الشاحنة الشاب ثم وضع الطبق أمامها على المنضدة.
***

قال المضيف عبر مكبر الصوت في نهاية ممر الطائرة ’انتباه، سيداتي وسادتي‘ فتح السيد باينز عينيه، وهو في كرسيه. وشاهد عبر النافذة عن يمينه الأراضي الخضراء والبنية البعيدة في الأسفل ثم الزرقاء؛ المحيط الهادئ. علم أن الصاروخ بدأ هبوطه البطيء الطويل. تحدث المضيف بالألمانية أولا فاليابانية وفي الأخير بالإنجليزية موضحا بألا يدخن أحدٌ أو يفك حزام كرسيه، ومبينا أن

الهبوط سيستغرق ثماني دقائق. أصدرت النفاثات الخلفية فجأة ضوضاء هازة المركبة بحركة عنيفة جدا، حتى إن عددا من الركاب لهثوا. ابتسم السيد باينز، وابتسم راكب آخر أيضا، جالس في المقعد المقابل له، شاب بشعر أشقر قصير.
'Sie furchten dasz'* بدأ الشاب الحديث، رد عليه السيد باينز فورا بالإنجليزية:
'آسف، لا أتحدث الألمانية.' تطلع الشاب إليه بتساؤل، وردد القوله ذاته بالألمانية.
'لا تتحدث الألمانية؟' رد الشاب الألماني مندهشا بنبرة إنجليزية.
'أنا سويدي' أجاب باينز.
'ركبت من تمبلهوف'.
'نعم، كنت في ألمانيا لأجل العمل. تأخذني أعمالي إلى عدد من البلدان'.
لقد كان واضحا أن الشاب الألماني لم يصدق أن أي أحد في العالم الحديث، أي شخص له صفقات أعمال دولية وركب -أو بإمكانه ركوب- أحدث صاروخ لوفتهانزا لا يرغب بتحدث الألمانية أو لا يتحدثها. قال للسيد باينز 'في أي مجال تعمل، سيدي؟'.
'البلاستيك. البوليسترات. الراتنجات. صناعة المواد المقلدة. وأترى؟ لا زبائن للسلع'.
'أيملك السويديون مصنع بلاستيك؟' قال شاكا.
'نعم، مصنع جيد جدا. إذا أعطيتني اسمك سأرسل إليك كراس الشركة'. أخرج السيد باينز قلمه ودفتر ملاحظات.
'لا تهتم بهذا. سيكون مضيعة للوقت. أنا فنان ولست بتاجر.، عفوا. من المحتمل أنك رأيت
أعمالي في تنقلك عبر القارة. أليكس لوتزه'. وانتظر.
'للأسف، لست مهتما بالفن الحداثي' قال السيد باينز. 'يعجبني الفن التكعيبي والتجريبي
القديمين في مرحلة ما قبل الحرب. أحب اللوحات التي تعني شيئا ما، لا التي تصور الذهن بتجرد'. وأشاح بوجهه.

---

* يخشون هذا.

’لكن هذه مهمة الفن‘. قال لوتزه. ’أن ترقى بروحانية الإنسان على الحسية. فكرتك عن الفن تلخص مرحلة الانحدار الروحاني، والفوضى الروحية، بسبب تفكك المجتمع، البلوتوقراطية القديمة. دعم اليهود وأثرياء الرأسمالية النزعة الدولية للفن المنحط. ذاك الزمان قد ولى؛ على الفن أن يمضي قدما- لا يمكن أن يظل مراوحا في مكانه‘.

أومأ باينز، ونظر إلى الخارج عبر النافذة.

’هل زرت دول المحيط الهادئ من قبل؟‘.

’عدة مرات‘.

’إنها المرة الأولى. هناك معرض لأعمالي في سان فرانسيسكو من ترتيب مكتب در جويبيل، بالتعاون مع السلطات اليابانية. تبادل ثقافي لتعزيز الفهم والمصالح الحسنة. يجب علينا إزالة التوتر بين الشرق والغرب. ألا تعتقد هذا؟ يجب أن نتواصل أكثر، والفن بإمكانه فعل هذا‘. أومأ باينز. في الأسفل، وخلف حلقة النار من محرك الصاروخ، أصبحت مدينة سان فرانسيسكو والخليج في مرمى النظر.

’أين يجب أن يأكل المرء في سان فرانسيسكو؟‘ كان لوتزه يتساءل. ’لدي حجوزات في فندق بالاس، ووفقا لمعرفتي من الممكن أن يجد المرء طعاما جيدا في الأماكن الدولية مثل المدينة الصينية‘.

’بالفعل‘ رد باينز.

’هل الأسعار غالية في سان فرانسيسكو؟ لقد استنفدت جيبي لأجل هذه الرحلة. والوزارة مقتصدة جدا‘. ضحك لوتزه.

’يعتمد الأمر على أسعار الصرف، بإمكانك تدبير هذا الأمر. وافترض أنك تحمل معك صك من بنك الرايخ لذا فأقترح عليك أن تذهب إلى بنك طوكيو في شارع سامسون وتصرفه هناك‘.

’شكرا جزيلا‘ قال لوتزه. ’سأفعل ذلك في الفندق‘.

وصل الصاروخ إلى الأرض تقريبا. بإمكان باينز الآن رؤية ساحة المطار، وحظائر الطائرات، وموقف سيارات كبير، والطريق السريع الخارج من المدينة، والمنازل... منظر مبهج جدا، حدّث نفسه. والجبال والمياه وشيء من الضباب السائر على الغولدن غايت.

’ما هذا الهيكل الكبير في الأسفل؟‘ سأل لوتزه ’إنه نصف مكتمل، مفتوح من جانب واحد. ميناء فضائي؟ اليابانيون لا يملكون مراكب فضاء كما أعتقد‘.

أجاب باينز بابتسامة، ’نعم، هذا إستاد غولدن بوبي، ملعب كرة المضرب‘.
ضحك لوتزه. ’نعم، يحبون كرة المضرب. شيء غير معقول. بدأوا بالعمل على هذا البناء العظيم منذ مدة، إضاعة وقت لأجل رياضة فارغة-‘.
قال باينز مقاطعا إياه ’لقد انتهى. وهذا هو الشكل النهائي. مفتوح من جانب واحد. تصميم معماري جديد. وهم فخورون به كثيرا‘.
تطلّع لوتزه إلى الأسفل وقال ’تبدو كما لو أن مصممه يهودي‘. تأمل باينز الرجل برهة. انتابه شعور قوي للحظة بأن في عقل الألماني حمق ذهاني وعدم اتزان. هل يعني لوتزه ما قاله؟ هل كان حقا تعليقا عفويا؟
’آمل أن أراك مجددا في سان فرانسيسكو‘ قال لوتزه في اللحظة التي لمس فيها الصاروخ الأرض. ’لن أشعر بالراحة من دون الحديث مع ابن بلدي‘.
’لست ابن بلدك‘. قال باينز.
’أوه، صحيح، لقد نسيت. لكنّك عرقيا تشبهني كثيرا. تشابه في كل النوايا والغايات‘. بدأ لوتزه بالتحرك في مقعده، مستعدا لفك الأحزمة الموثقة.
هل أنا عرقيا قريب له؟ تساءل باينز. قريب جدا لدرجة أن تكون النوايا والغايات متشابهة؟ هل هذا فيَّ، أيضا، الحمق الذهاني. العالم الذهاني الذي نعيش داخله. الرجال المجانين في السلطة. ما طول مدة معرفتنا لهذا؟ ومواجهته؟ وكم منا يعرف هذا؟ ليس لوتزه. ربما لو علمت بأنك مجنون لنفيت عنك الجنون أو إنك في طريقك لتصبح عاقلا في نهاية المطاف. اليقظة. أعتقد بأن القلة يعون هذا. أفراد منعزلون هنا وهناك. لكن الجماهير الغفيرة... ماذا يعتقدون؟ كل مئات الألاف في هذه المدينة هنا. أو هل يتخيلون أنهم يعيشون في عالم عاقل؟ أو ربما يخمنون ويلمحون، الحقيقة...؟
فكّر، ماذا تعني كلمة مجنون؟ تعريف متفق عليه. ما الذي أعنيه أنا. أشعر به. أراه. لكن ما هو؟ استمر بالتفكير، إنه شيء ما يفعلونه، شيء ما هو ماهيتهم. انعدام الوعي لديهم. عدم معرفتهم بالآخر. عدم إدراكهم بالذي يفعلونه بحق الآخرين، الدمار الذي سببوه ويسببونه. لا، أمعن في التفكير. ليس هذا. لا أعلم؛ أنا أحسُّ به، وأستشعره. إنهم قساة عن عمد... هل هذا هو؟ لا، رباه. لا يمكنني إيجاده أو توضيحه. هل يجهلون أجزاءً من الحقيقة؟ نعم، لكنه أكثر من ذلك. إنه خططهم. أجل، خططهم. استعمار الكواكب. شيء ما مسعور ومخبول، كاستعمارهم إفريقيا، وقبلها أوروبا وآسيا. وجهة نظرهم الكونية. ليست عن رجل

هنا أو طفل هناك، إنما الخلاصة: العِرق. الأرض. Volk. Blut. Ehre.* ليس الرجال الشرفاء بل الشرف ذاته، الشرف المستخلص الحقيقي، الواقع غير مرئي بالنسبة إليهم. Die Gute**، لكن ليس صالحا هذا الرجل الصالح. إنه إدراكهم للفضاء والزمن. يرون عبر الـ هُنا،
والآن، في عمق السواد الواسع الخارجي غير القابل للتغيير، وهذا يفتك بالحياة لأنه في النهاية لن توجد حياة. فيما مضى كانت توجد جسيمات الغبار في الكون فحسب، غازات الهيدروجين الساخنة، ولا شيء آخر، وستعود مجددا. فاصل يدوم لطرفة عين. تتسارع العمليات الكونية ساحقة الحياة ومعيدة إياها إلى الغرانيت والميثان؛ وتدور العجلة للحياة كلها. كل هذا مؤقت. ويستجيب أولئك -الرجال المجانين- للغرانيت والغبار، الشوق إلى الفناء يرغبون بمساعدة الطبيعة.
وتملى مفكرا، أعرف لماذا. يريدون أن يكونوا عملاء التاريخ لا ضحاياه. يُعرفون قوة الإله ويؤمنون بأنهم يشبهونه. هذا هو أساس جنونهم. تغلب عليهم النموذج البشري الأصلي فتمددت الأنا لديهم ذهانيا حتى أضحوا لا يعرفون من أين يبدأون لتغادرهم الألوهية. هذه ليست غطرسة ولا خيلا بل تضخم الأنا إلى أقصى حدودها- اضطراب بين العابد والمعبود. لم يأكل الإنسان الإله بل الإله من أكل الإنسان. الأمر الذي لا يدركونه هو عجز البشر. أنا ضعيف وصغير، ولست ذا أهمية للكون. إنه لا يلاحظني، أنا أعيش في الخفاء. لكن لمَ يُعدُّ ذلك سيئا؟ أليس هذا أفضل؟ من تلاحظه الآلهة يُدمَّر. كن صغيرا... وستتخلص من غِيرة العظماء.
قال باينز عندما كان يفك حزامه ’سيد لوتزه، لم أخبر أحدا بهذا قط. أنا يهودي، هل تفهم؟‘ حدّق لوتزه إليه ببؤس. ’لم تكن لتعرف هذا‘ قال باينز ’لأنني لا أبدو يهوديا بأي سمات جسمانية. أجريت عملية تعديل لأنفي، وصغّرت المسامات الجلدية الكبيرة، وبيّضتُ بشرتي كيميائيا، وغيّرت شكل جمجمتي. الخلاصة، لا يُمكن أن أُكشف جسديا. بإمكاني السير في الأوساط الاجتماعية العليا في المجتمع النازي وكثيرا ما فعلتها. ولن يستطيع أحد معرفتي أبدا. و-‘ توقف، اقترب منه،

---

* القومية. الدم. الشرف. ** الصلاح.

اقترب جدا من لوتزه وتحدث بصوت منخفض لا يستطيع أحد سماعه سوى لوتزه ’وهناك الكثيرون منا. هل تسمع؟ نحن لم نمت. نحن باقون. نحن نعيش في الخفاء‘.

نطق لوتزه متلعثما بعد لحظة ’شرطة الأمن-‘
’بإمكان جهاز الأمن النازي* مراجعة تسجيلاتي‘ قال باينز ’وأنت أيضا بإمكانك الإبلاغ عني لكنَّي أملك اتصالات رفيعة جدا. بعضهم من الآريين، وآخرون يهود في مناصب مهمة في برلين. سيهمل بلاغك، وبعدها فورا، سأبلغ عنك. وعبر هذه الاتصالات ذاتها، ستجد نفسك في الحبس الوقائي‘. ابتسم، وأومأ ومشى في ممر المركبة الصاروخية مبتعدا عن لوتزه، وانضم إلى المسافرين الآخرين.
نزل الجميع من سلم المركبة باتجاه ساحة المطار العاصفة والباردة، في الأسفل، ألفى باينز نفسه مرة أخرى للحظات بالقرب من لوتزه.

قال باينز وهو يمشي بجانب لوتزه ’في الحقيقة، لا يعجبني مظهرك سيد لوتزه، لذا أعتقد أني سأبلغ عنك على أي حال‘. ثم خطا خطوات واسعة تاركا لوتزه خلفه.
في نهاية ساحة المطار، انتظر عدد كبير من الناس عند مدخل المسافرين. أقارب، وأصدقاء المسافرين، كان بعضهم يلوح ويراقب مبتسما، ويبحث بقلق فاحصا الوجوه.
رأى رجلا يابانيا ضخما ومتوسط العمر، وأنيق يرتدي معطف أكسفورد بريطاني، وقبعة سوداء، يقف متقدما الآخرين بقليل، في جيب صدر معطفه الذي يرتديه شارة صاحب أعلى رتبة في البعثة التجارية لحكومة الإمبراطورية، وبجانبه ياباني أصغر منه. إنه هو، ميّزه باينز. أتى السيد تاغومي بنفسه للقائي. متقدما إلى الأمام، ناداه الياباني ’سيد باينز- مساء الخير‘ أمال رأسه بتردد. ’طاب مساؤك سيد تاغومي‘. قال باينز مقدما يده. تصافحا ثم انحنيا لبعض. وانحنى الشاب الياباني أيضا، مبتسما.

Sicherheitsdienst *

’الجو بارد قليلا في هذه الساحة المكشوفة‘ ابتدأ السيد تاغومي ’يجب أن نرجع إلى وسط المدينة بطائرة هليكوبتر خاصة. هل هذا يناسبك؟ أو تفضل أن نستقل المواصلات العامة؟‘. حدّق إلى وجه باينز بقلق.
’بإمكاننا أن ننطلق الآن‘ قال باينز ’عليَّ أن أفحص حقائبي في الفندق-‘.
’سيهتم السيد كوتوميشي بهذا‘ قال السيد تاغومي ’سيتابع الأمر. كما ترى في هذه المحطة يستغرق الأمر قرابة الساعة في انتظار الدور لتسلم الحقائب، أطول من مدة رحلتك‘.
ابتسم كوتوميشي موافقا.
’حسنا‘ قال باينز.
قال سيد تاغومي ’سيدي، لدي هدية لك‘.
’عفوا؟‘ رد باينز.
’تعبيرا عن امتناني لحضوركم‘. أدخل السيد تاغومي يده في جيب معطفه وأخرج علبة صغيرة. ’منتقاة من أجود التحف الفنية الأمريكية الموجودة‘ وأهداه العلبة.
’شكرا‘ قال باينز، وأخذ العلبة.
’قضى عديد الموظفين الظهيرة بأكملها يفحصون بقية التحف‘ قال السيد تاغومي ’وهذه أكثر قطعة أصيلة من أيام احتضار الثقافة الأمريكية القديمة، تحفة صناعية نادرا ما يحتفظ بأمثالها تحمل في طياتها عبق أيام الهالسيون الغابرة‘. فتح باينز العلبة، ورأى ساعة يد
نوع ميكي ماوس تتربع فوق بطانة مخملية سوداء.
هل كان السيد تاغومي يمازحه؟ رفع ناظريه، ورأى توتر السيد تاغومي ووجها مهتما. لا ليست مزحة. ’شكرا جزيلا‘ قال باينز، ’إنها فعلا مذهلة‘.
’عدد محدود جدا، ربما توجد عشر فقط من ساعات ميكي ماوس 1938 الأصلية في كل أنحاء العالم اليوم‘ قال السيد تاغومي متفحصا وجهه، ومأخوذا بردة فعله، وتثمينه لها. ’لا يوجد جامع تحف أعرفه يملك واحدة منها‘.
دخلا المحطة الجوية وصعدا معا مدرج الهليكوبتر. قال السيد كوتوميشي، وهو ماشٍ خلفهما:

Harusame ni nuretsutsu yane no temari kana…

’ماذا يقول؟‘ سأل باينز السيد تاغومي.

’قصيدة قديمة‘ أجاب السيد تاغومي. ’حقبة توكوغاوا الوسطى‘.

قال السيد كوتوميشي:

عندما تهطل أمطار الربيع
تُبلل على السطح
كرة طفل من الخِرق

4

رأى فرانك فرينك موظَّفَه السابق يتبختر نازلا الممر باتجاه منطقة العمل الرئيسة في شركة ويندام-ماتسون، وفكّر قائلا لنفسه إن الشيء الغريب في ويندام-ماتسون أنه لا يبدو كرجلٍ يملك مصنعا بل كأنه متسكع سمين قذر، ومدمن خمر، حُمِّمَ وأعطي ملابس جديدة، وحُلقت لحيته وصُفف شعره، ثم أخذ جرعة فيتامينات، وأرسل إلى الخارج وفي جيبه خمسة دولارات ليبدأ حياة جديدة. لدى هذا العجوز أسلوب ضعيف، وماكر، ومضطرب، وحتى متملق، فيتودد لأي شخص يرى أنه عدو محتمل أقوى منه، وتراه يتزلف له ويداهنه. كأن تصرفاته تنطق 'سوف يوقعون بي'. ورغم كل هذا فقد كان ويندام-ماتسون ذا سطوة كبيرة، فهو يدير مصالح متعددة عبر شركات ومضاربة بورصة، ووكيل عقارات، إضافة إلى مصنع شركة و-م.

متتبعا خطى العجوز، دفع فرينك الباب المعدني الكبير متجها إلى منطقة العمل الرئيسة، حيث صلصلة المكائن التي اعتاد سماعها حواليه كل يوم زمنا طويلا- مشهد الرجال أمام المكائن، وهواء مملوء بالوميض، وغبار النفايات، والحركة. ذهب العجوز هناك. أسرع فرينك في سيره.

'مرحبا سيد ويندام-ماتسون' هتف فرينك.

توقف العجوز عند رئيس عمال الورشة ذي اليد المُشعرة، إد مكّارثي. نظر الاثنان إليه عندما تقدم فرينك باتجاههما. قال ويندام-ماتسون بعد أن لمظ شفتيه 'آسف فرينك. لا يمكنني فعل أي شيء لإرجاعك. مضيتُ في الأمر وعيّنت أحدهم ليأخذ مكانك، لقد ظننت أنك لن تعود بعد الذي قلته'. طرفت عيناه الصغيرتان بطريقة عرفها فرينك جيدا فهي أشبه أن تكون مراوغة مورثة. لقد كانت تجري في دم العجوز.

ردَّ فرينك 'لقد أتيت لأجل أدواتي لا لشيء آخر'. كان سعيدا لسماع صوته الذي كان صارما، بل وقاسيا.

'حسنا، سنرى' قال ويندام-ماتسون، من الواضح إنه كان متحيرا بأمر أدوات فرينك. قال موجها خطابه لإد مكّارثي 'أعتقد أنها قد تكون في قسمك يا إد. ربما بإمكانك أن تهتم بموضوع فرينك هنا. لدي عمل آخر'. وحدق إلى ساعة جيبه.

’انصت إد، سنناقش هذه القضية لاحقا؛ عليَّ أن أمضي الآن‘ ربَّت على ذراع إد مكّارثي، وحثَّ الخطى خارجا، ولم يلتفت وراءه.
وقفَ إد وفرينك معا.
’لقد أتيت لتستعيد عملك‘ قال إد بعد وهلة.
’نعم‘ أجاب فرينك.
’كنت فخورا بالذي قلته أمس‘.
’أنا أيضا‘ قال فرينك ’لكن رباه، لا يمكنني العمل في أي مكان في الخارج‘. شعر بالهزيمة واليأس، وأضاف ’تعرف هذا‘. تشارك الاثنان ولزمن طويل في الماضي الحديث عن مشاكلهما.
قال مكّارثي ’لا أعلم هذا، أنت جيد بالعمل على ماكينة ثني الأسلاك الغليظة مثل أي شخص آخر في منطقة الساحل. لقد رأيتك تنجز القطعة الواحدة خلال خمس دقائق إضافة إلى صقلها بالقضيب الأحمر. كل شيء ابتداء من الحك بواسطة حجر كراتكس. وباستثناء اللحام-‘.
’لم أقل قط بأني أستطيع اللحام‘ قال فرينك.
’هل فكرت من قبل بالعمل لحسابك الخاص؟‘ داهمت المفاجأة فرينك الذي تلعثم ’ماذا أعمل؟‘
’صناعة المجوهرات‘.
’أوه، بربك!‘.
’مصنوعة حسب الطلب، قطع أصلية لا تجارية‘. أومأ له مكّارثي إلى زاوية الورشة، بعيدا عن الازعاج. ’بألفي دولار يمكنك أن ترتب ورشة صغيرة في قبو أو مرآب. رسمت في إحدى المرات تصاميم أقراط وقلائد نسائية. تتذكر النماذج الحديثة المعاصرة‘. أخذ ورقة تخطيط وبدأ بالرسم ببطء وتجهّم.
رأى فرينك من فوق كتفه تصميم سوار، رسم تجريدي بخطوط كثيرة. ’هل هناك متجر؟‘ كل الذي اطّلع عليه فرينك كان قطعا تراثية -حتى التحفيات النادرة- من الماضي. ’لا أحد يرغب بالقطع الأمريكية المعاصرة، لا يوجد شيء كهذا منذ الحرب‘.
’انشئ متجرك‘. قال مكّارثي بتكشيرة غاضبة.
’أتقصد أن أبيع بنفسي؟‘.

’خذها إلى محلات البيع بالمفرد. مثل ذاك- ما اسمه؟ في شارع مونتغومري، ذلك المكان الكبير الفاخر، والخاص بالقطع الفنية‘.
’متجر التحف اليدوية الفنية الأمريكية‘ أجاب فرينك. لم يذهب قط إلى محل أنيق وفخم مثله. قلة هم الأمريكيون الذين يفعلون ذلك فهو لليابانيين الذين يملكون المال للتبضع من أماكن مثل هذه‘.
’هل تعرف ماذا يبيع أصحاب هذه المحلات؟‘ سأل مكّارثي. ’ومن أين يجنون ثروتهم؟ يجلبون إبزيمات الأحزمة الفضية التي يصنعها الهنود من نيو مكسيكو. يبيعون هذه القطع الرديئة الخاصة بالسياح على أنها فن محلي‘. تأمل فرينك مكّارثي لزمن طويل. ’أعرف ماذا يبيعون أيضا‘ قال فرينك أخيرا ’وكذلك تعرف أنت‘.
’أجل‘ أجاب مكّارثي. كلاهما يعرف لأنهما ضالعان في هذا العمل بشكل مباشر، ولزمن طويل جدا.
لشركة ويندام-ماتسون وضعها التجاري القانوني المتضمن تصنيع سلالم الحديد المطاوع، والدرابزين، والمدافئ، والزخارف لعمارات الشقق السكنية الجديدة، وعلى نطاق واسع من تصاميم بمواصفات قياسية. ستصنع للمبنى الجديد ذي الأربعين وحدة القطعة نفسها أربعين مرة على التوالي. كان ظاهر شركة ويندام-ماتسون العمل في سبك الحديد إلا إن الشركة داومت على تجارة إضافية استمدت منها أرباحها الحقيقية.
تُنتج شركة ويندام-ماتسون كميات ثابتة من القطع الفنية الأمريكية المزيفة لمرحلة ما قبل الحرب باستخدامها أنواعا متعددة وخاصة من الأدوات واللوازم والمكائن. تُزود متاجر بيع التحف بالجملة بهذه القطع بحذر وإتقان، لتكون ضمن القطع الأصلية الموزعة عبر نواحي القارة. ولا يمكن لأي كان أن يقدّر نسبة التزييف عند تداول قطع تماما. مثل تجارة بيع العملات المعدنية والطوابع. ولا يرغب أي كان بمعرفة هذا- ولا سيما الباعة وجامعو التحف أنفسهم-.
عندما طُرد فرينك، كان هناك قطعة نصف مكتملة من مسدس كولت يعود لحقبة التوسع الأمريكي. صُنع نموذجا مطابقا، انتهى سبك الحديد، وكان مشغولا بصقل القطعة بيديه. هناك عدد لا محدود لمتاجر بيع الأسلحة الصغيرة الخاصة بالحرب الأهلية الأمريكية وحقبة التوسع، وكانت شركة ويندام-ماتسون تبيع كل ما يصنعه فرينك. وهذا ما امتاز به.

التقط فرينك وهو ماشٍ حول مقعده حجر الحك الخشن ومدك تنظيف المسدس. سيكتمل هذا المسدس بعد ثلاثة أيام. أجل، فكّر، لقد كان نموذجا جيدا إلا إن أي خبير يمكنه معرفة الفرق... لكنَّ الجامعين اليابانيين ليسوا ذوي حس معرفي سليم، ولا توجد معايير أو اختبارات يمكن الرجوع إليها.
في الحقيقة وكما درى فرينك، لم يخطر قط أن يسألوا أنفسهم هل هذه المسماة بالتحف الفنية الأمريكية المباعة في متاجر الساحل الغربي أصلية؟ ربما في يوم ما سيسألون... ووقتها ستنفجر الفقاعة، وسينهار السوق حتى سوق القطع الأصلية كما في قانون گريشام: الزائف يقوّض قيمة الأصلي. وهذا بلا شك كان الدافع وراء عدم فحصها والتأكد منها، في نهاية المطاف يبدو الجميع سعيدا هكذا. تنتج المصانع الموزعة في كل أرجاء المدينة هذه القطع، ويجنون أرباحهم. تمرر المتاجر جميعا هذه المنتجات، والباعة يعرضونها ويروجون لها. ويدفع جامعو التحف المال ويحملون مشترياتهم إلى منازلهم بسعادة ليُثيروا إعجاب شركائهم وأصدقائهم وعشيقاتهم. وكما في اختلاس المال القذر في مرحلة ما قبل الحرب كان كل شيء على ما يرام حتى طُرح السؤال، لم يؤذَ أحد- حتى يوم الحساب. وقتها كل شخص وبالتساوي، سينال ما يستحق ويدمّر إلا إن أي شخص لم يتحدث عن هذا ولا سيما أولئك الذي يكسبون عيشهم من صناعة هذه القطع المزيفة، لم يشغلوا بالهم بتاتا بالذي قاموا به، ويحافظون على اهتمامهم بمشاكل التقنية فحسب.
’متى كانت آخر مرة حاولت فيها القيام بتصميم أصلي؟‘ سأل مكّارثي.
أجاب فرينك هازا كفته ’منذ سنوات، بإمكاني أن أصنع نسخة بإتقان تام، لكن-‘.
’أتعرف بماذا أفكر؟ أعتقد أنك أخذت فكرة النازيين بأن اليهود لا يمكنهم الإبداع. باستطاعتهم التقليد والبيع فقط. والعمل سماسرة‘. أمعن مكّارثي النظر في فرينك بلا رحمة.
’ربما‘ أجاب فرينك.
’جرّب. صمم بعض النماذج الأصلية أو اعمل مباشرة بالمعدن. العب في الجوار كما يلعب الأطفال‘.
’لا‘ ردَّ فرينك.
’لا تملك إيمانا بنفسك‘. قال مكّارثي، ’لقد فقدت إيمانك بنفسك كليا، أليس كذلك؟ سيئ جدا لأني أعلم أن بإمكانك فعلها‘ وخرج مبتعدا عن مصطبة العمل.

الأمر سيئ جدا، فكّر فرينك، ومع ذلك كلامه صحيح. إنها الحقيقة ليس لدي إيمان أو حماسة لامتلاك الرغبة أو القرار. هذا ألمكّارثي، رئيس عمال ممتاز. يملك موهبة تحفيز المرء، ويخرج أفضل ما عنده، ويقوم بأقصى جهد على الرغم من نفسه. إنه قائد بالفطرة، لقد كاد يلهمني، للحظات، إلا إن مكّارثي اختفى الآن، وجهوده فشلت.

من المؤسف إنني لا أملك نسخة من المستخار، كان باستطاعتي أن أشاوره في هذا، وآخذ المسألة إليه ولحكمته التي تمتد لخمس آلاف سنة. وتذكر أن هناك نسخة من I Ching في ردهة مكتب الشركة. لذا فقد أسرع مغادرا منطقة العمل مجتازا الممر وبعجالة عبر مكتب العمل قاصدا الردهة. قعد على أحد كراسي الردهة المصنوع من الكروم والبلاستيك، وكتب سؤاله في ظهر ظرف الرسالة:

’هل يتوجب عليَّ البدء بمحاولة افتتاح محل خاص بي كما عُرض عليَّ للتو؟‘ ثم بدأ برمي العملات المعدنية.

حصل في الخط السفلي على سبع نقاط، وكذلك كان في الخط الثاني والثالث. عرف أن المخطط الثلاثي السفلي هو Ch'ien. الأمر مبشر بخير؛ Ch'ien/ المبدع. ثم حصل في القسم العلوي على ثماني نقاط في الخط الرابع، وكذلك على ثماني نقاط في الخط الخامس، خط اليين. رباه، وفكّر بحماس، خط يين آخر وأحصل على السداسية الحادية عشرة، سداسية T'ai/ السلام.

حكم مفضل جدا، أو خط يانغ وستكون السداسية السادسة والعشرون، Ta Chu/ ترويض قوة العظيم. وارتعشت يده عندما خضَّ العملات. للاثنين حكم مفضل جدا، لا بد أن تكون هذه أو تلك، ورمى العملات النقدية الثلاث.

خط يين. إنها سداسية السلام*.

فتح الكتاب وقرأ الحُكم:

سلام. الصغير يغادر

الكبير يصل.

حظ سعيد. نجاح.

---

* يبدأ بناء السداسية، من الأسفل إلى الأعلى، حيث حصل فرينك في بادئ الأمر على ثلاث خطوط يانغ متصلة، وحصل في الرابع والخامس على خط يين متقطع، وحصل في الخط السادس "الأول من الأعلى" على خط "يين قديم" متحرك، لذا فقد انتقلت من السداسية الحادية عشرة- سداسية السلام- إلى السداسية السادسة والعشرين- سداسية ترويض قوة العظيم.

يجب عليَّ أن أفعل كما قال إد مكّارثي. أفتتح عملي الصغير. الخط السادس في القمة، الخط المتحرك الوحيد. قلب الصفحة. ماذا كان النص؟ لم يستطع تذكره. من المحتمل أنه نص محبب لأن السداسية نفسها كانت مبشرة جدا. اتحاد السماء والأرض- لكنَّ الخط الأول والأخير يقعان خارج السداسية دائما، لذا فاحتمالية ست نقاط في القمة...

لمحت عيناه الخط وقرأها بسرعة خاطفة:

يتداعى الجدار إلى الخلف نحو الخندق
لا تستخدم جيشك الآن
أصدرْ أوامركَ في حدود مدينتك
فالمواظبة تجلب التواضع

يا للحظ العاثر! هتف مرعوبا. والتعليق:

ألمحَ التغيير في وسط السداسية إلى أن أحداثها بدأت تقع. ينهار جدار المدينة باتجاه الخندق، من حيث حُفِر. حانت ساعة الموت...

كانت وبلا شك واحدة من أوحش الخطوط في كل الكتاب، من بين أكثر من ثلاثة آلاف خط إلا إن حكم السداسية كان جيدا.

أي واحدة يُفترض أن أتبع؟ وكيف يمكن أن يكونا على هذه الدرجة من الاختلاف؟ لم يسبق أن حدث هذا الأمر معي من قبل، حظ سعيد وموت مختلطان معا في نبوءة المستخار.

ما أغرب هذا القدر! كما لو أن المستخار كشط قاع برميل، وطرح كل ما فيه من رواسب وعظام وروث في الظلام ثم ناقض نفسه وأشعل الضوء مثل طاهٍ أصابه الجنون.

لا بد أني ضغطت على زرين في وقت واحد، هذا ما اِعتقَدَه، واختلطت الأمور وحصلت على عين سوء الطالع في رؤية الحقيقة. ولحسن الحظ لم يدم الأمر أكثر من ثانية.

سحقا، يجب أن تكون هذه أو تلك. لا يمكن أن يكونا كلتيهما. لا يمكنك الحصول على حظ سعيد وموت معا.

أو... هل يمكن؟

العمل في صناعة المجوهرات سيجلب ثروة جيدة؛ يشير الحكم إلى هذا. لكنَّ ذاك الخط، الخط الملعون؛ إنه يشير إلى شيء ما أعمق، مصائب مستقبلة محتملة حتى إنها غير مرتبطة بعملي في صناعة المجوهرات. شر ما يتربص بي بشكل ما...

الحرب! خمّن. حرب عالمية ثالثة! تقتل اثنين مليار منا، وتمحو حضارتنا. وتسقط القنابل الهيدروجينية مثل المطر.

يا إلهي! فكّر. ماذا يحدث؟ هل أنا من بدأتها بحركة خاطئة؟ أو هناك شخص آخر تلاعب بها، شخص ما لا أعرفه؟ أو إنه خطأنا جميعا. إنه خطأ هؤلاء الفيزيائيين ونظرية التزامن تلك، فكل جسيم في الكون مرتبط مع كل جسيم آخر، لا يمكنك حتى أن تضرط دون أن تغيّر توازن الكون. الأمر الذي يجعل الحياة نكتة مضحكة ولا يوجد أحد يضحك. أفتح كتابا لأحصل على تقرير عن أحداث مستقبلية حتى الإله سيرغب بوضعها في ملف وينساها. ومن أنا. الشخص الخطأ، بإمكاني أن أخبرك هذا. يجب عليَّ أن آخذ أدواتي، وأحصل على دراجتي من مكّارثي، وأفتتح محلي، وأبدأ مشروعي المتواضع، وأستمر بالرغم من الخط المرعب.

أعمل وأشق طريقي وصولا إلى النهاية وأعيش بأحسنَ ما يمكنني وأنشطَ ما أستطيع حتى يتداعى الجدار إلى الخلف في الخندق على رؤوسنا جميعا، على البشرية جمعاء. هذا ما يخبرني به المستخار. سيذبحنا مصيرنا في النهاية بشكل أو بآخر ويجب أن أعمل في هذه الأثناء؛ يجب أن أستخدم عقلي، ويدي.

كان الحُكم لي فقط، من أجل عملي لكنَّ الخط؛ كان لنا جميعا.

أنا ضئيل جدا، فكّر. بإمكاني أن أقرأ المكتوب فقط، وألقي نظرة إلى الأعلى ثم أخفض رأسي، وأتهادى راجعا من حيث أتيت كما لو أني لم أرَ شيئا. لا يأمل المستخار مني أن أبدأ الركض صعودا وهبوطا إلى الشارع صارخا ومثرثرا لجذب اهتمام الناس.

هل بإمكان أي أحد أن يغير هذه النبوءة؟ تساءل. يقع الأمر على عاتقنا جميعا... أو ربما شخصية عظيمة واحدة... أو شخصٌ ذو منصب مهم يقف في المكان المناسب. حظ؟ حادث ما. حياتنا وعالمنا معلقان عليه.
أغلق الكتاب وغادر الردهة ومشى عائدا إلى منطقة العمل الرئيسة. لوح لمكّارثي حين رآه وانفرد به جانبا لاستئناف حوارهما.
’كلما أمعنتُ التفكير في فكرتك‘ قال فرينك، ’زاد إعجابي بها أكثر‘. ’جيد‘ علّق مكّارثي وأردف قائلا ’اسمع. هذا ما ستقوم به، يجب عليك أن تأخذ المال من ويندام-ماتسون‘ غمز له غمزة ارتعش لها جفنه ببطء وحدّة وخوف. ’لدي طريقة لفعل هذا. سأترك عملي واشترك معك. أترى تصاميمي، ما الخطأ فيها؟ أظن أنها جيدة‘.
’بالطبع‘ أجاب فرينك، مبهورا بعض الشيء.
’سأراك الليلة بعد العمل. تعال لشقتي قرابة السابعة وتناول العشاء معي وجين- إن كان باستطاعتك تحمل الأطفال‘.
’حسنا‘ أجاب فرينك.
ضربه على كتفه وغادر.
لقد خطوت في طريق طويل خلال الدقائق العشر الأخيرة، قال فرينك لنفسه. لم يكن يشعر بالقلق الآن بل الحماس. بالتأكيد حدث كل شيء سريعا، حدّث نفسه ماشيا حول المصطبة يلملم أدواته. أخمن أن مثل هذه الأمور تحدث بهذه الطريقة. هكذا هي الفرصة عندما تأتي-
لقد انتظرت حياتي بأكملها لأجل هذا. عندما قال المستخار ’شيء ما يجب أن ينجز‘- كان يعني هذا. التوقيت عظيم فعلا. ما الوقت الآن؟ ما هذه اللحظة؟ غيّرت ست نقاط في الموضع الأعلى للسداسية الحادية عشرة كل شيء إلى السداسية السادسة والعشرين. البين أصبحت اليانغ؛ تغيّر الخط فظهرت لحظة جديدة. كنت بعيدا لمسافة حتى إنني لم أكد ألاحظ. أراهن أن هذا سبب حصولي على ذلك الخط المريع، إنها الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تتغير فيها السداسية من الحادية عشرة إلى السادسة والعشرين، بحصولي على الخط المتحرك في الموضع الأعلى. ولهذا كان يجب ألا أتدخل في جلبة كهذه. لكنه لم يستطع أن يخرج ذلك الخط من تفكيره على الرغم من حماسه وتفائله.

يا للمفارقة، لكن سأقوم بمحاولة جيدة، قال لنفسه، ربما في السابعة الليلة سأتمكن من نسيان هذا الموضوع كما لو أنه لم يحدث قط. آمل هذا لأن عملي مع إد سيكون عظيما. يملك فكرة ناجحة بالتأكيد، بإمكاني إدراك هذا. ولا أقصد أن أجد نفسي خارج الموضوع. أما الآن، فأنا لا شيء لكن كان بإمكاني فعلها، بعدها ربما أستطيع أن أستعيد جوليانا. أعرف ما الذي تريده- تستحق أن تتزوج من رجل ذي شأن، رجل مهم في المجتمع لا من أبله ما. كان الرجال رجالا في الأيام الخوالي، ما قبل الحرب. أما الآن فكل ذلك مضى.
لا غرابة أنها تتجول باحثة من مكان إلى آخر، من رجل إلى رجل. ولا تدري حتى هي ما الذي تبحث عنه وما احتياجاتها البيولوجية، أما أنا فأعرف، وخلال هذا الحدث الكبير مع مكّارثي -أيا ما كان- سأقوم بإنجازه لأجلها.
***

أغلق روبرت تشيلدان في استراحة غداء الظهيرة متجر التحف اليدوية الفنية الأمريكية. كانت العادة أن يعبر الشارع ويأكل في المقهى في مدة لا تتجاوز نصف ساعة لكنّه اليوم عاد بعد مضي عشرين دقيقة. إن ما حدث بينه وبين السيد تاغومي وموظفيه في مبنى البعثات التجارية أصاب معدته بالاضطراب.
قال لنفسه في طريقة عودته إلى متجره ربما يتوجب إقرار سياسة بيع من دون المكالمات الهاتفية. نجري كل الأعمال داخل المتجر.
قضاء ساعتين في العرض وقت طويل جدا. أربع ساعات في المجموع؛ صار الوقت متأخرا لإعادة فتح المتجر. انقضت ظهيرة بأكملها لبيع غرض واحد، ساعة ميكي ماوس واحدة، كنز ثمين، لكنه- فتح باب متجره ووضع دعامته، وذهب ليعلق معطفه في الجهة الخلفية من المتجر. عندما عاد ألفى زبونا. فكّر، رجل أبيض، حسنًا. مفاجأة.
’طاب يومك، سيدي‘ قال تشيلدان وانحنى بلطف. من المحتمل أنه عميل بينوك. كان نحيلا، ومكفهرَ الوجه تقريبا، ومهندما جيدا وأنيقا لكنّه متقلق، وينضح عرق طفيف منه.
’طاب يومك‘ قال الرجل، وتحرك في المحل ليتفحص المعروضات، وبلحظة وصل إلى منضدة المتجر مد يده إلى معطفه وأخرج من كيس جلدي صغير بطاقة متعددة الألوان مطبوعة باحترافية، ووضعها على المنضدة.

شعار الإمبراطورية على البطاقة، وشارة العسكرية- سلاح البرية. الأدميرال هاروشا، تفحص تشيلدان البطاقة مندهشا.
’سفينة الأدميرال‘ وضّح الزبون، ’راسية الآن في خليج سان فرانسيسكو. البارجة سيوكاكو‘.
’أجل‘ قال تشيلدان.
’لم يزر الأدميرال هاروشا الساحل الغربي من قبل قط‘ قال الزبون موضحا ’يأمل تحقيق عديد الرغبات وهو هنا، وواحدة منها زيارة شخصية إلى متجرك الشهير. كثيرا ما سمع
في الأرخبيل الياباني عن متجر التحف اليدوية الفنية الأمريكية‘.
انحنى تشيلدان ببهجة.
’على أي حال‘ تابع الرجل ’نظرا لضغط مقابلاته فالأدميرال لا يمكنه الحضور شخصيا
إلى متجرك الموقّر لذا فقد أرسلني. أنا أحد رجاله‘.
’هل الأدميرال جامع تحف؟‘ سأل تشيلدان، وبدأ دماغه يعمل بأقصى سرعة.
’محب للفن ومتذوق لكنَّه ليس بجامع تحف. وما يرغب به تحفا يهديها ليدهشهم: يرغب بإهداء كل ضابط في سفينته تحفة فنية تاريخية ذات قيمة، سلاح خاصرة من الحقبة الملحمية للحرب الأهلية الأمريكية‘. توقف الرجل ’لديه اثنا عشر ضابطا‘.
فكّر تشيلدان، اثنتا عشرة قطعة سلاح خاصرة من الحرب الأهلية. تكلف المشتري: قرابة اثني عشر ألف دولار، وارتعش.
’كما هو معروف جيدا‘ أردف الرجل ’يبيع متجرك تحفا فنية لا تقدر بثمن من صفحات التاريخ الأمريكي. وللأسف، فقد يذهب كل شيء إلى طي النسيان‘.
قال تشيلدان منتقيا عباراته بحرص كبير فلا يمكنه أن يخسر كل هذا بزلة واحدة.
’نعم هذا صحيح، وأملك، من بين كل المتاجر في ولايات المحيط الهادئ الأمريكية، أجود قطع السلاح من الحرب الأهلية يمكن تصورها. وسأكون سعيدا بخدمة الأدميرال هاروشا. هل يجب أن أجمع المجموعة الرائعة وأحضر إلى ظهر البارجة؟‘.
’لا. سأقوم بفحصها هنا‘ أجاب الرجل.

اثنتا عشرة. عدَّهن تشيلدان. لا يملك اثنتي عشرة قطعة سلاح، في الحقيقة الأمر يملك ثلاثا فقط، لكنَّ بإمكانه تدبير البقية إذا حالفه الحظ عبر قنوات متنوعة في غضون أسبوع عبر الشحن الجوي من الشرق ومن اتصالاته بالمتاجر البيع بالجملة المحلية.

قال تشيلدان ’أنت سيدي، هل لديك خبرة بأسلحة كهذه؟‘

’نوعا ما‘ أجاب الرجل ’لدي مجموعة صغيرة من الأسلحة اليدوية، من بينها مسدس سري صغير صُنع ليبدو كقطعة دومينو نوع سيركا 1840‘.

’قطعة فخمة‘. علّق تشيلدان حين ذهب إلى المنطقة المؤمّنة في متجره لجلب عدة قطع سلاح لرجل الأدميرال المحترم ليفصحها. وعندما عاد وجد الرجل يحرر له صكّا مصرفيا. توقف الرجل وقال ’يحب الأدميرال أن يدفع مقدما. هذا عربون بقيمة خمسة عشر ألف دولار‘.

دارت الغرفة بعيني تشيلدان إلا أنه تدارك الوضع ليسيطر على نبرة صوته، حتى إنه قال بصوت يبدو عليه عدم الاهتمام ’إن شئت، هذا غير ضروري؛ فهذه من شكليات العمل‘. وناوله صندوقا من الجلد واللباد وأردف قائلا ’هذه قطعة نادرة، مسدس كولت عيار 44 لعام 1860‘. فتح الصندوق ’بارود أسود ورصاصة كروية، صُنع للجيش الأمريكي، إذ كان الجنود ذوو البزات الزرقاء يحملونه خلال معركة بول رَن الثانية‘.

تفحص الرجل المسدس لوقت غير قصير ثم رفع عينيه وقال بهدوء ’سيدي، هذه القطعة مقلدة‘.

’ماذا؟‘ قال تشيلدان بعدم استيعاب.

’هذه القطعة لا يتجاوز عمرها ستة شهور. سيدي عرضك مزيف. غمَّني الأمر. انظر، الخشب هنا عُولِجَ صناعيا عبر حامض كيمياوي. يا للعار!‘ ثم ألقى المسدس. التقط تشيلدان المسدس ووقف حاملا إياه بين يديه. لم يستطع أن يقول أي شيء. قلّب المسدس مرات ومرات، ونطق أخيرا قائلا ’لا يمكن هذا!‘.

’نسخة مقلدة لقطعة سلاح تاريخي أصلي، لا شيء آخر. أخشى يا سيدي بأن بخيلا معدوم الضمير خدعَك. يجب أن تبلغ عن هذا شرطة سان فرانسيسكو‘. انحنى الرجل. ’أحزنني هذا. ربما تملك قطعا مقلدة أخرى أيضا، في محلك. هل من الممكن يا سيدي بصفتك المالك والتاجر الذي يتاجر بهذه القطع أن لا تستطيع تمييز الأصلي من المزيف؟‘.

عمَّ صمت المكان.
التقط الرجل صك نصف المكتمل الذي حرره، وأعاده إلى جيب معطفه وضع قلمه في جيب آخر ثم انحنى.
’يا للعار، سيدي من المؤسف إني لا أستطيع أن أتعامل مع متجر التحف اليدوية الفنية الأمريكية، وفوق كل هذا سيخيب أمل الأدميرال هاروشا. وأنت ترى موقفي الآن.
خفض تشيلدان بصره باتجاه المسدس.
’طاب يومك سيدي‘ قال الرجل ’أرجو منك أن تتقبل نصيحتي المتواضعة، عيّن خبيرا ما ليفحص لك حاجياتك. سمعتك... متأكد بأنك تفهم‘.
قال تشيلدان ’سيدي، هل بمقدورك أن-‘
’اطمئن سيدي، لن أذكر هذا لأي أحد. سأخبر الأدميرال هاروشا بأني وجدت متجرك اليوم مغلقا لسوء الحظ. وفي نهاية الأمر-‘ وقف الرجل قرابة باب الخروج ’كلانا أبيض‘ انحنى مرة أخرى وغادر.
أمسك تشيلدان المسدس وحيدا هذه المرة.
لا يعقل، قال لنفسه، لكن هذا وارد. يا إلهي. لقد تدمرتُ. خسرت خمسة عشر ألف دولار، وسمعتي إن كُشف الأمر وإذا كان رجلَ الأدميرال هاروشا المحترم غير كتوم.
سأنتحر، قرر. فقدت مكانتي، لا يمكنني أن أمضي قدما. هذا جلي.
ثم ألا يحتمل إن الرجل قد أخطأ.
ربما كذب.
أو إنه أُرسل من قبل الولايات المتحدة للقطع التاريخية لتدميري أو من قبل الساحل الشرقي للفن الراقي.
أو أي شخص من منافسيَّ.
المسدس بلا شك أصلي. كيف يمكن أن أكشف هذا؟ فكّر تشيلدان مليا. سأفحص المسدس لدى قسم البانولوجي في جامعة كاليفورنيا. أعرف شخصا هناك، ولقد تعاملنا لمرة في الأقل. حدث أمر مشابه سابقا بادعاء عدم أصلية إحدى قطع سلاح بريتش لودر قديم. وبعجالة اتصل بواحد من مكاتب المِرسال وخدمة التوصيلات في المدينة، وأخبر الموظف أن يرسل له أحد العاملين. قام بتغليف السلاح بعدها وكتب ملاحظة إلى مختبر الجامعة مخبرا إياهم بعمل تقدير

متخصص لعمر السلاح وإعلامه فورا عبر الهاتف. وصل عامل التوصيل فأعطاه تشيلدان ورقة الملاحظة والمغلّف، والعنوان، وطلب منه أن يذهب بالهليكوبتر. ذهب العامل، وبقي تشيلدان يمشي في متجره بلا توقف ولا هدف منتظرا... ومنتظرا.

اتصلت الجامعة في الساعة الثالثة عصرا.
'سيد تشيلدان' وصله الصوت 'لقد طلبت فحص أصلية هذا السلاح، سلاح جيش نوع كلوت 44' صمت برهة، فتسنى لتشيلدان أن يحكم قبضته على سماعة الهاتف ويترقّب وجلا 'هذا تقرير المختبر، السلاح نسخة من مصبوبة في قوالب بلاستيكية باستثناء الجزء الخشبي.
كل الأرقام التسلسلية خطأ. الهيكل لم يصلّب بمعالجة السيانيد. أُسبغَ كلا من سطحي اللونين البني والأزرق بتقنية حديثة سريعة التأثير، عُولجَ السلاح اصطناعيا ليبدو وكأنه قديم وبالٍ'.
قال تشيلدان مثقلا بالهم 'الرجل الذي جلبه إلي لتقييمه-'
'أخبره بأنه خُدعَ' قال تقني الجامعة مقاطعا 'بخدعة محبوكة جدا. إنه عمل متقن تمَّ من قبل محترف حقيقي. أتعرف الأجزاء المعدنية الزرقاء في قطعة السلاح الأصلي. وُضعت هذه الأجزاء في صندوق ذي شرائط جلدية وممهورة بغاز السيانيد، ومسخّنة ببطء شديد أما هذه القطعة صُنعت في ورشة عمل مجهّزة بإتقان. لقد كشفنا أجزاء من عدة قطع مطلية وتامة، وبعضها غير اعتيادي بالمرة. حتى اللحظة لا يمكننا إثبات شيء إلا أننا نعي أن هناك مصنع ينتج هذه القطع المزيفة بانتظام. لا بد من وجوده. لقد رأينا الكثير'.
'لا' قال تشيلدان 'هذه إشاعة فحسب. بإمكاني أن أضمن هذا الأمر حقيقةً جليةً سيدي' وبصوت متردد ومكسور أكمل 'وأنا من الأهمية بمكان لأعرف هذا. ثم لماذا تظن أني أرسلت لك. هذه القطعة؟ بإمكاني. أن أعرف زيفها كوني. مؤهلا لسنين من التدريب، قطعة بهذه الندرة واستثنائية، في الواقع الأمر برمته مجرد نكتة. مزحة'. قطع حديثه لاهثا وقال 'شكرا لتأكيدكَ ملاحظاتي. أرسل إلي الفاتورة. شكرا' ووضع السماعة فورا.
ومن دون توقف أخرج سجلاته، وبدأ بالقراءة متتبعا معلومات المسدس. كيف وصل إليه؟ وممن؟

اكتشف المصدر، لقد حصل عليها من أحد أكبر متاجر التزويد التي تبيع بالجملة في سان فرانسيسكو، من قبل راي كالفن وشركائه في فان نيس، واتَّصلَ به فورا.
’أريد محادثة السيد كالفن‘ قالها، وأصبح صوته رزنا قليلا.
أجابه في الحال صوت أجش، ومنهمك جدا ’نعم‘.
’أنا بوب تشيلدان، متجر التحف اليدوية الفنية الأمريكية في شارع مونتغمري. راي لدي مسألة في منتهى الحساسية. أرغب برؤيتك في اجتماع خاص في وقت ما اليوم في مكتبك أو أي مكان آخر. صدقني سيدي، عليك أن تأخذ طلبي بعين الاعتبار‘. اكتشف حالا أنه كان يجأر في الهاتف.
’حسنا‘ قال راي كالفن.
’لا تخبر أحدا. الأمر سري تماما‘.
’الساعة الرابعة؟‘.
’موافق‘ قال تشيلدان ’في مكتبك. طاب يومك‘. صفق سماعة الهاتف بعصبية حتى إن الهاتف سقط بأكمله من منضدة المحل إلى أرضية المتجر، نزل على ركبتيه وأمسك الهاتف وأعاده إلى مكانه فوق المنضدة.
ما زال هناك ساعة ونصف الساعة قبل موعدهم. عليه أن يقضي كل هذا الوقت، بلا أي عمل منتظرا. ماذا أفعل. خطرت له فكرة. اتصل بمكتب سان فرانسيسكو الرسمي لاستعلامات طوكيو في شارع ماركت.
’سيدتي‘ قال ’أرجوك أعلميني فيما إن كانت البارجة سيوكاكو في الميناء، وإذا كانت فمنذ متى؟ أقدر لك لو أعلمتني هذا من مصادركم الإخبارية‘.
صمت ثقيل، ثم عادت الشابة.
’وفقا لغرفة المعلومات، سيدي‘ قالت بصوت ضاحك ’إن البارجة سيوكاكو في قاع بحر الفلبين. لقد أغرقتها الغواصة الأمريكية سنة 1945، هل من أسئلة أخرى سيدي؟‘ من المؤكد إنهم في مكتب المعلومات أدركوا بأن أحدهم أوقعه في مقلب ساذج. أغلق السماعة. لا يوجد بارجة سيوكاكو منذ سبع عشرة سنة. من المحتمل أيضا، لا وجود للأدميرال هاروشا. كان الرجل دجالا ومع ذلك فقد أصاب. مسدس كولت 44 مزيف.
لا يبدو هذا الأمر منطقيا.

ربما كان هذا الرجل سمسارا يحاول أن يحتكر سوق أسلحة الجيب الخاصة بحقبة الحرب الأهلية. خبير، وعلمَ بأنها مزيفة. وهو سيد المحترفين. الأمر يحتاج إلى خبير لمعرفة هذا، شخص في هذا المجال لا مجرد جامع تحف.
شعر تشيلدان بشعور طفيف من الراحة. ومن الممكن أن تكتشف ثلة أخرى ذلك، وربما لا أحد. السر بأمان.
هل أتغاضى عن الأمر.
تملّى الأمر. لا. يجب أن أحقق. وقبل كل شيء، أن أستعيد استثماري وأحصل على تعويض من راي كالفن. ويجب أن أفحص كل ما أملك من قطع في مختبر الجامعة.
ولو افترضنا أن كل القطع ليست بأصلية؟
مسألة عويصة.
هذا هو الطريق الوحيد، شعر بأنه منحوس ويائس. أذهب إلى راي كالفن. أجتمع به، وأصر عليه أن يتتبع مصدر الأمر. قد يكون بريئا أيضا وربما ليس كذلك. في كل الأحوال أخبره، لا مزيد من القطع المزيفة بعد اليوم أو لن أتعامل معك مجددا.
عليه أن يستوعب خسارته، قرر تشيلدان. لست وحدي الذي يتحملها. إذا لم يفعل، سأتواصل مع كل باعة المفرد الآخرين وأخبرهم. سأشوه سمعته، لماذا عليَّ أن أتدمر وحدي؟ لا بد من تمرير المسألة إلى من كان مسؤولا، ناول البطاطا الساخنة ليد أخرى حتى لا تحترق يدك. يجب أن يسوّى الأمر بسرية تامة، وأن تبقى المسألة بيننا لا غير.

5

حيّرت مكالمةُ راي كالفن السيدَ ويندام-ماتسون. لم يستوعب ما حدث لأسلوب كالفن السريع في الحديث وبعض الشيء لوقت المكالمة -الحادية والنصف مساءً- حين كان ويندام-ماتسون يستمتع مع سيدة زائرة لشقته في فندق موروماتشي.
قال كالفن ’اسمع صديقي، سنعيد الشحنة الأخيرة التي استلمناها من رجالك. وأود أن أعيد مواد أخرى قبلها لكننا دفعنا ثمن كل البضاعة باستثناء الشحنة الأخيرة، والفاتورة بتاريخ الثامن عشر من أيّار‘.
من الطبيعي إن ويندام-ماتسون يود أن يعرف لماذا.
’كل القطع مزيفة‘ قال كالفن.
’لكنَّك على علم بهذا‘ قال ويندام مصعوقا ’كالفن، لقد كنت مدركا لهذا الوضع دائما‘. تطلع حواليه، ذهبت المرأة إلى مكان ما، لعلها في الحمام.
رد كالفن ’لي علمٌ بأنها مزيفة. أنا لا أتحدث عن هذا بل عن رداءة قطع يسهل تمييزها. وفي الواقع لستُ مكترثا فيما إن كان سلاح ما قد استخدم في الحرب الأهلية حقا أو لم يستخدم؛ بل أكترث لمدى الجودة المرضية لسلاح كولت 44، هذه القطعة أو أيا ما كان موجودا في لائحتك. يجب أن تكون مطابقة للقطع الأصلية. هل تعرف روبرت تشيلدان؟‘.
’نعم‘ ذاكرته ملتبسة، لم يستطع تذكر الشخص وتحديد هويته على الرغم من أهمية الحديث. لا بد إنه شخص مهم.
’لقد كان هنا اليوم. في مكتبي. بالمناسبة أحدثك من مكتبي لا البيت، ما زلنا مشغولين بهذا الأمر. جاء تشيلدان وثرثر كثيرا في هذا الموضوع. لقد كان غاضبا كالجحيم، ومهتاجا جدا. من الواضح انَّ زبونا مهما له، أدميرال ياباني أو شيء من هذا، أتاه أو أرسل رجله إليه. تحدث تشيلدان عن عشرين ألف دولار، ومن المحتمل أن الرقم مبالغة، والذي حدث -وهذا الجزء الذي لا أشك فيه- جاءه الياباني وأراد الشراء، وأخذ نظرة على قطعة من مسدس كولت 44. الذي يصنعه رجالك، وعرف أنها مزيفة، أعاد ماله إلى جيب بنطاله وغادر. والآن ما قولك؟‘.

لم يكن هناك شيئا يمكن لويندام-ماتسون التفكير فيه ليقوله إلا إنه قلق بشأن وضعه فورا: إنهما فرينك ومكّارثي. لقد قالا سنقوم بشيء ما، وهذا هو. ولم يقدر ويندام أن يفهم ماذا فعلا، لذا فلا يملك شيئا يقنع كالفن به.
استحوذ على ويندام خوف عظيم. كيف أمكنهما تزييف قطعة صنعت في آخر شباط؟ افترض أنهما قد يذهبان إلى الشرطة أو الصحافة أو ربما لحكومة بينوك في ساكرامنتو، وعليه أن يأخذ بعين الاعتبار كل هذه الاحتمالات. لم يعرف ماذا يخبر كالفن. تكلم في الموضوع مدة بدت له كأنها أبدية وتمكَّن في النهاية من ختم المحادثة وغلق الهاتف.
أدرك في اللحظة التي وضع سماعة الهاتف بأن ريتا أتت من الحمام واستمعت إلى كل الحوار، وكانت تتجول بنزق في الغرفة ذهابا وإيابا، ترتدي قميص نوم أسود فقط، وينساب شعرها الأشقر على كتفيها العاريين النَمِشين.
'أخبر الشرطة' قالت ريتا.
حسنا، فكّر، من المحتمل أن الموضوع لن يكلف شيئا إذا عرض عليهما ألفي دولار أو مبلغا قريبا. وسيقبلان به، وهذا كل ما يحتاجان إليه. أمثالهما من الصغار يكتفون بالقليل وسيبدو لهما مبلغا كبيرا. ومن الوارد أن يستثمراه في عملهما الجديد، ثم يخسرانه، ويفلسان مرة أخرى في الشهر نفسه.
'لا' قال ويندام.
'لمَ لا؟' الابتزاز جريمة'.
من الصعب أن يوضح لها. لقد كان معتادا أن يدفع للناس؛ إنها جزء من النفقات العامة كالفوائد. إذا كان المبلغ زهيدا بما يكفي... لكنَّها لن تفهم جوهر الموضوع. وتملّى في مشكلته.
سأدفع لهما ألفي دولار وكذلك سأتواصل مع ذلك الشاب- محقق الشرطة- في المركز المدني الذي أعرفه. سأطلب منه التحقيق في سجل كل من فرينك ومكّارثي ولنرى إن كان هنالك ما يمكن استخدامه ضدهما. لذا فإن عادا مجددا- سأكون قادرا على التعامل معهما.
وتذكر أن شخصا ما أخبره بأن فرينك يهودي. غيّر أنفه واسمه. كل ما عليَّ فعله أن أخبر القنصل الألماني هنا. أمر معتاد. وسيطلب من السلطات اليابانية تسليم المجرم، ليسمموا هذا التافه بالغاز حين يعبرون به الحدود. أعتقد بأنهم سيضعونه في إحدى معسكرات نيويورك. معسكرات الأفران.

’أنا متفاجئة‘ قالت المرأة ’أن يستطيع أي شخص ابتزاز رجلٍ في مقامك‘ وعينيها مثبتتينِ عليه.

’حسنا، سأخبرك‘ قال ’إن الأعمال التجارية. المنوطة. بالقيمة التاريخية ليست. إلا محض هراء. هؤلاء اليابانيون مجانين. سأثبت لك هذا‘. ذهب إلى مكتبه مسرعا، وعاد في الحال وبيده قدّاحتي سجائر ووضعهما على منضدة القهوة. ’انظري إلى هاتين، انظري إلى الشبه، أليستا متشابهتين؟ انصتي. تملك إحداهما مزية التاريخية‘ وابتسم لها ابتسامة عريضة. ’التقطيهما، هيّا. تعادل إحداهما ثروة، أربعون أو خمسون ألف دولار في سوق جامعي التحف‘.

التقطت المرأة القدّاحتين بحذر شديد وفحصتهما.

’هل تشعرين بها‘ مازحها ’التاريخية؟‘.

أجابت ’ما الذي تعنيه "التاريخية"؟‘.

’شيء ما يحمل التاريخ في ذاته. انظري، إحدى هاتين القداحتين قدّاحة زيبو التي كانت في جيب فرانكلين روزفلت وقت اغتياله، والأخرى لا. إحداهما تحوي التاريخية، مملوءة بها، كما لم تحوِها أي قطعة أخرى. والأخرى لا تحوي شيئا. هل بإمكانك الشعور بها؟‘ حثّها على التدقيق ’لا يمكنك هذا، ليس بمقدورك أن تميزي الأصلية. ولا يوجد هناك أي "بلازمة غامضة فيها" أو "هالة" تحيطها‘.

’يا إلهي‘ قالتها خائفة ’هل هذا صحيح حقا؟ إن إحداهما كانت في جيبه ذلك اليوم؟‘.

’بالتأكيد، وأعلم أيهما. اسمعي وجهة نظري، كل ما في الأمر عبارة عن جلبة كبيرة، يخدعون بها أنفسهم. أقصد ليس هناك فرق لو أن سلاحا ما كان في معركة شهيرة مثل مويز-أرغون أو لم يكن، ما لم تعرفي هذا، الأمر هنا‘ ونقر على رأسه ’في العقل لا في السلاح. اعتدت أن أكون جامع تحفيات. وبهذه الطريقة دخلت إلى هذا المجال. جمعت طوابع المستعمرات البريطانية الأولى‘.

وقفت المرأة قبالة النافذة عاقدة ذراعيها فوق صدرها تطالع أضواء وسط مدينة سان فرانسيسكو. وقالت ’اعتاد أبي وأمي أن يقولا لم نكن لنخسر الحرب لو بقي حيًّا‘.

’حسنا‘ واستمر ويندام-ماتسون في حديثه ’لنفرض بأن الحكومة الكندية أو شخص ما اكتشف السنة الماضية لوحات مطبوع عليها أختام قديمة، وحبرها قديم كذلك. ومُوردها -‘.

’أنا لا أومن فيما إن كانت واحدة من هاتين القدّاحتين لفرانكلين روزفلت‘ قاطعته المرأة.
قهقه واتسون-ماندون ’هذه هي وجهة نظري، أود أن أثبتها لك عبر نوع من الوثائق. وثيقة تثبت الأصالة. الأمر برمته محض زيف ووهم كبير. الوثيقة تؤكد قيمة القطعة لا القطعة ذاتها‘.
’أرني الوثيقة‘.
’بالتأكيد‘ وثب شاقا طريقه وعاد إلى مكتبه. وأخذ من الجدار شهادة معهد سميثسونيان المؤطرة، كلفته الوثيقة والقدّاحة ثروة، لكنّهما استحقا فقد مكنتاه من إثبات إنه كان محقا في أن "مزيف" لا تعني شيئا في الواقع منذ أن أصبحت كلمة "أصلي" لا تعني شيئا في الواقع أيضا.
’كولت 44. هو كولت 44‘ أخبر الفتاة فور عودته سريعا إلى غرفة المعيشة. ’الأمر لا يتعلق بسبطانة السلاح والتصميم وقت صناعته بل يتعلق بـ-‘.
رفعت يدها إليه وأعطاها الوثقية.
’إذن هي أصلية‘ قالت في نهاية المطاف.
’نعم. هذه‘ والتقط قدّاحة بخدش طويل على الجانب.
’أعتقد أن عليَّ الذهاب الآن. سأراك مجددا في أمسيّة أخرى‘. وضعت الوثيقة والقدّاحة ومشت باتجاه الحمام حيث ثيابها.
’لماذا‘ صرخ باهتياج ولحقها. ’تعلمين أن الشقة آمنة تماما، وزوجتي لن تعود لأسابيع، لقد وضحت لك الوضع كاملا بسبب علّة انفصال الشبكية لديها‘.
’ليس لأجل هذا‘.
’ماذا إذن؟‘.
’أرجوك اتصل بسائق البيدي كاب ريثما أرتدي ثيابي‘ قالت ريتا.
’سأوصلك إلى منزلك‘ قال بكدر.
ارتدت ثيابها وحينما كان يخرج لها معطفها من الخزانة تجولت صامتة في الشقة. بدت غارقة في التأمل، وحتى كئيبة بعض الشيء. الماضي يجعل الناس تعساء، تنبّه لهذا. اللعنة؛ لماذا تحدثت فيه؟ لكن بحق الجحيم ما زالت شابة-اعتقدتُ أنها بالكاد ستعرف اسمه.
انحنت راكعة باتجاه خزانة الكتب وسألت وهي تخرج كتابا ’هل قرأت هذا الكتاب؟‘

نظر مليا بسبب قصر النظر. غلاف فاقع. رواية. ’لا‘ أجاب. ’زوجتي جلبته، إنها تقرأ كثيرا‘.
’يجب عليك أن تقرأه‘.
ما زال متعكر المزاج، أخذ الكتاب وحدّق إليه **"الجندب يستلقي ثقيلا"** وسأل ’أليس هذا أحد الكتب المحظورة في بوسطن؟‘.
’محظور في الولايات المتحدة، وبالتأكيد في أوروبا أيضا‘ ثم ذهبت إلى باب الصالة ووقفت هناك منتظرة.
’لقد سمعت عن هاوثورن أبندسن هذا‘. في الواقع لم يسمع عنه شيئا. وكل ما استطاع تذكره عن الكتاب كان- ماذا؟ إن الكتاب ذو شعبية كبيرة حتى اليوم. موضة أخرى عابرة. هوس قرّاء آخر.
انحنى وأعاد الكتاب إلى الرف. ’لا أملك الوقت لقراءة الروايات المشهورة فأنا مشغول بالعمل‘.
يقرأ أمناء العمل هذه الفضلات وحيدين في منزلهم قبل النوم ليلا، فكر ساخرا، وتثيرهم، يقرأونها بدل القراءة عن أمور حقيقية.
يخشون القراءة عنها إلا أنهم بالتأكيد يتوقون إلى ذلك.
’لا بد إنها رواية من قصص الحب‘ قالها عندما فتح باب الصالة متجهما.
’ليست كذلك‘ قالت ’إنها قصة حرب‘ وأكملت حين تمشيا نازلين باتجاه المصعد ’يقول أشياء
كالتي كان والديَّ يقولانها‘.
’من؟ أبندسن ذاك؟‘.
’هذه نظريته. لو أن زانجارا* فشل في اغتيال روزفلت، من الممكن إنه كان سينقذ أمريكا من الكآبة ويسلحها عسكريا ولذلك-‘ قطعت حديثها. وصلا إلى المصعد وكان هناك أناس آخرون ينتظرون.
لاحقا، استأنفت حديثها عندما كان ويندام-ماتسون يقود سيارته المرسيدس-بينز في الطريق ليلا.

---

* جيسوب زانجارا: إيطالي الأصل، حاول في الحقيقة اغتيال الرئيس الأمريكي روزفلت في عام 1933، وأُعدم بالكرسي الكهربائي.

’تنص نظرية أبندسن على أن روزفلت سيكون رئيسا قويا بشكل لا يصدق. قويا مثل لينكولن. أظهر هذا في السنة التي حكم فيها عبر كل التدابير التي قام بها. الكتاب عبارة عن عمل خيالي. أقصد في شكل رواية. لم يُغتل روزفلت في ميامي، لقد بقي حيا وأعيد انتخابه
في عام 1936، لذا كان الرئيس حتى عام 1940، حتى خلال الحرب. أتفهم؟ كان لا يزال رئيسا حين هجمت ألمانيا على إنجلترا وفرنسا وبولندا. وشهد كل هذا. لقد جعل أمريكا قوية. كان غارنر رئيسا مريعا بشكل فظيع. يتحمل مسؤولية الكثير مما حدث ثم في عام 1940 انتخِب رئيسا من. الحزب الديمقراطي. بد.لا من بريكر-‘.
’وفقا لأبندسن هذا‘ قاطعها ويندام-ماتسون. حدق إلى الفتاة الجالسة بجانبه. رباه، يقرأون كتابا، فكّر في هذا، ويتحدثون عنه بلا انقطاع!
’تنص نظريته بأنه بدلا من رئيس انعزالي مثل بريكر فقد انتُخِب ريكسفورد توغويل رئيسا عام 1940 خلفا لروزفلت‘. عكس وجهها الناعم أضواء إشارات المرور وتوهج بحيوية؛ اتسعت عيناها وكانت تومئ أثناء حديثها ’واستمر بنشاط في تتبع خطوات روزفلت في سياساته المعادية للنازيين، لذا فقد كانت ألمانيا خائفة من مساعدة اليابان في عام 1941. ولم يفخرا بمعاهدتهم. أأنتَ معي؟‘ التفتت باتجاهه وأمسكتْ كتفه بشدة، وقالت ’خسرت ألمانيا واليابان الحرب!‘.
ضحك ويندام-ماتسون.
صوبت ناظريها إليها باحثة في وجهه عن شيء ما- لم يبدِ أي تعبير وفوق هذا فقد كان عليه أن ينتبه للسيارات الأخرى- قالت ’إن الأمر غير مضحك. كان من الممكن أن يحدث ذلك بالفعل، وكانت باستطاعة أمريكا هزيمة اليابان و-‘.
’كيف؟‘ قاطعها.
’لقد وضّح كل شيء في روايته‘. وصمتت للحظات. ’الأمر في إطار خيالي. بالطبع حوت الكثير من الأحداث الخيالية، أعني لا بد أن تحوي على أجزاء مسلية وإلا ما كان الناس ليقرأوها. إن لموضوعها طابع إنساني، هناك شابان، الفتى في الجيش الأمريكي
 والفتاة - حسنا بطبيعة الحال، الرئيس توغويل داهية حقا، أدرك ما الذي سيقوم به اليابانيون‘. وأكملت بقلق ’لا بأس بالحديث عن هذا، سمح اليابانيون بتداول

هذه الرواية في دول المحيط الهادئ. قرأت إن شريحة كبيرة من اليابانيين يقرأونها. إنها رواية مشهورة في
جزر الأرخبيل الياباني. لقد أسالت الكثير من الحبر'.
قال ويندام-ماتسون 'اسمعي، ماذا قال عن هجوم بيرل هاربر*؟'.
'الرئيس توغويل شديد الذكاء سحبَ كل السفن من البحر لذا فلم يُدمر الأسطول البحري الأمريكي'.
'نعم'.
'لم يحدث هناك هجوم بيرل هاربر. هاجم اليابانيون إلا أن كل ما وجدوه كان بعض القوارب الصغيرة'.
'الرواية تدعى "**الجندب** وشيء ما"؟'.
'**الجندب يستلقي ثقيلا**. عنوان مقتبس من الكتاب المقدس**'.
'وهُزمت اليابان لأنه لم يكن هناك هجوم بيرل هاربر. اسمعي، اليابان كانت ستنتصر بأية حال حتى لو لم يحدث هجوم بيرل هاربر'.
'يمنعهم الأسطول البحري الأمريكي -في الرواية- من أخذ الفليبين وأستراليا'.
'سيأخذونهما بأي وسيلة، لقد كان أسطولهم البحري خارقا. أعرف اليابانيين حق المعرفة ومقدر لهم أن يُحكموا سيطرتهم على المحيط الهادئ. كانت الولايات المتحدة في تدهور وانحدار منذ أيام الحرب العالمية الأولى. دُمِّرت كل دولة من دول الحلفاء في تلك الحرب أخلاقيا وروحانيا'.
ردّت المرأة بعناد 'لو لم يأخذ الألمان مالطا فإن تشرتشل كان سيبقى في الحكم ويقود إنجلترا إلى النصر'.
'كيف؟ وأين؟'.
'في شمال إفريقيا- كان تشرتشل سيهزم روميل في نهاية المطاف'.
قهقه ويندام-ماتسون.
'لو هزمت بريطانيا روميل، كان بمقدورهم تحريك جيشهم بأكمله إلى الخلف والأعلى باتجاه تركيا للانضمام إلى الجحافل الروسية المتبقية وصمدوا معهم- في

---

*غارة جوية مباغتة نفذتها في الواقع البحرية الإمبراطورية اليابانية في السابع من كانون الأول عام 1941 ضد الأسطول الأمريكي.
**الإنجيل: سفر الجامعة 12:5 "والجندب يُستثقل...".

الرواية، أوقفوا زحف الألمان وتقدمهم نحو الشرق باتجاه روسيا في بلدة على نهر الفولغا. لم نسمع عن تلك البلدة قط إلا إنها موجودة فعلا، فقد بحثت عنها ووجدتها في الأطلس'.

'ما اسمها؟'.

'ستالينغراد. وغيّر البريطانيون دفة الحرب لصالحهم هناك. لذا -في الكتاب- لم يتحد رومل قط مع الجيوش الألمانية التي أتت من روسيا، جيوش فون باولوس، أتتذكرها؟ ولما استطاع الألمان قط الذهاب إلى الشرق الأوسط ولا الحصول على ما يحتاجونه من النفط، أو وصولا إلى الهند كما فعلوا في الواقع

ويتحدوا مع الجيش الياباني. و-'.

'لا توجد إستراتيجية على ظهر البسيطة بإمكانها هزيمة إرفين روميل،' قاطعها ويندام-ماتسون وأكمل 'ولا توجد إستراتيجيات يمكن الحلم بها كما فعل هذا الرجل، هذه البلدة التي تدعى "ستالينغراد" تاريخية جدا في روسيا، وما كان لأي هجوم محكم أن يقوم بشيء سوى أن يؤخر وقوع النتائج، لم يكن ليغير شيئا. اسمعي، لقد قابلت روميل. في نيويورك، كنت في عمل هناك عام 1948'. في الواقع، رأى فقط الحاكم العسكري للولايات المتحدة الأمريكية مرة واحدة في غرفة استعلامات البيت الأبيض ومن بعيد.

'يا له من رجل، أي وقار وتأثير! لذا فأنا أعرف عما أتحدث ' وتوقف عن الحديث.

'كان أمرا مفزعا' قالت ريتا 'عندما أُبعد رومل عن منصبه وعُيّن ذاك الفضيع لاميرز* في مكانه. حدث ذلك عندما بدأت عمليات القتل وتجميع الحشود العسكرية في المخيمات'.

'لقد كانوا موجودين عندما كان روميل الحاكم العسكري'.

'لكنَّه-' قالت 'لم يكن في منصبه رسميا وقتها. ربما أولئك سفاحو قوات الحماية النازية من قاموا بكل تلك الأفعال... إلا أنه كان مثل البقية، وأشبه بأولئك القادة البروسيين القدماء. لقد كان صارما-'

'سأخبرك من قام بعمل جيد في الولايات المتحدة الأمريكية' قال ويندام-ماتسون 'الشخص الذي بإمكانك أن تنظري إليه متطلعة إلى تحقيق إنعاش اقتصادي.

---

* هانز لاميرز: حقوقي ألماني وسياسي نازي شهير (1879-1962).

إنه ألبرت سبير*. لا روميل ولا منظمة تودت. لقد كان سبير أفضل من نصبَه الحزب في شمال أمريكا. جعل كل تلك الأعمال والشركات والمصانع- كل شيء!- تواكب أعمالها على أسس فعّالة. أتمنى لو أننا امتلكنا ذلك هنا، فلدينا خمس جماعات تتنافس فيما بينها في مضيعة مرعبة للجهود. ليس هناك ما هو أحمقَ من التنافس الاقتصادي'.
قالت ريتا 'ما كان بمقدوري أن أعيش في مخيمات العمل، وتلك المساكن التي كانت لديهم فيما مضى في الشرق. عاشت صديقتي هناك. راقبوا بريدها- ولم تستطع أن تخبرني عن هذا الأمر حتى عادت. وعليهم أن يستيقظوا منذ السادسة والنصف صباحا من أجل الفرقة الموسيقية'.
'كنت ستعتادين هذا. وستنظفين المساكن، وتحصلين على طعام كافٍ، ووقت للاستجمام، وتزودين بالعناية الطبية. ماذا تريدين أكثر؟ بيضة في كأس بيرتك؟'
كانت سيارته الألمانية تشق ضباب الليل البارد لسان فرانسيسكو باتزان.
**
تربَّع السيد تاغومي على الأرض. وحمل كأس شاي أولونغ صيني بين يديه الذي كان ينفخ فيه بين الفينة والأخرى، ثم ابتسم بوجه السيد باينز.
'تملك مكانا جميلا هنا' قال باينز مباشرة 'يعم الهدوء ساحل المحيط الهادئ. إنه مختلف تماما عن الوضع هناك'. لم يحدد باينز مكانا بعينه.
'يحدث اللهُ الإنسانَ عبر علامة المثير' قال السيد تاغومي.
'عفوا؟'.
'المستخار. آسف. التماس الاستجابة القشرية'.
شارد الذهن، فكّر باينز، تلك هي العبارة التي يقصدها، وابتسم لنفسه.
'نحن ننافي المنطق' قال السيد تاغومي 'لأننا نعيش معتمدين على كتاب عمره خمس آلاف سنة. نسأله الأسئلة كما لو كان حيا، إنه حي كالكتاب المقدس. العديد من الكتب ما زالت في الواقع حيّة لا في هيئة مجازية. الروح تُنعشها. أتفهم هذا؟' وتفحص وجه السيد باينز بحثا عن ردة فعله.

** وزير التسليح والتصنيع العسكري في الحقبة النازية (1905-1981).

قال باينز منتقيا عباراته بعناية 'أنا- لا أعرف الكثير عن الدين. إنه خارج اختصاصي، وأفضّل الحديث في مواضيع أملك باعا فيها'. في الواقع لم يكن

متأكدا عن أي شيء كان يتحدث السيد تاغومي. لا بد أني متعب، فكّر باينز. كان هناك... منذ أن وصلت مساءً، نوعا من... جودة قليلة في كل شيء وجودة أقل مما في الحياة مع مسحة محفّزة للضحك، ما هذا كتاب الذي يصل عمره إلى خمس آلاف سنة؟ وساعة ميكي ماوس، والسيد تاغومي ذاته، وكوب الشاي سهل الكسر بيد السيد تاغومي... و، في الجدار المواجه للسيد باينز رأس جاموس كبير، غاضب وقبيح.

’ما ذاك الرأس؟‘ سأل باينز فجأة.

’ذاك‘ أجاب السيد تاغومي ’إنه لا شيء أقل من مخلوق أُستديم من قدامى البدائيين في الأيام الغابرة‘.

’نعم‘.

’هل أشرح لك فن نحر الجواميس؟‘ وضع السيد تاغومي كوب الشاي على المنضدة ووقف على قدميه. كان يرتدي داخل منزله في المساء رداءً حريريا، وينتعل خفين، وربطة عنق بيضاء. ’هنا أمتطي صهوة حصان حديدي‘ ولوح بيده في الهواء ’في الجانب الآخر، بندقية

وينتشستر لسنة 1866 من ضمن مجموعتي‘. وحدق إلى وجه السيد باينز مستعلما. ’أنت متعب من السفر، سيدي‘.

’أخشى ذلك‘ قال باينز ’لقد كان السفر منهكا بعض الشيء، الكثير من هموم العمل‘. وهموم أخرى، فكّر. رأسه يؤلمه. تساءل لو كانت مسكنات مصنع الذكاء الاصطناعي موجودة في منطقة ساحل المحيط الهادئ، فقد أصبح معتادا عليها بسبب الآلام الثاقبة لرأسه.

’يجب علينا جميعا أن نؤمن بشيء ما‘ قال السيد تاغومي ’لا يمكننا معرفة الأجوبة والمضي إلى الأمام معتمدين على أنفسنا‘.

أومأ السيد باينز.

’عند زوجتي علاج لرأسك‘ قال السيد تاغومي حين رآه يزيح نظارته ويفرك جبهته ’تسبب عضلات العين الألم، عذرا‘ انحنى وغادر الغرفة.

كل ما أحتاجه هو النوم، فكّر باينز، أن أنعم بقسط من الراحة الليلة، هل السبب إني لا أواجه الموقف كما يجب؟ متخوف، لأنه صعب جدا.

عندما عاد السيد تاغومي حاملا بيده كأس ماء وحبوب من نوع ما، قال باينز ’أنا مضطر حقا لأرجو لك ليلة سعيدة وأذهب إلى غرفتي في الفندق. وقبل هذا عليَّ

أن أعرف أمرا ما. بإمكاننا أن نمضي في مناقشة الموضوع أكثر غدا، إذا كان الوقت مناسبا لك، هل أُخبرتَ عن الشخص الثالث الذي سينضم إلينا في المناقشة؟
أبدى وجه السيد تاغومي أمارات المفاجأة للحظة ثم اختفت المفاجأة وأبدى تعبيرا غير مبالٍ. ’لا يوجد شيء يمكن قوله في هذا الجانب. إلا إن للأمر أهميته بالتأكيد‘.
’من الأرخبيل الياباني‘.
’أها‘ قال السيد تاغومي، ولم تظهر عليه أمارات المفاجأة إطلاقا. استطاع السيطرة عليها بالكامل.
’رجل أعمال عجوز متقاعد‘. قال السيد باينز ’ارتحل عبر السفينة. لقد كان في الطريق مدة أسبوعين. إنه ضد السفر جوا‘.
’العجوز الغريب‘ قال السيد تاغومي.
’تبقيه اهتماماته معروفا في سوق الأرخبيل الياباني. سيكون بإمكانه أن يمنحنا المعلومات، وكان سيأتي إلى سان فرانسيسكو في إجازة بأي حال. ليس الأمر مهما جدا إلا أنه سيمنح حديثنا دقة أكبر‘.
’أجل‘ قال السيد تاغومي ’يمكنه تقويم الأخطاء المتعلقة بسوق الأرخبيل الياباني. ابتعدت عنها مدة سنتين‘.
’هل ترغب بإعطائي تلك الحبة؟‘.
نظر تاغومي إلى الأسفل وألفى نفسه ما زال يحمل الحبة والماء. ’أستميحك عذرا. هذه الحبة قوية جدا. تدعى زاراكاين. صنعت بواسطة مصنع أدوية في مقاطعة الصين‘. وحين رفع راحته أضاف ’تركيبها غير معتاد‘.
’هذا الرجل المسن‘ قال باينز عندما كان يتناول الحبة من يد السيد تاغومي، ’سيتواصل مع البعثة التجارية مباشرة. سأكتب اسمه في ورقة ليعرفه رجالك ولا يصرفونه. لم أقابله لكنني أفهم أنه أطرش قليلا وغريب الأطوار بعض الشيء. يجب أن نضمن عدم شعوره بالانزعاج‘. بدا السيد تاغومي متفهما. ’إنه يحب نباتات الردندرة. سيكون سعيدا لو استطعت أن ترسل أحد الأشخاص يجالسه ويحادثه عنها في الوقت الذي نجري ترتيب موعدنا. سأكتب اسمه لك هنا‘.
تناول الحبة، وأخرج قلمه وكتب.

’السيد شينجيرو ياتابي‘ قرأ السيد تاغومي الاسم، وأخذ قصاصة الورق، ووضعها بحرص داخل دفتر الجيب.
’مسألة واحدة متبقية‘.
لامست أصابع السيد تاغومي حافة كأس الشاي بروية وهو ينصت.
’بسيط وحساس، العجوز المحترم- وهذا الأمر محرج. إنه الآن في الثمانين من عمره تقريبا. وبعض مشاريع نهاية مسيرته لم تكن ناجحة، أتفهمني؟‘
’لم يعد ثريا‘ قال السيد تاغومي ’وربما يستلم راتبا تقاعديا‘.
’هذه هي النقطة. والراتب التقاعدي زهيد بشكل مؤذٍ لذلك فهو يزيده من الأعمال هنا وهناك‘.
’أي خرق بسيط للقانون‘ قال السيد تاغومي ’فإن حكومة الوطن وطبقة المسؤولين البيروقراطية. أدركُ الوضع. يستلم العجوز المحترم مبلغا لتشاوره معنا ولن يُبَلّغ دائرة التقاعد بهذا. لذا لا يجب علينا أن نكشف سر زيارته. ويعلمون أنه في إجازة فحسب‘.
’أنت محنك‘ قال السيد باينز.
أجاب السيد تاغومي ’لقد سبق لهذا الوضع أن تكرر. لم نحل مشكلة تقدم العمر في مجتمعنا بشكل أفضل كما في تحسين الإجراءات الطبية تجاه الأمراض التي يعانيها الأفراد بشكل مستمر. علمتنا الصين أن نوقر كبارنا، وتسببت ألمانيا بإهمالنا لهم كي نبدو قريبين من الفضيلة الحقة. أتفهم قتلتهم لكبار السن‘.
’الألمان‘ تكتك باينز، وفركَ جبهته مرة أخرى. هل بدأ مفعول الحبة. وشعر بأنه نعس قليلا.
’كونك من الدول الإسكندنافية، وبالتأكيد لديك الكثير من التواصل مع المناطق الخاضعة للسيطرة النازية في أوروبا. فعلى سبيل المثال، لقد ركبت من تمبلهوف. هل بإمكان المرء أن يقوم بهذا الإجراء؟ بما إنك محايد، قل لي رأيك إذا شئت‘.
’لا أفهم ما الذي تعنيه بالإجراء‘. قال السيد باينز.
’تجاه كبير السن، والمريض، والضعيف، ومعدوم النفع بمختلف المتغيرات. "ما الفائدة المرجوة من ولادة طفل جديد" رأي تبناه بعض الفلاسفة الأنغلوسكسونين. يحضرني هذا الكلام في الذاكرة وأفكر به مرات عديدة. سيدي، لا فائدة مرجوة منهم عموما‘.

أصدر السيد باينز صوتا، ينم عن إزعاج غير ملتزم بالكياسة.
’أليس صحيحا‘ سأل السيد تاغومي ’ألا يكون الإنسان أداة لاحتياجات إنسان آخر؟‘. وانحنى إلى الأمام قليلا وقال بعجالة ’أرجوك قل لي رأيك الإسكندنافي؟‘.
’لا أعلم‘ أجاب السيد باينز.
’أثناء الحرب‘ قال السيد تاغومي، ’شغلت منصبا متواضعا في مقاطعة الصين، في شنغهاي. وهناك في هونج كو، أُحتُجِزَ اليهود داخل مستوطنة من قبل حكومة الإمبراطورية مدة من الزمن. وبقي اليهود على قيد الحياة عبر الإغاثة المشتركة. طلب الوزير النازي في شانغهاي أن نذبح اليهود. أتذكر ردي السامي حينئذ والذي كان "فعل كهذا لا يتوافق مع الاعتبارات الإنسانية" رفضوا الطلب لأنهم عدوني همجيا، الأمر الذي أذهلني‘.
’أتفهم هذا‘ علّق باينز. هل يحاول أن يستدرجني؟ سأل نفسه، تيقّظ الآن، بدا كما لو أن كل نباهته أفاقت.
’اليهود‘ قال السيد تاغومي ’وصفوا دائما من قبل النازيين على أن هم آسيويون أو غير بيض. سيدي، تبعات هذا الأمر لم تغب قط عن أذهان بعض الشخصيات في اليابان حتى في زمن مجلس الحرب. لم أناقش هذا الأمر قط مع مواطني الرايخ الذين قابلتهم-‘
قال السيد باينز مقاطعا ’لكنني لست ألمانيًا لذا فبالكاد يمكنني الحديث عن ألمانيا‘. وقف وتحرك باتجاه الباب. ’سأستأنف النقاش معك غدا، من فضلك اعذرني. لم يعد باستطاعتي التفكير‘. لقد كانت أفكاره في حقيقة الأمر واضحة تماما. وأدرك، عليَّ مغادرة هذا المكان فهذا الرجل يدفعني بعيدا جدا.
’اغفر لي غباء تعصبي‘ قال السيد تاغومي، وتحرك في الحال ليفتح الباب. ’أعمتني التعقيدات الفلسفية عن رؤية حقيقة الإنسان الأصلية‘. قال شيئا ما باليابانية فانفتح الباب الأمامي. وظهر شاب ياباني، انحنى بلطف ونظر باتجاه السيد باينز. إنه سائقي، فكّر السيد باينز.
ربما ملاحظاتي الكيخوتيّة في رحلة طيران لوفتهانزا، فكّر فجأة، مع ذاك -أيا كان اسمه- لوتزه، وصلتْ إلى اليابانيين هنا، بطريقة ما. عبر رابط ما.
لستُ الشخص المناسب. على الإطلاق ولا سيما في هذا. ومضى في تفكيره، أي سويدي كان سيقول الكلام ذاته للوتزه. كل شيء على ما يرام، لم يحدث أي خطأ

إلا إنني مفرط الوسوسة. أقحم عادات الوضع السابق في هذا. في الواقع بإمكاني أن أجري صفقة عظيمة في حديث عام، عليَّ أن أتبنى هذا.

ورغم كل هذا فقد كانت ظروف باينز تعارضه، هاج الدم في عروقه، وعظامه، وأعضائه. افتح فمك، خاطب نفسه، قل أي شيء، أي كلام، رأي. يجب عليك هذا إذا أردت أن يكتب لك النجاح.

قال ’ربما تسوقهم بعض النماذج البدائية لسلوك العقل الباطن. كما في العقل اليونغي‘.

أومأ السيد تاغومي ’لقد قرأت لكارل يونغ. أفهم هذا‘.

تصافحا ’سأتصل بك غدا صباحا‘ قال السيد باينز ’طابت ليلتك، سيدي‘. وانحنى وكذلك فعل السيد تاغومي. ابتسم الشاب الياباني الواقف قبالتهم، وقال شيئا لم يستطع السيد باينز أن يعي فحواه.

’ها؟‘ قال باينز حين حمل معطفه وخطا خارجا باتجاه الرواق.

قال السيد تاغومي ’بإمكانه أن يخاطبك بالسويدية. لقد أخذ دورة دراسية في جامعة طوكيو عن حرب الثلاثين عاما، وهو مذهول بقائدكم العظيم، غوستاف أدولفز. وابتسم السيد تاغومي بود. ’على أي حال، فإنَّ محاولاته المضي بعيدا في التمكن لغويا باءت بالفشل. ويواظب بلا شك في دورات تسجيلات الفونوغراف الصوتية فهو طالب، ومثل هذه الدورات، لكونها رخيصة تنتشر كثيرا بين الطلاب‘.

من الواضح أن الياباني لم يكُ يفهم الإنجليزية ورغم هذا فقد انحنى وابتسم.

’أجل‘ تمتم باينز، وقال ’حسنا، أرجو له حظا طيبا‘. وفكر، لدي مشاكلي اللغوية الخاصة، وهذا جليٌّ.

يا إلهي- لا بد إن هذا الشاب الياباني سيحاول محاورته بالسويدية طوال الطريق أثناء القيادة. السويدية التي بالكاد يفهمها السيد باينز، وفقط في حالة تُحِدِثَّ بها بفصاحة ونطق سليم، بالتأكيد لن يحدث هذا في محاولة الشاب الياباني الذي كان يلتقط نطقها عبر استماعه لتسجيلات الفونوغراف.

لن يصل إلى شيء معي، فكر السيد باينز. وسيبقى يحاول لأنها فرصته التي من المحتمل أنها لن تتكرر بلقائه سويدي أبدا. تأوه السيد باينز في سره. أيُّ عناء ينتظر هذان الاثنان.

6

ذهبت جوليانا فرينك في الصباح الباكر مستمتعة ببرودة الجو وإشراقة ضوء الشمس إلى التسوق من البقالة. كانت تتمشّى على طول الرصيف حاملة كيسين ورقيين بنيي اللون، وتتوقف أمام كل متجر تمر قبالته لتتفحص حاجياته من النافذة آخذة كامل وقتها في التسوق.

وتساءلت، هل هناك شيء من المفترض أن أشتريه من الصيدلية؟ لن تبدأ مناوبتها في نادي الجودو حتى الظهيرة لذا فإنها الآن في وقت فراغها. قعدت على الكرسي قبالة منضدة المتجر ووضعت أكياس تسوقها عليها، وبدأت تتصفح المجلات المختلفة.

رأت مجلة "الحياة الجديدة" ومقالا كبيرا بعنوان "التلفاز في أوروبا: نظرة من المستقبل". وتصفحته، بدا لها مثيرا للاهتمام، ورأت صورة لعائلة ألمانية تشاهد التلفاز في غرفة المعيشة. وقرأت في المجلة إن هناك أربع ساعات للبث التلفازي في اليوم من برلين. وفي يوم ما سيكون هناك محطّات تلفازية في كل المدن الأوروبية الرئيسة، وبحلول عام 1970 ستبنى محطة في نيويورك.

وأظهرت المجلة المهندسين التقنيين الألمان داخل موقع في نيويورك وهم يساعدون الموظفين المحليين في تجاوز العقبات التي واجهتهم. لقد كان من السهل تمييز الألمان، فهم يبدون أصحَّ، وأنظف، وأنشط، وأكثر ثقة. الأمريكيون على الطرف الآخر- بدوا كما بقية الناس، لا شيء يميزهم.

ويمكن مشاهدة أحد التقنيين الألمان وهو يشير باتجاه مكان ما، وكان الأمريكيون يحاولون معرفة المكان الذي يشير إليه. أخمن أن أبصارهم أفضل من أبصارنا، وجزمت بهذا. ينعمون بغذاء أفضل على مدى العشرين السنة الماضية. وكما أُخبرنا فبإمكانهم رؤية أمور لا يمكن للآخرين رؤيتها. الفيتامين أ، ربما؟

أتطلع لمعرفة كيف يكون الشعور عندما تقعد في غرفة معيشتك وترى العالم كاملا عبر شاشة زجاجية رصاصية اللون صغيرة. إن كان بإمكان النازيين الذهاب والإياب من هنا إلى المريخ، فلمَ لا يكون بإمكانهم امتلاك تلفاز متنقل؟ أعتقد أني سأفضِّل مشاهدة واحد من البرامج الهزلية، لمعرفة كيف يبدو بوب هوب، ودورانتي، على التجول في المريخ.

ربما سيكون هذا كل ما في الأمر، وأعادت المجلة إلى حامل. لا يملك النازيون حس الفكاهة فلماذا يرغبون بالتلفاز؟ على أي حال، فقد قتلوا أفضل الفنانين الكوميديين لأنَّ أغلبهم يهود. وأدركت، في الواقع، لقد قتلوا أغلب العاملين في مجال التسلية. أتساءل كيف يتمكن هوب من النجاة بعد كل ما يقوله. بالطبع فهو يبث برنامج من كندا، وهناك متسع من الحرية أكبر لكنَّ هوب يقول أشياء مثل النكتة عن غورينغ*...

في يوم ما اشترى غورينغ مدينة روما وأخذها معه عائدا إلى قصره الجبلي وقام بتنصيبها هناك، لكي يحيي المسيحية من جديد وسيكون لأسوده الرابضة شيئا ما تقوم به-

'هل ستشترين هذه المجلة يا آنسة' قالها العجوز الهزيل الذي يدير الصيدلية بصوت متشكك.

شعرت بالذنب، ووضعت مجلة "موجز القارئ" التي بدأت بتصفحها.

عادت تتمشى على طول الرصيف حاملة أكياس تسوقها، وفكّرت جوليانا، ربما سيكون غورينغ الفوهرر الجديد عندما يموت بورمان**. يبدو غورينغ مختلفا عن الآخرين. ولقد كانت الطريقة الوحيدة التي نال فيها بورمان هذا المنصب هي المراوغة عندما كان هتلر يتداعى، وكان المقربون من هتلر الوحيدون المدركون لمدى سرعة تقدمه.

كان العجوز غورينغ بعطلة في قصره الجبلي، وتوجبَّ أن يكون الفوهرر بعد هتلر، لأن قواته الجوية وجهت ضربة لمحطات الرادار الإنجليزية وقضت على القوات الجوية الملكية للمملكة المتحدة ولولاها لقام هتلر بقصف لندن كما فعل في روتردام.

---

* هيرمان غورينغ: سياسي وقائد عسكري نازي (1893-1946).
** * مارتن بورمان: ضابط في الحزب النازي الألماني، وذو سلطة كبيرة في عهد هتلر (1900-1945).

ومن المحتمل أن ينال غوبلز* المنصب، رجّحت الأمر. هذا ما كان يقوله الجميع. ما لم ينل ذاك الفظيع هيدريش** المنصبَ، عندها سيقتلنا جميعا، فهو مجنون حقا.

وفكّرت بأن الوحيد الذي يعجبها هو بالدور فون شيراك***. هو الوحيد الذي يبدو طبيعيا من بينهم لكنَّه لا يملك الفرصة.
انعطفت إلى مبنى سكناها، ثم صعدت درجات السلم باتجاه الباب الأمامي الخشبي القديم للمبنى. عندما فتحت باب شقتها رأت جو تشيناديلا ما يزال مستلقيا ونائما حيث تركته، في منتصف الفراش على بطنه، وذراعيه مرخيتين.
فكّرت، لا يمكن أن يكون هنا فقد غادرت الشاحنة. هل فاتته؟ من الواضح هذا. ذهبت إلى المطبخ، ووضعت أكياس البقالة على المنضدة بين صحون الإفطار. هل تعمّد أن يفوّت الشاحنة؟ سألت نفسها. هذا ما أتعجب منه. يا له من رجل غريب...
لقد كان نشطا جدا معها، واستمرّا طوال الليل تقريبا، ومع ذلك فقد كان كما لو أنه في مكان آخر في الواقع، يفعلها إلا إنه لم يكن واعيا قط. يفكّر في شيء آخر، ربما.

على عادتها بدأت تضع الطعام في ثلاجة جي. إي. توري توب القديمة، ثم بدأت بعدها بتنظيف منضدة الإفطار. ربما فعلها كثيرا جدا، رجّحت هذا. إنه طبع ثانٍ فيه، فجسده يقوم بتلك الحركات كما أقوم الآن بوضع الصحون والأطباق في حوض المغسلة. بإمكانه فعلها وثلاثة أخماس دماغه منزوعة مثل نزع ساق الضفدع في فصل الأحياء.

---

* جوزيف غوبلز: سياسي نازي ووزير الدعاية الإعلامي في حكومة الرايخ (1897-1945).
** راينهارد هيدريش: ضابط ذو رتبة عالية في Schutzstaffel وضابط شرطة (1904-1942)
*** بالدور فون شيراخ: سياسي في الحزب النازي، وزعيم شباب هتلر (1907-1974).

’هيي‘ نادت ’استيقظ‘.
تحرك جو في الفراش وشخر.
’هل استمعت إلى برنامج بوب هوب شو البارحة‘ سألت. ’حكى طرفة مضحكة جدا، واحدة منها، عن مقابلة رائد ألماني مع عدد من المريخيين. ولم يتمكن المريخيون من تقديم وثائق تثبت أن أجدادهم كانوا آريين، لذا فقد أبلغَ الرائد الألماني القيادة في برلين بأن سكان المريخ يهود‘. أتت إلى غرفة المعيشة حيث كان جو مستلقيا في الفراش، وقالت ’وإنهم برأسين ويبلغ طولهم قدما واحدة... تعرف كيف يسترسل بوب هوب‘.
فتح جو عينيه، ولم يقل شيئا ثم نظر إليها بذهن خالٍ. ذقنه مسودٌّ باللحية النابتة، وعيناه الداكنتان يملأهما الألم... عندها صمتت جوليانا أيضا.
’ماذا هناك؟‘ سألت. ’هل أنت خائف؟‘ لا، فكّرت، فرانك هو الخائف. أما هذا- لا أعرف ماذا.
’ذهبت الشاحنة‘ قال جو ناهضا.
’ماذا ستفعل؟‘ وقعدت على طرف الفراش وهي تجفف ذراعيها ويديها بمنشفة الصحون.
’سألقاه حين يعود. لن يقول شيئا لإي كان، يعرف أني سأقوم بذات الشيء معه‘.
’هل فعلت هذا من قبل؟‘ سألت.
لم يجب جو. لقد تعمّدت أن تفوتك، قالت لنفسها. بإمكاني معرفة كل شيء من أول مرة.
’افترض أنه أخذ طريقا آخر في عودته؟‘ قالت جوليانا.
’يأخذ الطريق "خمسون" دائما، لا يسلك الطريق "أربعون" أبدا. وقع له مرة حادث في الطريق "أربعون"، كانت تعبر بعض الخيول قاطعة الطريقة فاصطدم بها وارتطم بالصخور في منطقة روكيز‘. التقط ثيابه من فوق الكرسي وبدأ يرتديها.
’كم تبلغ من العمر يا جو؟‘. سألته وهي تتأمل جسده العاري.
’أربع وثلاثون‘.
إذن، فكّرت، لا بد إنك اشتركت في الحرب. لم ترَ أي ندوب جسدية واضحة، ويمتلك في الواقع قواما جيدا، وجسدا نحيلا طويل الساقين. نظر جو إلى تفحصها، وعبس مستديرا. ’ألا يمكنني أن أتأمل؟‘ متسائلة لمَ لا. طوال الليلة

معه، ثم هذه الحشمة. ’أنكون مثل البق نبتعد عن بعضنا في وضح النهار ونلتصق بالجدران‘.
نخر بحدة، واتجه نحو الحمام حاكا ذقنه ولابسا سرواله الداخلي وجوربيه. هذا منزلي، فكّرت جوليانا، سمحت لك بالمكوث هنا وبعدها لا تسمح لي بالنظر إليك. لماذا تريد أن تبقى إذن؟ لحقته إلى الحمام، وكان قد بدأ بصب الماء الساخن في وعاء صغير ليحلق ذقنه.
رأت على ذراعه وشما أزرقَ اللون على شكل حرف C.
’ما هذا؟‘ سألت ’زوجتك؟ كوني؟ كورني؟‘.
أجاب جو وهو يغسل وجه ’كايرو‘*.
يا له من اسم غريب، فكّرت بحسد. وشعرت بعدها باحمرار وجنتيها. ’أنا غبية حقا‘. قالت، إيطالي وفي الرابعة والثلاثين، ومن الجزء النازي من العالم... لا بد إنه كان في الحرب على أي حال، لكن في طرف المحور. قاتل في القاهرة وكان الوشم شعار المحاربين الألمان والإيطاليين القدماء في تلك الحملة- وقت هزيمة البريطانيين والأستراليين بقيادة الجنرال غوت** على يد روميل وفيلق أفريقيا.
غادرت الحمام، وعادت إلى غرفة المعيشة وبدأت بترتيب الفراش بيدين مرفرفتين.
كانت ممتلكات جو مكومة بترتيب على الكرسي، ملابسه، وحقيبة صغيرة، وأوراقه الشخصية. لاحظت جوليانا من بينها علبة مخملية تشبه علبة النظارات، التقطتها وفتحتها ونظرت إلى ما بداخلها. لقد قاتلت فعلا في القاهرة، قالت لنفسها وهي تنظر إلى نوط الشجاعة الصليبي المعدني من الرتبة الثانية، ومحفور في قمته تاريخ العاشر من حزيران عام 1945. لا يحصل الجميع على هذا النوط فهي للشجعان فقط. أتطلع لمعرفة ما قمت به... لقد كنت في السابعة عشرة وقتها.
ظهر جو عند باب الحمام في اللحظة التي رفعت فيها النوط من العلبة المخملية، شعرت به ووثبت من مكانها شاعرة بالذنب، لكن لم يبدُ عليه الغضب.

---

* Cairo: القاهرة، سيتضح السبب بعدها.
** وليام غوت: ضابط في الجيش البريطاني (1897-1942).

’لقد كنت أنظر إليها فحسب‘ قالت جوليانا ’لم أرَ مثلها من قبل قط. هل علّقها رومل بنفسه على صدرك؟‘.
’أعطانيها الجنرال بايرلين*. كان روميل قد نُقل قبلها إلى إنجلترا ليتم مهمة هناك‘. كان صوته هادئا لكنَّ يده بدأت تدعك جبهته بشكل متواتر وأصابعه تتخلل فروة شعره كأنها تمشّطه، والتي بدت كتقلص عصبي غير إرادي مزمن.
’هل ستخبرني عن ذلك؟‘ سألت جوليانا في اللحظة التي عاد فيها جو إلى الحمام ليكمل حلاقته. أخذ جو حماما ساخنا بعد أن أنهى حلاقته، وأخبرها القليل لكن لا شيء من الذي كانت تود أن تسمعه. خدم أخواه اللذان يكبرانه في الحملة الأثيوبية، وحين كان في الثالثة عشرة انضم إلى منظمة شبابية فاشية في ميلان، في بلدة مسقط رأسه. انضم أخواه لاحقا إلى وحدة بطارية المدفع، تحت إمرة القائد ريكاردو باردي**، وعندما بدأت الحرب العالمية الثانية كان جو مؤهلا للانضمام إليهم. وقاتلوا جميعا تحت قيادة غرازياني***.
كانت تجهيزاتهم العسكرية سيئة جدا ولا سيما دباباتهم التي استهدفها البريطانيون والضباطُ
الكبار كما تستهدف الأرانب. كان يتوجب إغلاق أبواب الدبابات بتدعيمها بأكياس الرمل أثناء
المعركة لئلا تُفتح، لكنَّ القائد باردي أمر بخلع دروع المدفعية وطليها ودهنها ثم إشعالها، فأوقفت وحدته تقدم دبابات الجنرال وافيل**** المندفعة بتهور في عام 1943.
’هل ما زال أخوتك أحياءً؟‘ سألت جوليانا.
قُتل أخواه في عام 1944 شنقا بالأسلاك بإمر القادة البريطانيين، الذين قادوا عمليات مجموعة صحراء لونغ رانج خلف خطوط قوات المحور، والتي أصبحت متعصبة لا سيما في آخر أشواط الحرب عندما اتضح إن قوات المحور لن تنتصر.

---

* فريتز بايرلين: جنرال في قوات الجيش النازي (1899-1970).
** لم أجد شخصية حقيقة بهذا الاسم.
*** غرازياني: قائد عسكري إيطالي بارز (1882-1955).
**** أرتشيبالد وافيل: ضابط أعلى في الجيش البريطاني (1883-1950).

’كيف تشعر تجاه البريطانيين الآن‘ سألت مترددة. أجاب جو بنبرة خافتة ’أرغب برؤيتهم يفعلون في إنجلترا ما فعلوه في أفريقيا‘.
’لكن الأمر قد مضى- منذ ثماني عشرة سنة‘ قالت جوليانا، ’أعلم أن البريطانيين قاموا بأشياء مروعة، لكن-‘.
’يتحدثون عما فعله النازيون بحق اليهود‘ قال جو ’لكنَّهم فعلوا الأسوأ كما في معركة لندن‘ ثم صمت.
’أسلحتهم النارية، والفسفورية والنفطية. لقد رأيت ثلة من القوات الألمانية، قاربا بعد قارب تُحرق حتى تضحى كتلة رماد. وأنابيب النفط تحت الماء حولت الماء إلى نار. والغارات التي قصفت المدنيين بقنابل حارقة بأمر تشرتشل الذي اعتقدَ أنه سينقذ الوضع في آخر لحظة. وتلك الهجمات الإرهابية على مدن هامبورغ، وإيسين، و-‘.
’لنتوقف عن الحديث في هذا‘ قالت جوليانا. وبدأت في المطبخ تعد لحم الخنزير المقدد، وشغّلت راديو إيمرسون البلاستيكي أبيض اللون الذي أهداه إليها فرانك في عيد ميلادها. ’سأعد لك شيئا لتأكله‘ وأدارت مفتاح الراديو علّها تقع على إذاعة ما، أو موسيقى مبهجة.
’انظري إلى هذا‘ قال جو، وكان في غرفة المعيشة جالسا فوق السرير وبجواره حقيبة سفره الصغيرة، فتحها وأخرج منها كتابا عتيقا مطويا، بدا رثًا لكثرة الاستخدام. ابتسم لها وقال ’هلمي، هل تعرفين ما يقوله هذا الشخص؟ هذا الرجل-‘ وعرّفها بالكتاب ’إنه طريف، اقعدي‘ أخذها من ذراعها وسحبها إليه وأقعدها بقربه.
’أرغب بالقراءة لك. افترضي أنهم ربحوا الحرب، كيف سيبدو الوضع وقتها؟ لا يجب علينا أن نشغل بالنا بهذا فقد فكّر هذا الرجل في كل شيء نيابة عنا‘. فتح جو الكتاب وبدأ بتصفحه ببطء. ’سيطرت الإمبراطورية البريطانية على كامل أوروبا، والبحر المتوسط. لا سلطة لإيطاليا أو ألمانيا، وأُبعدَ الملك وضباط الشرطة وأولئك الجنود المضحكين ذوي القبعات الفروية الطويلة إلى الفولغا‘.
قالت جوليانا بصوت منخفض ’هل سيبدو الوضع سيئا جدا؟‘.
’هل قرأتِ الكتاب؟‘.

’لم أقرأه‘، أقرَّت وهي تمعن النظر إلى الغلاف. لقد سمعت عنه فقد قرأه الكثير من الناس. ’لكنِّي وفرانك -زوجي السابق- غالبا ما كنا نتحدث كيف سيبدو الوضع لو أن الحلفاء ربحوا الحرب‘.
لم يبدُ جو أنه يستمع إليها، كان يحدق إلى النسخة من رواية **"الجندب يستلقي ثقيلا"**. ’وفي هذا الكتاب‘ استأنف حديثه ’هل تعرفين كيف انتصرت إنجلترا؟ هزمت المحور؟‘.
هزّت رأسها شاعرة بالقلق المتنامي حول هذا الرجل الجالس في جوارها. بدأ ذقنه بالارتعاش، وتلمظ مرة تلو أخرى، وخلل يده في فروة رأسه... كان صوته أجشًّا عندما تحدث.
’ذكر أن إيطاليا خانت المحور‘.
’أوه‘ قالت.
’عادت إيطاليا إلى الحلفاء. انضمت إلى الأنغلوسكسونين وفتحت ما سماه "الخاصرة الرخوة" لأوروبا. من الطبيعي أن يفكر هكذا فجميعنا نعلم أن الجيش الإيطالي الجبان كان يفر في كل مرة يرى فيها البريطانيين. يشربون النبيذ، وسعداء يتكلمون عن الحظ، ولم يكونوا أهلا للقتال. وهذا الرفيق-‘ أغلق جو الكتاب وقلبه ليتفحص غلافه الخلفي، ’أبندسن‘. لا ألومه. يكتب هذا الخيال، ويتصور كيف سيكون شكل العالم لو خسر المحور. كيف يمكن أن يخسروا الحرب لولا خيانة إيطاليا؟‘ وبصوت متضايق ’القائد*- كان مهرجا، وكلنا نعرف هذا‘.
’عليَّ أن أقلب اللحم‘. انسلت منه وعادت مسرعة إلى المطبخ.
استمر جو في حديثه بعد أن تبعها حاملا الكتاب ’وتدخلت أمريكا بعد أن هزمت اليابان، وبعد الحرب تقاسمت مع بريطانيا العالم، بالضبط كما فعلت ألمانيا واليابان في الواقع‘.
’ألمانيا، واليابان، وإيطاليا‘ قالت جوليانا.
نظر إليها.

---

*يقصد موسليني.

’غفلتَ عن ذكر إيطاليا‘ واجهته برزانة. هل نسيتها أيضا؟ قالت لنفسها، مثل البقية؟ الإمبراطورية الصغيرة في الشرق الأوسط... روما الغنائية الهزلية الجديدة.
وقدمت له بعدها مباشرة طبقا كبيرا من لحم الخنزير المقدد، وبيضا، وخبزا محمصا، ومربى، وقهوة. فأكل بدون تردد.
’ماذا كانوا يطعمونك في إفريقيا؟‘ سألت حين قعدت.
’جيفة حمار‘ أجاب جو.
’هذا مقزز‘.
قال جو بابتسامة عريضة، ’أسينو مورتي*. معلبات لحم العجول مطبوع عليها الأحرف الأولى أ.م. سماه الألمان Alter man. الرجل المسن‘. واستأنف أكله السريع.
أرغب بقراءة هذا الكتاب، فكّرت جوليانا حين أخذت الكتاب من تحت ذراع جو. هل سيبقى هنا طويلا؟ فوق الكتاب دهن، ومُزِقَت صفحاته. وآثار الأصابع تملؤه. قرأه سائقو الشاحنة على طول الرحلة في المقاهي الرخيصة في ساعات متأخرة من الليل. أراهن بأنك قارئ بطيء. وأراهن بأنك كنت تتأمل الكتاب لأسابيع إن لم يكن شهورا.
فتحت الكتاب بعشوائية وقرأت:

. . . بدا هادئا الآن وهو في آخر عمره ، في منطقة حكم كالتي رغب بها القدماء طمعا ولم ينالوها ، حيث تبحر السفن من شبه جزيرة القرم إلى مدريد وإلى أي مكان في الإمبراطورية ، ولدى الجميع ذات العملة ، واللغة ، والعَلم . العَلم البريطاني العظيم للإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس : قد تحقق في نهاية المطاف ما يتعلق بالعلم والشمس .

’الكتاب الوحيد الذي أحمله أينما كنت‘ قالت جوليانا ’في الواقع ليس كتابا، إنه المستخار، I Ching - جعلني فرينك أدمن عليه وأستخدمه في كل مرة أنوي فعل شيء. لا أدعه يغيب عن ناظري أبدا. مطلقا‘ أغلقت نسخة كتاب الجندب،

---

*جيفة حمار بالإيطالية.

وقالت ’هل ترغب برؤيته؟ أو استخدامه؟‘.
’لا‘ أجاب جو.
ألقت عليه نظرة جانبية مسندة ذقنها على ذراعيها المطويتين فوق سطح المنضدة، وقالت ’هل انتقلت إلى هنا بشكل دائم؟ وما الذي تخطط له؟‘. وأطرقت مفكرة بالإهانات والافتراءات التي قد نالها. وفكّرت، أنت تثير هلعي بكراهيتك للحياة. لكنَّ تملك شيئا ما. تبدو مثل حيوان صغير، تافه لكنه ذكي. تفحصت ملامحه، وجه أسمر ذكي، وفكّرت كيف تصورت أنك أصغر سنا مني؟ وحتى هذا صحيح، طفولتك، فما زلت ذاك الطفل الصغير في نظر إخوتك، تسعى خلف أخويك الكبيرين وقائدك باردي والجنرال روميل، لاهثا ومتعرقا سعيا نحو حريتك والنيل من الإنجليز. هل خنقوا أخويك بلفة الأسلاك فعلا؟ لقد سمعنا عن ذلك، وعن فظاعة القصص والصور التي نُشرت بعد الحرب... ارتعشت. لكن لقد حُوكمَ القادة البريطانيين وحُوسبوا منذ زمن طويل.
توقف المذياع عن بث الموسيقى، ثم بدا أنه وقت النشرة الإخبارية، أحدث جلبة موجة قناة من أوروبا. تلاشى الصوت وأصبح مشوشا. وقفة طويلة ولم يصدر شيئا. صمت مطبق.
ليُسمع بعدها صوت مذيع مدينة دنفر واضحا جدا وقريبا. حاولت أن تدير مفتاح المذياع لكنَّ جو أمسك يدها.
’... صدمت أخبار موت بورمان مستشار الرايخ ألمانيا وأذهلها، التي أعلنت عن هذا الخبر أمسِ...‘.
وقف جو وجوليانا على أقدامهما.
’... ألغت كل محطات الرايخ برامجها المقررة وسمعَ الناس إلى فرق موسيقية الرسمية التابعة لقوات الحماية النازية، شعبة الرايخ، وهي تعزف نشيد الحزب، The horst Wessel Lied*. ولاحقا في دريزدن، حيث أقرَّت سكرتارية الحزب ورؤساء جهاز الأمن النازي استبدال شرطة الحماية الوطنية بجهاز الشرطة السرية**‘
رفع جو صوت المذياع.

* النشيد الوطني النازي.
** Gestapo.

’... وكانت قرارات إعادة التنظيم في الحكومة بتحريض من هيملر، قائد جهاز الأمن الأخير، وألبرت سبير وآخرين. وأُعلن عن أسبوعين من الحداد الرسمي. وأغلقت سلفا العديد من المحال وأُوقفت أعمال أُبلغَ عنها. ولم ترد بعد أي كلمة عن الاجتماع المتوقع للرايخستاج، البرلمان الرسمي لحكومة الرايخ الثالثة، والذي يلزم الحصول على موافقته...‘

’سيكون القادم هيدريش‘. قال جو.

’آمل أن يكون الرفيق الأشقر الكبير، شيراخ ذاك‘ قالت جوليانا ’رباه، لقد هلك أخيرا. هل تعتقد أن شيراخ يملك فرصة؟‘.

’لا‘ أجاب جو مقتضبا.

’ربما ستقع حرب أهلية الآن‘ قالت ’لكنَّ هؤلاء الشباب أضحوا كبارًا في السن الآن، غورينغ وغوبلز - وكل أولاد الحزب القدماء أولئك‘.

وكان المذياع مستمرا بالإذاعة ’... وصل إلى مقره في جبال الألب بالقرب من برينر‘.

’سيكون هذا هيرمان السمين‘. قال جو.

’... وقال إنه كان مكتئبا بسبب هذه الخسارة لا لكون الفقيد جنديا ومحبا لوطنه وقائدا مخلصا للحزب فحسب بل وكما تحدث عن هذا عدة مرات، كونه صديقا شخصيا، سيظل في الذاكرة، لقد كان داعما أثناء النزاع الذي ظهر مباشرة بعد نهاية الحرب حين ظهرت عناصر معادية لصعود السيد بورمان لأعلى مركز في السلطة‘.

أغلقت جوليانا الراديو.

’إنهم يثرثون فقط. قالت، لماذا يستخدمون مثل تلك الكلمات؟ يتحدث هؤلاء القتلة المجرمون كما لو أنهم مثلنا‘.

’إنهم مثلنا‘. قال جو، قعد وعاد ليأكل. ’لم يفعلوا أي شيء لم نكن لنفعله لو كنا مكانهم. لقد أنقذوا العالم من الشيوعية. كنا سنعيش اليوم تحت حكم الجيش الأحمر، لو لم تنتصر ألمانيا لكان وضعنا أسوأ‘.

’مجرد كلام‘. قالت جوليانا، ’مثل ثرثرة المذياع‘.

’عشت في ظل حكم النازيين‘. قال جو، ’أعرف كيف يبدو حكمهم. هذا ما تقولين عنه مجرد كلام، أن تعيش لاثنتي عشرة، وثلاث عشرة سنة -أكثر من ذلك- قرابة خمس عشرة سنة؟ حصلت على بطاقة عمل من م. ت.، عملتُ في منظمة

تودت* منذ عام 1947، في شمال أفريقيا والولايات المتحدة الأمريكية. استمعي-. أشار بأصبعه إليها. حصلت على رتبة إيطالي عبقري في أعمال الحفر. أعطتني المنظمة تقييما عاليا. لم أكن أجرف الإسفلت وأخلط الإسمنت لأجل بناء الطرق السريعة فقط، كنت أساعد في التصميم أيضا: مهندسا. جاء دكتور تودت في إحدى المرات ليفحص العمل الذي قام به طاقمنا. قال لي "تملك يدين ماهرتين". كانت لحظة فارقة يا جوليانا. كرامة العمل**، هم لا يتفوهون بمجرد كلمات. قبل مجيء النازيين، كان الجميع يحتقر الحرف اليدوية وأنا أيضا. الأرستقراطيون. ووضعت جبهة العمل*** نهاية لهذا'.

'لقد رأيت ما أملك من يدين لأول مرة'. تحدث بلطف كبير وبدأت لهجته تطغى على حديثه، وواجهت جوليانا عقبة في فهمه.

'عشنا جميعا في العراء هناك في الغابات، في ولاية نيويورك الشمالية، مثل الأخوة. نغني الأغاني. نسير جماعات إلى العمل. تتملكنا روح الحرب لإعادة البناء لا الهدم. كانت. أفضل أيامنا جميعا، إعادة البناء بعد الحرب- بناءً جميلا ونظيفا، صفوف طويلة ورصينة من البنايات العامة عمارة بعد أخرى، وسطا مدينتي نيويورك وبالتيمور الجديدين بأكملهما. لقد أضحى هذا العمل اليوم من الماضي بالطبع. وتدير الوضع حاليا منظمات كبرى مثل نيو جيرسي كروب آند سوهنين. وهؤلاء ليسوا بنازيين، مجرد منظمات أوروبية قديمة قوية. أسوأ. أنتِ معي؟ النازيون أمثال روميل وتودت أفضل ملايين المرات من أصحاب المصانع أمثال كروب والمصرفيين، كلُّ أولئك البروسيين يجب أن يسمموا بالغاز. أولئك الرجال المحترمون أصحاب السُترات'.

فكّرت جوليانا، لكنَّ هؤلاء الرجال المحترمون أصحاب السترات باقون إلى الأبد. أبطالك، روميل ودكتور تودت، جاءوا بعد العداوات لتنظيف المخلفات،

---

* المجموعة الهندسية العسكرية والمدنية لحكومة الرايخ الثالث.

** فلسفة كرامة العمل Dignity of labour والتي تنص على أن كل الأعمال متساوية بلا تمييز.

*** منظمة العمل الوطني الشيوعي النازية التي حلت محل اتحادات التجارة المستقلة في ألمانيا.

وبناء الطرق السريعة، وتشغيل المصانع. حتى إنهم تركوا اليهود يعيشون، وكانت المفاجأة السعيدة - إعلانهم عفوا عاما لأجل أن يتمكن اليهود من الاشتراك في الحياة حتى عام 1949... ثم وداعا تودت وروميل، اللذين تقاعدا ليجِنّا.
ألا أعلم هذا؟ فكّرت جوليانا. ألم أسمع كل هذا من فرانك؟ لا يمكنك أن تضيف إلي أي شيء عن الحياة في ظل النازيين فزوجي كان -وما زال- يهوديا. أعرف دكتور تودت، الرجل الأكثر تواضعا واحتراما على الإطلاق، وأعلم أن كل ما كان يريده هو توفير عمل -نزيه ومحترم- لملايين الرجال والنساء الأمريكيين المغمومين واليائسين الذين انتشلهم من الأنقاض بعد الحرب. أعرف أنه رغب بأن تُمنح برامج العلاج والسكن الملائم بشكل كافٍ لكل الناس بغض النظر عن عرقهم، كان رجل بناء لا رجل فكر... وفي أغلب المشاريع التي أدارها خلق الذي أراده- لقد حصل ما يريد فعلا، لكنَّ...
شغل شاغل عقلها الآن، لكنها حزمت الأمر وقالت
’جو، كتاب **الجندب** هذا، أليس محظورا في الساحل الشرقي؟‘.
أومأ.
’كيف يمكنك قراءته إذن؟‘ أقلقها شيء ما بشأنه. ’أما يزالوا يعدمون من يقرأ-‘
’تعتمد القضية على جماعتك العِرقية، على الشارة القديمة حول ذراعك‘.
الأمر كذلك إذن. لقد كان السلافيون، والبولنديون، والبورتوريكيون، أصحاب الخيارات الأقل حرية فيما يستطيعون قراءته، وفعله، والاستماع إليه. أما الأنغلوسكسون يملكون خيارات أفضل بكثير، كان هناك تعليم عمومي لأطفالهم ويستطيعون الذهاب إلى المكتبات والمتاحف والحفلات، وعلى الرغم من هذا... لم يكن الجندب ضمن التصنيف فقد كان ممنوعا عن الجميع.
قال جو ’أقرأه في الحمام. وأخبئه في الوسادة. في الحقيقة أنا أقرأه لأنه محظور‘.
’أنت شجاع جدا‘. قالت.
ردَّ بارتياب ’تقصدين هذا ساخرة؟‘.
’لا‘.
ارتاح قليلا ثم قال ’الأمر سهل عليكم هنا. تعيشون بأمان، وحياة بلا هدف، ولا يوجد شيء تفعلونه، ولا شيء تقلقون عليه. أنتم خارج نطاق الأحداث، عالقون الماضي؛ أليس كذلك؟‘. هزأت عيناه منها.

’أنت تقتل نفسك بالكلبية‘. قالت. سُلب معبوديك واحدا تلو الآخر والآن لا يوجد أحد تمنحه حبك. أمسكت شوكته وقدمتها له فأخذها منها. كُلْ، فكّرت، أو تخلَّ حتى عن عملياتك الحيوية. أومأ جو إلى الكتاب عندما كان يأكل، وقال ’أبندسن ذاك يعيش في الجوار هنا وفقا لما كتبه على الغلاف، في مدينة تشيني. يمنح وجهة نظر عن العالم من موضع آمن كهذا. ألا ترغبين أن تخمني؟ اقرأي المكتوب، اقرأي بصوت عال‘. أخذت الكتاب وقرأت الجزء الخلفي من غلاف الكتاب ’محارب قديم. كان في فيلق القوات البحرية الأمريكية في الحرب العالمية الثانية، جرح في إنجلترا بقصف دبابة تايغر النازية. يقال بأنه اتخذ حصنا له حيث يكتب فيه، مأمنٌ بالأسلحة من كل جهة‘.

وضعت الكتاب على المنضدة وقالت ’لم يُكتب إنه يعيش هنا، لكنّني سمعت من شخص إنه تقريبا مصاب بالذعر ويُحيط الأسلاكَ الشائكة بمقره الذي يقع في الجبال ومن الصعب الوصول إليه‘.

’ربما كان محقا‘. قال جو، ’أن تعيش هكذا بعد أن تكتب ذاك الكتاب. ارتطمت رؤوس كبار الشخصيات الألمان بالسقف حين قرأوا الكتاب‘.

’لقد كان يعيش بهذه الطريقة سابقا، وكتب روايته هناك. ومقره يسمى-‘ نظرت إلى غلاف الكتاب ’المعقل العالي. إنه اسمه الحركي‘.

’لن يصلوا إليه‘. قال جو وهو يمضغ بسرعة، ’إنه حذر. وذكي‘.

قالت ’أعتقد أنه يملك مقدار كبيرا من الشجاعة لكتاب ذاك الكتاب لو أن قوات المحور خسرت الحرب لكان بإمكاننا أن نكتب أي شيء نريده كما اعتدنا على هذا، ولكنا بلدا واحدا ولدينا نظامنا القانوني العادل، نظام واحد للجميع‘.

ولدهشتها أومأ موافقا كلامها.

’لا أفهمك‘ قالت ’ما الذي تؤمن به؟ ما الذي تريده؟ تدافع عن أولئك الوحوش، الشواذ الذين ذبحوا اليهود، ثم بعدها-‘. أمسكته من أذنيه بيأس ورمشت عيناه بذهول وألم حين قامت على قدميها وجذبته معها.

واجه بعضهما بعضا، وتنفسا لاهثين وغير قادرين على النطق بكلمة.

’دعيني أنهي هذه الوجبة التي أعددتها لي‘ قال جو أخيرا.

’هل ستقول؟ هل ستخبرني؟ تعرّف عن ماذا، عن نفسك، تفهم هذا وتستمر بالأكل دون اكتراث، ومتظاهرا بأنك لا تملك أي فكرة عما أعنيه‘ أفلتت أصابعها عن أذنيه اللتين لوتهما حتى احمرَّتا بشدة.

’كلام فارغ‘ قال جو ’لا يهم مثل قولك عن كلام المذياع. هل تعرفين عبارة البراون شيرت* القديمة الواصفة لأولئك المتعمقين في الفلسفة؟ Eierkpof. رأس البيضة، لأن الرؤوس البيضوية الكبيرة الفارغة سهلٌ كسرها جدا... في شجارات الشارع‘.

’إذا كنت تشعر بهذا الشعور تجاهي؟‘. سألت جوليانا. ’لماذا لا تذهب؟ ما الذي يبقيك هنا؟‘. أربكها تجهمه الغامض. ليتني لم أسمح له بالقدوم معي قط، فكّرت، لقد فات الآوان الآن، أعلم لا يمكنني التخلص منه- إنه قوي جدا. يحدث شيء مرعب، فكّرت، يخرج منه، ويبدو أني أساعد في انبعاثه.

’ما الأمر؟‘ مد يده إليها، وربّت على أسفل ذقنها، وداعب عنقها، ثم أدخل أصابعه تحت قميصها وضغط على كتفيها بمودة. ’مسألة مزاج. مشكلتك- سأحللها مجانا‘.

’سيطلقون عليك محلل يهودي‘ وابتسمت باستكانة ’هل ترغب بأن يحرقوك في فرن؟‘.

’تخشين الرجال، صحيح؟.

’لا أعرف‘.

’كان من السهل أن أخبرك بهذا البارحة. فقط لأني-‘ قطع جملته ’لأني أبديت عناية خاصة لملاحظة رغباتك‘.

’لأنك اضطجعت مع فتيات عديدات‘ قالت جوليانا ’هكذا تفتتح حديثك معهن‘.

’لكنّي أعلم أني محقٌ. اسمعي، لن أوذيك أبدا، جوليانا. أقسم بجسد أمي، أمنحك كلمتي. وسأوليكِ مراعاة خاصة، وإذا أردت معرفة أي شيء يخص تجاربي- سيكون لك امتياز في معرفته. ستتخلصين من غضبك، بإمكاني أن أريحك وأجعلك تتحسنين في وقت لا يذكر، أنت تعانين الحظ العاثر فحسب‘.

أومأت وابتهجت قليلا، لكنّها ما زالت. تشعر بالخمول والحزن، وما زالت. لا تعرف لماذا.

---

* مليشيا نازية واسمها الرسمي Sturmabteilung.

***

انفرد السيد نوبوسوكي تاغومي بنفسه للحظات قبل أن يبدأ يومه. قعد في مكتبه في بناية النيبون تايمز وتأمل. تسلم قبل أن يغادر منزله باتجاه مكتبه تقرير إتو عن السيد باينز. لم يكن هناك شك في عقلية الطالب الشاب، لم يكن السيد باينز سويديا. من المؤكد جدا إن السيد باينز يحمل الجنسية الألمانية.

لم تُعجب قدرات إيتو في التعامل مع اللغات الجرمانية قط لا البعثة التجارية أو التوكوكا- الشرطة اليابانية السرية-. ومن المحتمل أن ذاك الأحمق لم يستشفْ شيئا للحديث عنه، فكّر السيد تاغومي مع نفسه. الحماسة البلهاء، والممزوجة بعقائد رومانسية دائما ما تستَكْشِفُ بشك.

سيبدأ قريبا، وفي الوقت المناسب، الاجتماع مع السيد باينز والفرد العجوز من الأرخبيل الياباني، وبغض النظر عن جنسية السيد باينز.

أُعجب السيد تاغومي بالرجل. وفكَّر، لقد كان هذا، الموهبة الأساسية المتصوّرة في رجل في منصب عالٍ كمنصبه لتعرف الرجل الجيد حين تلتقيه. فِراسة معرفة الناس، إذ تسبر الأغوار عبر السلوك والشكل الخارجي، وتنفذ إلى القلب.

القلب، محبوس ضمن خطي يين من العاطفة السوداء، ومخنوق أحيانا. وعلى الرغم من هذا يومض بعدها ضوء اليانغ في منتصفه. إنه يعجبني. قال السيد تاغومي لنفسه. وسواء كان ألمانيًا أو سويديًا، آمل أن حبة زاراكاين شفته من صداعه. يجب أن أستعلم عن هذا حالا.

رنَّ جهاز اتصال المكتب الداخلي.

’لا‘ قال بفضاضة في الجهاز ’لا نقاش، هذه اللحظات لأجل صفاء السريرة. الانطواء‘.

وجاء صوت السيد رامزي من السماعة الصغيرة: ’سيدي، وصلت الأخبار الآن من المكتب الخدمات الصحفية. مات مستشار الرايخ، مارتن بورمان‘. اختفى صوت رامزي وعمَّ الصمت. فكّر السيد تاغومي، ألغي كل أعمال اليوم. قام من مكتبه ومشى سريعا ذهابا وإيابا، جامعا يديه مع بعضهما. ماذا أفعل. أبعث ببرقية رسمية إلى قنصل الرايخ. عمل بسيط بإمكان أحد المرؤوسين أن يدبّجها. حزن عميق إلخ. ويشارك كل اليابانيين الشعب الألماني هذه الساعة المحزنة. ثم؟ بدأ يشعر بحيوية. يجب أن أكون في مكاني لأستلم المعلومات من طوكيو

مباشرة. ضغط على زر اتصال المكتب الداخلي وقال، ’سيد رامزي، تأكد أننا على اتصال مع طوكيو. أخبر كل الفتيات العاملات في مكتب الاتصالات أن يكنَّ متنبهات. يجب ألا نفقد أي اتصال‘.
’أمرك سيدي‘. قال رامزي.
’أنا في مكتبي منذ الآن. أوقف كل الإجراءات اليومية، وأهمل الاتصالات جميعا من أصحاب الأعمال التجارية المعتادة‘.
’سيدي؟‘.
’يجب أن أكون متفرغا اليوم من أجل أي متطلبات ضرورية عاجلة‘.
’نعم سيدي‘.
بعد نصف ساعة، وفي تمام التاسعة، وصلت رسالة من المكتب الأعلى لحكومة الإمبراطورية في الساحل الغربي، مكتب السفير الياباني في ولايات المحيط الهادئ الأمريكية، البارون المبجّل ل. ب. كايليماكولا. استدعى مكتب الخارجية لأجل جلسة استثنائية في مبنى السفارة في شارع سوتّير، وعلى كل بعثة تجارية أن ترسل شخصا ذا منصب عالٍ لأجل الحضور. وفي هذه الحالة، فهذه الشخصية هي السيد تاغومي.
لم يكن هناك وقت لتبديل الملابس. أسرع السيد تاغومي باتجاه المصعد السريع، ونزل إلى الطابق الأرضي، وبعدها بلحظات كان في طريقه داخل سيارة البعثة، ليموزين، كاديلاك سوداء موديل 1940 يقودها سائق صيني خبير ببزته النظامية.
وجد سيارات كبار الشخصيات مركونة في مرآب السيارات الخاص ببناية السفارة، في مجموعها اثنتا عشرة سيارة، من ذوي المناصب الرفيعة جدا. رأى من يعرف منهم ومن لم يرَهم من قبل وهم يصعدون الدرجات الواسعة لبناية السفارة ويمضون إلى الداخل.
فتح سائق السيد تاغومي الباب، وخرج بسرعة قابضا على حقيبته التي كانت فارغة. لأنه لم يكن هناك أي أوراق ليجلبها إلا أن إحضارها ضروري لكي لا يبدو بمظهر المتفرج. ومشى بخطوات واسعة بطريقة توحي بأنه ذو دور فعّال في هذه الأحداث على الرغم من أنه في الواقع لم يُخبر حتى لأي قضية سيكون الاجتماع.

تجمعت ثلة من الشخصيات، يثرثرون متناقشين في الردهة. انضم السيد تاغومي إلى بعض الأفراد الذين يعرفهم، مومئا برأسه وبدا معهم بصورة موقرة.
ظهر موظف السفارة وقادهم مباشرة إلى قاعة كبيرة، نُظمت فيها كراسٍ قابلة للطي. وشغرت كل الشخصيات المقاعد، وقعدوا بصمت باستثناء نأمة هنا وقرع خطى هناك، وتوقف الحديث.
شق رجل محترم ببنطال مخطط -يحمل رزمة أوراق- طريقه باتجاه المنصة لقد كان ممثل مكتب الخارجية. بشيء من الحيرة كانت بعض الشخصيات تتناقش بصوت خفيض وتومئ برؤوسها لبعض.
'سادتي' قال ممثل مكتب الخارجية بصوت عالٍ وآمر، وتثبتت كل الأعين عليه. 'كما تعلمون لقد تمَّ تأكيد موت مستشار الرايخ الآن، بعد بيان رسمي من برلين. لن يدوم هذا الاجتماع طويلا، وستعودون قريبا إلى مكاتبكم، والغرض من هذا الاجتماع إعلامكم بتقييمنا لبضع الزمر المتنافسة في الحياة الألمانية السياسية التي أصبحت متوقعة الآن أن تتقدم وتشارك في نزاع منفلت من أجل شغر المنصب الذي خلّفه السيد بورمان.
'سنذكر بإيجاز هؤلاء السادة. نبدأ في المقام الأول بهيرمان غورينغ وهذه تفاصيل عنه، فانتبهوا رجاءً:
الرجل السمين، هكذا يُدعى نظرا لجسده. وهو في الأصل مقاتل شجاع في القوات الجوية شارك في الحرب العالمية الأولى، وأسس الشرطة السرية النازية وشغل منصبا ذا أهمية في الحكومة البروسية. واحد من أشرس النازيين الأوائل، وبسبب إفراطه في الملذات تكونت صورة مضللة عن مدمن خمر وديع محب للسلطة الأمر الذي استدعى حكومتنا حثّكم على رفضه. وعلى الرغم من القول إن صحته ليست على خير ما يرام، وآخذين بدانته بعين الاعتبار وشهيته المفرطة في تحقيق رغباته فإنه يشبه في هذا الروماني القديم المعتد بنفسه قيصر الذي ازدادت قوته بدل أن تتضاءل بتقدمه في العمر. والصورة الصادمة لهذا الشخص وهو في ثوب التوغا مع الأسود التي يربيها، والمالك لقلعة كبيرة مملوءة بالتذكارات والقطع الفنية- بلا أدنى شك صحيحة. وقد شقت قطارات الشحن الممتلئة بالقطع الثمينة المسروقة أثناء الحرب طريقها إلى ممتلكاته الخاصة التي فاقت حاجيات القوات العسكرية. تقييمنا له: يسعى هذا الرجل خلف سلطة هائلة وفي مقدرته الحصول عليها. ومنغمس في اللذات أكثر من كل

النازيين، وهو متباين بصورة صارخة عن السابق هيملر الذي عاش حياته الخاصة معتمدا على راتبه الزهيد. ويمثل السيد غورينغ عقلية النهب ويستخدم سلطته من أجل كسب ثروته الشخصية. عقلية بدائية وحتى مبتذلة لكنه رجل ذكي حقا ومن المحتمل أذكى من بقية الزعماء النازيين. هدفه من الإدارة: صناعة مجد شخصي بإسلوب الأباطرة القدماء.

’الشخص التالي، السيد غوبلز، عانى من الشلل في صباه. كاثوليكي الأصل. خطيب ذكي، وكاتب بعقلية مرنة ومتعصبة. بارع، ومتحضر، وله حظوة عند العامة. أكثر نشاطا في تعامله مع السيدات. أنيق. متعلم. ذو قدرات عالية. يعمل كثيرا وشخص مسعور تقريبا في إدارة الأمور، وقيل لا يرتاح أبدا. شخصية محترمة كثيرا. بإمكانه أن يكون لطيفا ولكن قيل إنه يملك سمة عنف لا مثيل لها عند بقية النازيين. فكره ذو توجه شرقي ويبدي وجهات نظر قروسطية يسوعية استفحلت بتأثرها بالعدمية الألمانية ما بعد الرومانسية. يعد شخصية مفكرة أصيلة وفريدة في الحزب إذ كانت له طموحات في كتابة المسرحية وقت شبابه. أصدقاؤه قلة. لا يحبه مرؤوسوه ومع ذلك يحظى بثقة العديد من أفضل الشخصيات الثقافة الأوروبية. لا سعي عنده وراء إرضاء الذات في طموحاته إلا إن القوة تُستخدم لأجل طموحاته بشكل واضح تماما. ويحمل سلوكه التنظيمي العقلية البروسية الكلاسيكية‘.

’السيد ر. هيدريش‘.

توقف ممثل مكتب الخارجية، تطلع في الوجوه من حوله ثم استأنف حديثه.

’أصغر المذكورين سنا، وساعد في ثورة عام 1932. خدم مع النخبة من جهاز الأمن النازي تحت أمرة هيملر، ومن الممكن أنه لعب دورا في موت هيملر عام 1948 الذي لم يُفسَّر بشكل كامل حتى الآن. عزلَ رسميا منافسين آخرين في جهاز الشرطة أمثال أدولف أيخمان ووالتر شيلينبرغ، وآخرين. يقال إن هذا الرجل يخافه الكثيرون من أعضاء الحزب. وهو المسؤول المتحكم بعناصر الفيرماخت بعد إنهاء صراع بين شخصيات مشهورة من الشرطة والجيش، التي قادت إلى إعادة تنظيم الجهاز الحكومي وخرج الحزب النازي منتصرا في خضم الأحداث المستجدة. دعمه بورمان خلال هذه الأحداث. وهو من ثمار نظام القلعة

لتدريب النخبة والذي يسبق ما سُمي بجهاز الأمن. قِيل إنه لا يملك العقلية الوجدانية بالمعنى التقليدي للكلمة. وغامض فيما يتعلق إدارة الأمور. يقال من المحتمل بأن نظرته للمجتمع تدعم الرأي القائل: إن الكفاح الإنساني سلسلة من المباريات، وإن رؤاه الموضوعية غريبة وشبه علمية في بعض الدوائر التكنولوجية. لا يشارك في نزاعات الحزب الأيديولوجية. الخلاصة: يمكن أن نقول إنه صاحب العقلية الأكثر حداثة بطابع حركة ما بعد التنوير، مستغنٍ عن ما يسمى الأوهام الضرورية كالإيمان بإله إلخ. وعقلية واقعية مثل هذه لا يمكن أن تفهم تماما من قبل علماء الاجتماع في طوكيو، لهذا يجب أن يعد هذا الرجل علامة استفهام. ولا بد من ملاحظة التشابه بينه وحالات التدهور الوجداني النفسي للمصابين بانفصام الشخصية'.

شعر السيد تاغومي بالتوعك عندما كان يستمع.

'بالدور فون شيراخ. الرئيس السابق لمنظمة شباب هتلر. ويعد مثاليا. شخصية جذابة في المظهر لكنّه يفتقر للخبرة والأهلية. مؤمن مخلص بأهداف الحزب. ووكلت له زمام المسؤولية في استنزاف مياه البحر الأبيض المتوسط واستعادة الأراضي الزراعية. وحاول أيضا التقليل من سياسات الإبادة العرقية في البلدان السلافية بداية الخمسينات. والتمس هذا الأمر من الشعب الألماني مباشرة لأجل إبقاء بقايا السلافيين في مناطق حجز مغلقة في الهارتلاند. وطالب بإنهاء الأساليب المستخدمة في الموت الرحيم والتجارب الطبية لكنَّه فشل في هذا.

'دكتور سايس-إنكوارت. نازي ذو أصول نمساوية وهو مسؤول الآن عن مناطق الرايخ المستعمرة والسياسات الاستعمارية. ويمكن أن يكون أبغض رجل في أراضي الرايخ. قيل إنه المحرض وراء بعض التدابير القمعية -إن لم يكن جميعها- بحق السكان في البلاد المحتلة. عمل مع روزنبرغ من أجل انتصارات أيديولوجية في أكثر جرائم الإبادة ترويعا مثل محاولته التطهير العرقي لكل السكان الروس المتبقين بعد إنهاء قتال وقع معهم. ولا توجد حقائق تؤكد هذا الادعاء لكنّه يعد واحدا من بضع مسؤولين عن قرار الهولوكوست في القارة

الأفريقية الذي ابتدعوا فيه الشروط المتطلبة لإبادة العِرق الزنجي. وقريب في مزاجه تقريبا من مزاج الفوهرر الأول، أدولف هتلر'.

أوقف المتحدث باسم مكتب الخارجية سرد بيانه الجاف والبطيء.
فكّر السيد تاغومي، أعتقد أني سأجن. عليَّ أن أخرج من هنا فلدي وعكة صحية. جسدي يتقيأ أشياء أو يقذفها إلى الخارج- أنا أحتضر. وقف على قدميه ومضى إلى الممشى مارا بالكراسي والحضور. كان بالكاد يرى، ويريد المرحاض، وركض في الممشى. التفت بعض الرؤوس. نظرت إليه. احتقار. مريض في اجتماع مهم. ترك مكانه. ركض باتجاه الباب الذي فتحه موظف السفارة.
تلاشى الذعر في الحال. وتوقف زوغان عينيه وعاد لرؤية الأشياء مرة أخرى. ثبتت الأرض والجدران. وعكة دوار. خلل في الأذن الوسطى بلا شك. فكّر، اضطرب الدماغ البيني والجذع الدماغي أثناء أداء مهامهما. انهيار لحظي لبعض الأعضاء.
فكِّر في أشياء مُطمئِنة. استرد توازنك. بماذا يجب أن تفكر؟ الدين؟
تؤديان رقصة غوفاتيه الآن باتزان.*
أحسنتما أحسنتما، لقد أديتماها بشكل حسن.
هذا هو أسلوب الأداء على وجه التحديد.
صورة صغيرة من عالم معروف، غوندوليرز، و.G. & S. أغلق عينيه وتخيل D'Oyly Carte Opera Company كما شاهدهم أثناء جولتهم بعد الحرب. العالم المنتهي، المنتهي...
وضع موظف في السفارة يده على كوعه وقال 'سيدي، هل بإمكاني مساعدتك؟'.
انحنى السيد تاغومي وقال 'لقد تعافيت'.
كان وجه الموظف الآخر هادئا، ومراعيا للوضع. لا سخرية. لا بد إنهم جميعا يسخرون مني الآن، محتمل؟ فكر السيد تاغومي. في الأسفل هناك؟
هناك شر! إنه حقيقي مثل الأسمنت.

* جمل من مقطع من مسرحية لكلا من السير وليام غيلبرت وآرثر سوليفان .G. & S. وأخرجت مسرحياتهم في الأوبرا الهزلية شركة Oyly Carte Opera Company'D على مدار السنة في إنجلترا وأماكن في أوروبا وشمال أمريكا.

لا يمكنني تصديق هذا، لا يمكنني تحمله. ليس للشر منظر. وتجول في الردهة سامعا صوت الزحام في شارع سوتير، والمتحدث باسم مكتب الخارجية يخاطب الحضور. كل ديننا خطأ. ما الذي يجب أن أفعله؟ سأل نفسه. ذهب إلى باب مدخل السفارة وفتح له موظف السفارة ونزل السيد تاغومي ماشيا إلى الممر باتجاه مرآب السيارات. وقف سائقه الخاص. الشر جزء منا، من عالمنا. يُصبُ فوق رؤوسنا، ويخترق أجسادنا، وعقولنا، وقلوبنا، وينفذ حتى إلى الرصيف.
لماذا؟
نحن حيوانات خُلد عمياء، نزحف خلال التربة، ونشعر بأنوفنا. لا نعرف شيئا. أفترض هذا... لا أعلم الآن إلى أين أذهب. اصرخ بذعر فقط. اهرب.
مثير للشفقة.
يضحكون عليَّ، فكّر حين رأى سائقي السيارات ينظرون إليه عندما اتجه إلى سيارته. نسيت حقيبتي. تركتها هناك، فوق الكرسي. كل الأعين مثبتة عليه حين أومأ إلى سائقه. فُتح الباب، وتسلل إلى داخل سيارته.
خذني إلى المستشفى، فكّر. لا، أعدني إلى المكتب. 'بناية نيبون تايمز'. قال بصوت عالٍ، 'قُدْ ببطء'. شاهد المدينة، والسيارات، والمتاجر، والمباني الطويلة، طراز حديث جدا. والناس، يذهب كل الرجال والنساء إلى أعمالهم الخاصة. عندما وصل إلى مكتبه أعلمَ السيد رامزي بأن يتصل على مكتب البعثة التجارية، بعثة النون-فيريس أوريز. وأن يطلب من ممثلهم في اجتماع مكتب الخارجية أن يتواصل معه حين يعود.
جاءه الاتصال قبيل الظهيرة.
'ربما لاحظت ما ألمَّ بي في الاجتماع' سأل السيد تاغومي عبر الهاتف، 'لقد كان واضحا للجميع ولا سيما خروجي المستعجل'.
'لم أرَ شيئا' قال رجل النون-فيريس 'لكنني لم أرك بعد الاجتماع وتساءلت أين يمكن أن تكون'.
'أنت لبق' قال السيد تاغومي ببرود.
'لا داعٍ لهذا. أنا متأكد أن الجميع كان مندمجا بمحاضرة ممثل مكتب الخارجية ولم يلقوا بالا لأي شيء آخر. وبخصوص ما حدث بعد مغادرتك- هل بقيت أثناء الحديث عن ملخص تطلعات في القوى المتصارعة؟ كان هذا أولا'.
'آخر ما سمعته الجزء الخاص بدكتور سايس-إنكوارت'.

’أسهب بحديثه بعد هذا عن الوضع الاقتصادي هناك. لحكومة جزر الأرخبيل رأيٌ بأن مخطط ألمانيا في إخضاع سكان أوروبا وشمال آسيا إلى منزلة العبيد، إضافة إلى أن قتلهم المفكرين، والبرجوازيين، والشباب الوطني وغيرهم سبَّب كارثة اقتصادية. ولم تنقذهم سوى الإنجازات التقنية الهائلة للعلماء الألمان ومصانعهم. الأسلحة الأعجوبة، إن جاز القول‘.
’نعم‘ قال السيد تاغومي، وقعد على كرسيه، وقبض على الهاتف بيد واحدة وصبَّ لنفسه بالأخرى كوب شاي ساخن ’كما فعلت أسلحتهم الأعجوبة V-1و V-2 وطائراتهم النفاثة المقاتلة، في الحرب‘.
’إنها أعمال تجارية سريعة‘ قال رجل النون-فيريس أوريز. ’استخدامهم للطاقة الذرية حافظ على إبقاء الأمور في مسارها الصحيح. ثم في تحويل رحلاتهم الصاروخية السيركية إلى المريخ والزهرة. وأشار المتحدث إلى أن جميع وارداتهم المهمة، كما في الرحلات الجوية لم تثمر أي شيء ذي قيمة‘.
’لكنهم مثيرون للإعجاب‘. قال السيد تاغومي.

’كان توقعه كئيبا. يرى بأنَّ أغلب النازيين ذوي المناصب الرفيعة يرفضون مواجهة الحقائق وجها لوجه بأن اقتصادهم في مأزق، وبفعل ذلك يعجلون نزعتهم إلى إنجاز مغامرات أعظم بمهارة عالية، وأقل ثباتا وتوقعا في العموم. دورة الحماس الهوسي، ثم الخوف، ثم حلول الحزب ذي الطابع المتهور- حسنا، والنقطة التي وصل إليها بأن هذه التوجهات ستجلب أكبر التطلعات غير المسؤولة والمتهورة إلى القمة‘.
أومأ السيد تاغومي.
’لذا علينا أن نفترض وقوع الخيار الأسوأ بدلا من الافضل. وستهزم العناصر الرزينة والجديرة بالثقة في الصراع الدائر‘.
’من الأشخاص الذين قال إنهم الأسوأ؟‘ سأل السيد تاغومي.
’ر. هيدريش، ودكتور سايس-إنكوارت، وهـ. غورينغ، حسب رأي حكومة الإمبراطورية‘.
’و الأفضل؟‘.
’في الأرجح ب. فون شيراخ، ودكتور غوبلز، لكنّه في هذا الموضوع كان أقل صراحة‘.

’هل ثمة شيء آخر؟‘.
’أخبرنا أن يكون لدينا إيمان بالإمبراطور ومجلس الوزراء في هذا الوقت أكثر من أي وقت مضى. وبإمكاننا أن ننظر إلى القصر بثقة‘.
’هل كان ثَمَّ لحظة صمت احتراما؟‘.
’نعم‘.
شكر السيد تاغومي رجل النون-فيريس أوريز وأنهى الأتصال.
عندما قعد ليشرب شايه، رنَّ جهاز الاتصال الداخلي، وأتى صوت الآنسة إيفريكيان ’سيدي، أردت أن ترسل رسالة إلى القنصل الألماني‘ توقفت ’هل تود أن تمليها عليَّ في هذا الوقت؟‘.
هو كذلك لقد نسيت هذا، فكّر السيد تاغومي، ’تعالي إلى مكتبي‘. قال.
دخلت في الحال مبتسمة في وجهه بتفاؤل. ’هل تشعر أفضل سيدي؟‘.
’نعم، ساعدتني حقنة فيتامين‘ قال وأضاف ’ذكّريني، ما اسم القنصل الألماني؟‘.
’اسمه السيد فرايهير هوغو ريس‘.
’سيدي‘ ابتدأ السيد تاغومي، ’وصلتنا الأخبار الصادمة عن وفاة قائدكم السيد مارتن بورمان. تغرورق عيناي بالدمع وأنا أكتب هذه الكلمات عندما أتذكر الأفعال المقدامة التي قام السيد بورمان بها من أجل حماية خلاص الشعب الألماني من أعدائه في الداخل والخارج، وكذلك تدابيره المُهيبة والصرامة بحق المتهربين والعملاء الذين سيخونون رؤية البشرية جمعاء للكون التي تسعى إليها الأعراق الشمالية ذات الشعر الأشقر والأعين الزرقاء بعد أن بخس الدهر من-‘ توقف. لم تكن هناك طريقة لإنهاء الرسالة. أوقفت الآنسة إيفريكيان آلة تسجيلها منتظرة.
’هذه أوقات عظيمة‘. قال السيد تاغومي.
’هل يجب أن أسجل هذا؟ هل هذا ضمن الرسالة‘ وأعادت تشغيل الآلة بارتياب.
’كنت أخاطبك‘ قال السيد تاغومي.
ابتسمتْ.
’أعيدي التشغيل لأسمع ما قلته‘. قال السيد تاغومي.
دار شريط جهاز التسجيل، وسمع صوته الدقيق والصلب، وانبعثت الكلمات من سماعة بمساحة إنشين.

’... التي قام السيد بورمان بها من أجل حماية خلاص...‘ وفكّر أنه يستمع إلى صوت يشبه أزيز الحشرات عند حركتها، ضاربة القشور وحاكة لها.
’لدي الخاتمة‘ قال حين توقف المسجل عن إعادة بث الكلام ’عزيمتهم في الرفعة والتضحية بأنفسهم لأجل أن ينالوا مقاما مشرِّفا في التاريخ، إذ لا كائن حي يمكن أن يوقفهم مهما بذل من جهد‘.
توقف ’نحن حشرات جميعا‘ قال للآنسة إفريكيان. ’نسعى خلف شيء مريع أو سماوي. ألا توافقيني؟‘ وانحنى. صدرت من الآنسة إيفريكيان الجالسة مع آلة التسجيل انحناءة متواضعة.
’أرسلي هذا‘ أخبرها ’اختميه بالتوقيع، إلخ. رتّبي الجمل، من بعد إذنك، حتى تعني شيئا ما‘. وعندما همت بمغادرة المكتب أضاف ’أو قد لا تعني شيئا، بالطريقة التي تفضلينها‘.
حين فتحت باب المكتب نظرت إليه بفضول. وبعد أن غادرت بدأ بعمل في الشؤون المعتادة اليومية، لكنَّ السيد رامزي لم يمنحه مجالا واتصلَ ’سيدي، السيد باينز يتصل‘.
جيّد، فكر السيد تاغومي. بإمكاننا الآن أن نبدأ النقاش المهم. ’ضعه على الخط‘ قال ثم التقط الهاتف.
’سيد تاغومي‘ جاء صوت السيد باينز.
’عمت مساءً، بسبب أخبار موت المستشار بورمان كنت خارج مكتبي بشكل غير متوقع هذا الصباح، على أية حال-‘.
’هل اتصل بك السيد ياتابي؟‘.
’لم يتصل بعد‘.
’هل أخبرت موظفيك أن يبقوا عينا متيقظة لأجله؟‘ قال السيد باينز. وبدا صوته مهتاجا.
’نعم‘ قال السيد تاغومي ’سيرشدونه مباشرة فور وصوله‘ دوّن ملاحظة في عقله ليخبر السيد رامزي، لأنه لم يعلمه الموضوع بعد. ألن نبدأ النقاش، حتى يشرفنا الرجل المسن المحترم بظهوره؟ شعر بالحيرة وبدأ ’سيدي، أنا متلهف للبدء. هل ستجلب معك نماذج الحقن إلينا؟ على الرغم من هذا اليوم المربك-‘. ’ثمة تغيير حصل‘ قال السيد باينز، ’سننتظر السيد ياتابي. هل أنت متأكد أنه لم يصل؟ أود

أن تمنحني كلمتك بأنك ستخبرني فور اتصاله. رجاءً كثّف جهودك، سيد تاغومي'. وبدا صوت السيد باينز مهتاجا ومتشنجا.

'أمنحك كلمتي'. وبدأ يشعر الآن كذلك بالاهتياج. موت بورمان أحدث هذا التغيير. 'في هذه الأثناء' قال بعجالة 'أرغب أن أستمتع بصحبتك، ربما على الغداء اليوم. لم تسنح الفرصة بعد تناول الغداء'. ومرتجلا استمر 'وعلى الرغم من أننا سننتظر شخصا معينا، فقد يكون بإمكاننا أن نتأمل أحوال العالم عموما وبالتحديد-'.

'لا' قال السيد باينز.

لا؟ فكّر السيد تاغومي، وقال 'سيدي، لستُ على ما يرام اليوم. وحصل لي حادث خطير، كنت آمل أن أخبرك بهذا'.

'أنا آسف' قال السيد باينز 'سأتصل عليك في وقت لاحق' أنهى المكالمة وأغلق الهاتف فجأة.

لقد أهنته، فكّر السيد تاغومي. لا بد إنه خمّن مصيبا أني تأخرت في إعلام طاقمي عن الرجل المسن المحترم. لكن هذه مسألة تافهة. ضغط على زر الاتصال الداخلي وقال 'سيد رامزي، أرجوك تعال إلى مكتبي'. بإمكاني تصحيح الوضع حالا. شاكت الأحداث على كثرتها، ارتأى قطعا. موت البورمان خضّه.

تافهة- إنها تدل على حمقي وسلوكي الخاطئة. شعر السيد تاغومي بالذنب. هذا ليس بيوم جيد. كان يجب أن أستشير المستخار، وأعرف في أي لحظة أنا. لقد انجرفت كثيرا عن التاو، هذا جلي. وتساءل في أي سداسية من الأربع والستين أنا الآن؟ فتح درج مكتبه وأخرج كتاب I Ching بمجلديه ووضعهما على ظهر المكتب. لدي أسئلة كثيرة لأطرحها على الحكماء. الكثير من الأسئلة بداخلي التي بالكاد أستطيع تلفّظها...

عندما دخل السيد رامزي كان السيد تاغومي قد حصل سلفا على السداسية. 'انظر سيد رامزي' وأراه الكتاب. كانت السداسية السابعة والأربعين الاضطهاد - الإنهاك.

'نذير شؤم، في العموم' قال السيد رامزي 'ماذا كان سؤالك؟ إذا لم يكن سؤالي تجاوزا'.

'استعلمت عن. هذه اللحظة؟' قال السيد تاغومي. 'اللحظة التي نعيشها جميعا. لا خطوط متحركة. سداسية ثابتة'. وأغلق الكتاب.

***

ما زال فرانك فرينك مع شريكه في العمل ينتظران قرار ويندام-ماتسون المتعلق بالنقود وقد شارفت الساعة الثالثة ما بعد الظهر، وقرر فرينك مشاورة المستخار. كيف ستسير الأمور؟ سأل ورمى العُمل النقدية. كانت السداسية هي السابعة والأربعين، وحصل على خط متحرك واحد، تسع نقاط في الموضع الخامس.

أنف مجدوع وقدماه مبتورتان
الاضطهاد على أيدي ذوي أربطة الركبة الأرجوانية
الفرح يأتي بهدوء
من الأفضل للمرء أن يقدم القرابين وإراقات.

درس فرينك الخط والحكم المرتبط به مدة طويلة -نصف ساعة- وحاول أن يعرف ما الذي يقصده. ولا سيما الخط المتحرك الذي أزعجه. واستنتج في الأخير وعلى مضض بأن المال لن يأتي.

'أنت تعتمد على هذا الشيء كثيرا' قال إد مكّأرثي.

ظهر في الساعة الرابعة عصرا رسول شركة و-م وسلّم فرينك ومكّارثي ظرف مانيلا. وعندما فتحا الظرف وجدا صكا مصدّقا بقيمة ألفي دولار.

'إذن لقد كنتَ مخطئا'. قال مكّارثي.

فكّر فرينك، لا بد إن المستخار يشير إلى بعض العواقب المستقبلية التي ستلي هذا. ستقع المشكلة لاحقا، وعندما تقع سيكون بإمكانك وقتها أن تنظر إلى الخلف وترى ما الذي عناه بالضبط. أما الآن-

'يمكننا البدء بترتيب المحل الآن' قال مكّارثي.

'اليوم؟ حالا؟' شعر فرينك بالإعياء.

'لمَ لا؟ لقد هيّأنا كل الطلبات وكل ما علينا فعله هو شحنها بالبريد. خير البر عاجله.

ومواد العمل يمكننا شراءها من هنا، وسنجلبها بأنفسنا'. لبس سترته واتجه إلى باب غرفة فرينك.

تحدثا مع مالك بناية فرينك ليأجرَ لهما القبو الذي كان يستخدم مستودعا. عندما يُخرِجون العلب الكارتونية سيكون بإمكانهما بعدها بناء مصطبة العمل، وتثبيت الأسلاك والأضواء، والبدء بعدها برفع المحركات والأحزمة. لقد قاموا برسم المخططات، وحددوا المواصفات، وقوائم القطع. لذا ففي الواقع كانوا مستعدين للبدء. نحن نعمل، أدرك فرانك فرينك وقد اتفقا حتى على الاسم.

شراكة إدفرانك للمجوهرات.

’أقصى ما يمكنني فعله اليوم-‘ قال فرينك ’هو شراء الخشب لأجل المصطبة، وربما الأجزاء الكهربائية أما مواد صناعة المجوهرات فلا‘. ذهبا بعدها إلى ساحة في جنوب سان فرانسيسكو لجلب الخشب منها، وبعد ساعة حصلا على الخشب الذي يريدانه.

’ما الذي يزعجك‘ قال إد مكّارثي عندما دخلا متجر جملة لبيع الأدوات الأساسية.

’المال هو ما يشغلني. تحبطني الطريق التي موّلنا بها المشروع‘.

’العجوز ويندام ماتسون يتفهم الأمر‘. قال إد مكّارثي.

أعرف، فكّر فرينك. لهذا السبب أنا منزعج. لقد دخلنا إلى هذا العالم. نحن مثله. هل هذه فكرة مبهجة؟

’لا تنظر إلى الخلف‘ قال مكّارثي. ’انظر إلى الأمام، إلى العمل‘. أنا أتطلع إلى الأمام، قال فرينك لنفسه، وفكّر بالسداسية. أي قرابين وإراقات أقدمها؟ ولمن؟

7

قرب نهاية الأسبوع، اتصل الزوجان اليابانيان الوسيمان، آل كاسورا، اللذان قدما إلى متجر روبرت تشيلدان ودعواه لزيارة شقتهما على العشاء في اليوم نفسه. كان روبرت ينتظر خبرا منهما ولذا فقد سُرَّ سرورا كبيرا.
أغلق متجر التحف اليدوية الفنية الأمريكية مبكرا، واستقلته عربة البيدي كاب قاصدةً الحي الثري حيث يسكن آل كاسورا. كان يعرف أين المنطقة على الرغم من أن البيض لا يسكنون فيها. وعندما كان سائق البيدي كاب يقلُّه في الطرق المتعرجة ذات المروج الخضراء وأشجار الصفصاف على امتدادها، تأمل تشيلدان مباني الشقق الحديثة وتعجَّب بروعة التصاميم. شرفات من الحديد المطاوع، وأعمدة حديثة فارعة، وألوان زاهية، والاستخدامات المتنوعة لصخور البناء... بدت جميعا كقطعة فنية. وبإمكانه أن يتذكر متى كانت هذه لا شيء مجرد أنقاض الحرب.
راقبه الأطفال اليابانيون الصغار الذين كانوا يلعبون في الخارج بدون تعليق ثم عادوا إلى لعب كرة القدم أو الكرة السلة. وفكّر بأنهم ليسوا كالشباب البالغين الأنيقين الذين ركنوا سياراتهم عند مداخل بنايات سكناهم وراقبوه باهتمام أكبر. هل يسكن هنا؟ ربما هكذا تساءلوا. يأتي رجال الأعمال اليابانيون من مكاتبهم، وحتى مديرو البعثات التجارية يقطنون هنا. لاحظ سيارات كاديلاك مركونة. وعندما كانت البيدي كاب تقترب من وجهته ازداد توتره.
بعد برهة، كان يصعد السلم نحو شقة آل كاسورا، فكّر، أنا هنا لست مدعوا دعوة عمل لكن ضيف عشاء. اعتنى باهتمام شديد وخاص بملابسه. في الأقل كان بإمكانه أن يكون واثقا من مظهره. نعم، هذا حسن. كيف أبدو؟ لا يمكنني خداع أحدٍ فأنا لا أنتمي إلى هذا المكان. على هذه الأرض التي نظّفها الرجال البيض وبنوا عليها أحسن مدنهم. أنا غريب في بلدي. وصل إلى الباب المقصود في نهاية الممر المفروش بالسجاد، ودق الجرس. فُتح الباب في الحال. كانت تقف السيدة كاسورا مرتدية ثوب كيمونو حريري مع الشريط العريض، وينساب شعرها الأسود الطويل واللامع خلف عنقها، رحبت به مبتسمة. وزوجها مومئٌ برأسه في غرفة المعيشة خلفها وبيده كأس الشراب.
’تفضل، سيد تشيلدان‘.

انحنى ودخل.
ذوق حَسن إلى أقصى حد. وزهيد جدا. أثاث قليل، مصباح، ومنضدة، وخزانة كتب، ولوحة على الجدار. إنها العقلية اليابانية المذهلة في جماليات فن اللا كمال. لا يمكن أن
تخطر في العقلية الإنجليزية أبدا، القدرة على إيجاد الجمال في الأغراض البسيطة، جمال يفوق التفاصيل والزخرفة، شيء يتعلّق الترتيب.
’أتشرب؟‘ سأل السيد كاسورا، ’سكوتش مع الصودا‘.
’سيد كاسورا-‘ بدأ.
’باول‘ قال الشاب الياباني، ومشيرا إلى زوجته ’بيتي، وأنت-‘.
قال بصوت خفيض ’روبرت‘.
قعدوا على السجادة الناعمة مع شرابهم، واستمعوا إلى معزوفة كوتو مسجلة، قيثار ياباني بثلاثة عشر وترا. كانت إصدارا جديدا من شركة إتش. إم. في. اليابانية، وشعبية جدا. انتبه تشيلدان أن كل أجزاء الفونوغراف كانت مخفية حتى السماعة. ولم يستطع أن يميز من أين يأتي الصوت.
’بما إننا لا نعرف ذوقك في الطعام‘ قالت بيتي ’آثرنا اللعب على المضمون. حضّرت في فرن الشواء الكهربائي شريحة من ضلع بقرة، وكذلك البطاطا المحمصة مع صلصة القشطة الحامضة والثوم. يقول ماكسيم: لا يمكن أن يخطئ امرؤ يطعم ضيفه الجديد شريحة لحم لأول مرة‘.
’مُرضٍ جدا‘. قال تشيلدان ’أنا مولع جدا بشرائح اللحم‘. وقد كان كذلك فعلا، وبالكاد كان يحصل عليه؛ فلم تعد تُرسل المواشي كثيرا من الشرق الأوسط إلى الساحل الغربي. ولا يمكنه أن يتذكر متى أكل شريحة لحم لذيذة آخر مرة.
حان الوقت ليهدي مضيفيه هدية.
أخرج من جيب معطفه حاجة صغيرة مغطاة بنسيج ورقي، ووضعها مباشرة على المنضدة الواطئة. لاحظ كلاهما الأمر فورا، الأمر الذي دفعه للكلام ’شيء بسيط أقدمه لكما، لأبدي قليلا من شعوري بالراحة والاستئناس لوجودي هنا‘.
فتحت يده النسيج الورقي لتريهما الهدية. قطعة عاج فنية صغيرة ومنمنمة عمرها قرنٌ منحوتة على أيدي صيادي الحيتان في إنجلترا الجديدة، وتدعى سكريمشاو. تلألأ وجهاهما بمعرفة هذه السكريمشاو التي كان يصنعها البحارة القدماء في

وقت فراغهم، ولا يوجد شيء آخر بإمكانه تلخيص الثقافة الأمريكية أكثر من هذا . وعمَّ الصمت.
’شكرا‘ قال باول.
انحنى روبرت تشيلدان.
ثَمَّ سكينة في المكان، وبعدها للحظة، انتقلت إلى قلبه. هذا العرض هو -كما قال كتاب التغييرات- إراقة. لقد فعل ما يجب فعله. وبدأ ينزاح عن كاهله شعور التوتر والضيق الذي اعتلاه مؤخرا.
استلم من راي كالفن تعويضا عن مسدس كولت 44.، إضافة إلى ضمانات مكتوبة بألا يرسل إليه أي قطع مزيفة، ولم يرتح قلبه إثر ما حصل، فقط الآن، وفي وضع ليس له علاقة، وفقد لوهلة شعوره بأن الأمور كانت في جريان مستمر من الانحراف. فن جماليات اللا كمال حوله، وانبعاثات التناغم... التناسب والتوازن، هذا هو السبب، أيقنَ. إنهما قريبان جدا من التاو، هذان الزوجان اليابانيان ولهذا السبب استجبت لهما من قبل. حدست التاو عبرهما، لمحته بنفسي.
كيف يمكن أن يبدو التاو لأعرفه فعلا؟ تساءل. التاو الذي يفسح للنور في البداية ثم الظلام. تداخلات من حين إلى آخر بين قوتين بدائيتين لذا فهناك تجدد دائما، وبهذه يحافظ عليهما جميعا من البلاء. لن ينطفئ الكون أبدا، فعندما يبدو أن الظلام التهم الوجود وتعالى عليه حقا، تبزغ تباشير النور متولدة من أسحق الأعماق. هذه هي الطريقة. فعندما تسقط البذرة إلى داخل الأرض، إلى التربة، إلى الأعماق بعيدا عن العين- تدبُّ فيها الحياة.
’المقبلات‘ قالت بيتي، وجثت لتقدم طبقا يحوي رقائق جبن صغيرة، ومقبلات أخرى. وأخذ روبرت قطعتين ممتنا.
’أعلن عن أخبار عالمية كثيرة هذه الأيام‘. قال باول عندما ارتشف شرابه. ’عندما كنت أقود الليلة استمعت إلى بث مباشر عن موكب جنائزي حكومي عظيم في ميونخ، حضره تجمع من خمسين ألف بأعلامهم وما شابه. وأنشدوا مطولا "Ich hatte einen kamerad". والجثمان مسجّى الآن في هيئة ليتسنّى للمؤمنين رؤيته‘.
’نعم، لقد كان خبرا مفجعا‘ قال تشيلدان ’جاء الخبر الصادم في أول الأسبوع‘.

’قالت بعثة النبيون تايمز وفقا لمصادر موثوقة إنه أعلن عن وضع ب. فون شيراخ في منزله تحت الإقامة الجبرية‘ قالت بيتي ’من قبل جهاز الأمن النازي‘.
’مؤسف‘ قال باول هازا رأسه.
’بلا شك فإن السلطات ترغب بإبقاء السلطة في يدها‘ قال تشيلدان ’لوحظ عن فون شيراخ بأنه متعجل وعنيد، وحتى ذو تصرفات طائشة. يشبه كثيرا ر. هيس* في ماضيه، تذكرون طيرانه المجنون إلى إنجلترا‘.
’ماذا أفادت بعثة نيبون أيضا؟‘ سأل باول زوجته.
’الكثير من الارتباك والتخبط. تحرك وحدات الجيش من هذه المنطقة إلى تلك، وألغيت النزولات، وأغلقت الحدود. انعقاد جلسة في الرايخستاج، والكل خطبَ‘.
’يحضرني الخطاب المؤثر الذي ألقاه دكتور غوبلز‘ قال تشيلدان ’على المذياع منذ سنة مضت أو أكثر. يطعن بدهاء كبير، ويضع الجمهور في راحة يده كالعادة، ويصوب حديثه إلى مشاعر مستمعيه. وبدون شك، مع غياب هتلر عن الساحة، فإن دكتور غوبلز خطيب النازيين الأول‘.
’فعلا‘ قال باول وبيتي موافقين ومومئين.
’لغوبلز زوجة وأطفال لطفاء أيضا‘ واستمر تشيلدان ’من ذوي الطبقة السامية جدا‘.
’فعلا‘ قال باول وبيتي موافقين. ’رجل عائلة، خلافا لعدد من العظماء الكبار‘ قال باول ’ذوي العادات الجنسية المشكوك فيها‘.
’لا أضيع وقتي في الشائعات‘ قال روبرت ’أتشير إلى شخص مثل إي. رويهم*؟ التاريخ القديم، طواه الزمن منذ وقت طويل‘.
’أفكر أكثر ب هـ. غورنغ‘ قال باول وهو يرتشف شرابه ببطء ويحدق بكأسه ’تثير الحكاياتُ المنوعة واللا معقولة الشبيهةُ بعربدة روما الاشمئزازَ حتى بمجرد السماع عنها‘.
’أكاذيب‘ قال روبرت.
’حسنا، موضوع لا يستحق النقاش‘ قالت بيتي بلباقة ونظرت إلى كليهما.
أنهوا شرابهم، وذهبت لتملأها من جديد.

---

* رودلف هيس: سياسي نازلي، وعضو قيادي في الحزب (1894-1987).

’كثيرا ما ترتفع حرارة الدم في النقاش السياسي‘ قال باول ’من الضروري أن تحتفظ بسلامة رأسك في كل مكان تذهب إليه‘.
’بالفعل‘ وافق تشيلدان ’الهدوء والسكينة، وهكذا ترجع الأشياء إلى اتزانها المعهود‘.
’يمر المجتمع الشمولي بمرحلة حرجة بعد موت الزعيم‘ قال باول ’انحدار قيم التراث ودمج مؤسسات الطبقة الوسطى-‘ قطع كلامه ’ربما من الأفضل عدم الحديث في السياسة‘. ابتسم كما في أيام الدراسة الخالية.
شعر تشيلدان أن وجهه احمرَّ وانحنى على كأس شرابه الجديد ليبعد نفسه من نظرات مضيفه. يا لها من بداية مزرية تلك التي بدأها. جادل بحمق وطريقة هائجة في السياسة. كان فظا في عدم موافقته، ولم ينقذ الأمسيّة سوى لباقة وبراعة مضيفته. كم يجب عليَّ أن أتعلم، فكّر تشيلدان. إنهما ودودان ومحترمان جدا. وأنا- الهمجي الأبيض. إنها الحقيقة.
هدّأ نفسه لبعض الوقت عبر ارتشافه شرابه ومبديا على وجهه أمارات تعبر عن استمتاعه. يجب أن أحذو حذوهما بالمطلق، قال لنفسه. أوافق دائما. في حالة هلع، فكّر، تشوشت بداهتي بسبب الشراب مع التعب والاضطراب. هل بإمكاني فعلها؟ على أي حال لن يقوما بدعوتي ثانية أبدا، لقد فات الآوان. وشعر باليأس.
عادت بيتي من المطبخ وقعدت مرة أخرى على السجادة. ما أجذبها، فكّر تشيلدان بها مرة أخرى. قوام ممشوق، كل ملامحها خارقة؛ ليست بسمينة ولا نحيلة. ولا حاجة لها بحمالة نهدين ولا حزام خصر. يتوجب عليَّ أن أخفي رغبتي بها، سيكلف الأمر كثيرا. وعلى الرغم من هذا فقد استرق نظرة إليها. الألوان الغامقة المحببة في بشرتها وشعرها وعينيها. نحن خرجنا بنصف استواء مقابلة بهم. أُخرجنا من التنور قبل أن يكتمل نضجنا. تقول الأسطورة البدائية الحقيقة.
لا بد من صرف ذهني عن التفكير فيها. جدْ موضوعا اجتماعيا، أي شيء. جالت عيناه حوله باحثتين عن موضوع. يتلاشى الصمت بثقل جاعلا لتوتره أزيزا. شعور لا يحتمل. ماذا يُفترَضُ أن أقول؟ موضوع لا خوف منه. رأت عيناه كتابا

---

* إرنست رويهم: ضابط عسكري ألماني، ومن أعضاء الحزب النازي الأوائل (1887-1934).
في خزانة خشب الساج السوداء الصغيرة.

’أرى أنك تقرأ كتاب **"الجندب يستلقي ثقيلا"**‘ قال ’لقد سمعته من شفاهٍ عديدة، لكن ضغط العمل حال دون إبداء اهتماماتي به‘. نهض، وذهب ليلتقطه، بحث في تعابير وجهيهما عن إشارة، وبدا أنهما مدركان لهذه السلوك الاجتماعية الإيمائية. واستمر ’غموض؟ اعذرا جهلي الساحق‘. وقلب الصفحات.
’ليس غموضا‘ قال باول ’على النقيض تماما، شكل روائي مثير ومن الممكن إدراجه في روايات الخيال العلمي‘.
’أوه لا‘ لم توافقه بيتي ’لا وجود للعلم فيه، وأحداثه ليست مستقبلية. تتناول روايات الخيال العلمي المستقبل، وبالتحديد المستقبل الذي يتفوق فيه العلم ويتقدم على الوقت المعاصر. ولم يرتكز الكتاب على هذا‘.
’لكنه يتعامل مع التاريخ البديل‘ قال باول ’العديد من روايات الخيال العلمي تصب في هذا المجال‘. وقال لروبرت موضحا ’اعذر إصراري في هذا الموضوع، لكن وكما تعلم زوجتي، كنت مهووسا ولزمن طويل بروايات الخيال العلمي. بدأت بهذه الهواية في سن مبكرة من حياتي، في الثانية عشرة فحسب. كان هذا خلال أيام الحرب الأولى‘.
’أجل‘ قال روبرت تشيلدان بتهذيب.
’ألنت مهتم باستعارة **الجندب؟**‘. سأل باول ’سنلتقي معا قريبا، خلال يوم أو أكثر بالتأكيد. مكتبي في وسط المدينة بالقرب من متجرك الموقر. سيسعدني أن أوصله إليك وقت الغداء‘. وصمت، ثم -ومن المحتمل بسبب إشارة زوجته كما رجّح روبرت- تابعَ ’ومن الممكن أن نتغدى أنا وأنت يا روبرت في تلك المناسبة‘.
’شكرا جزيلا‘. قال روبرت. هذا كل ما استطاع نطقه. الغداء في مطعم من مطاعم رجال الأعمال الأنيقة في وسط المدينة، هو مع شاب ياباني مرموق عصري وراقٍ. لقد كان هذا كثيرا جدا، وشعر بالضباب في عينيه.
استمر روبرت بتفحص الكتاب مومئا. ’نعم‘ قال ’يبدو أن الكتاب مهمٌ. أرغب بشدة أن أقرأه، وسأحاول معرفة عن ماذا يتحدث‘. هل كان هذا لائقا لأقوله؟ الإفصاح عن اهتمامه بالكتب المعاصرة. ربما كان هذا فعلا مبتذلا. لم يعرف، وشعر بعدها بأنه كذلك. ’لا يمكن للمرء أن يحكم على كتاب لكونه ضمن قائمة أفضل المبيعات فقط‘ قال ’جميعنا نعرف أن بعض الكتب التي تتصدر قائمة المبيعات عبارة عن هراء تافه. هذا على أي حال-‘ وتلعثم.
’صحيح غالبا، الذائقة العامة بائسة‘. قالت بيتي.

’كما في الموسيقى‘ قال باول ’لا أحد يهتم بموسيقى الجاز الشعبية الأمريكية الأصيلة. روبرت، هل أنت معجب بـ بونك جونسون وكيد أوري ومن شابههم؟ بدايات جاز الديكسيلاند؟ أملك مكتبة تسجيلات للموسيقى القديمة مثل هذه، تسجيلات جينيت الأصلية‘.

قال روبرت ’أخشى بأني أعرف القليل عن موسيقى الزنوج‘. لم يبدوا مسرورين إطلاقا بهذه الملاحظة.

’أفضل الموسيقى الكلاسيكية. باخ وبيتهوفن‘. بالتأكيد كان هذا مقبولا. وشعر بشيء من الامتعاض. هل كان من المفترض عليه أن ينبذ أساتذة موسيقى أوربا العظام، والموسيقى الكلاسيكية الخالدة لصالح جاز نيو أورليانز، وموسيقى الهونكي-تونك وحانات الأحياء الزنجية؟

’ربما لو أسمعتك موسيقى لملوك نيو أورليانز‘ بدأ باول وهمَّ مغادرا الغرفة لكنَّ بيتي لفحته بنظرة تحذير، فتردد مستهجنا.

’سيجهز العشاءُ قريبا‘ قالت بيتي.

عاد باول وقعد في مكانه. عليه بعض العبوس، فكر روبرت، وقال ’إن جاز نيو أورليانز أفضل موسيقى شعبية أمريكية أصيلة على الإطلاق. متأصلة في هذه القارة، وكل ما سواها قدم من أوروبا مثل المعزوفات الغنائية ذات الأسلوب الإنجليزي المبتذلة‘.

’هذا محل جدال دائم بيننا‘ قالت بيتي مبتسمة بوجه روبرت ’لا أشاركه حبه للجاز الأصلي‘.

ما زال روبرت حاملا نسخة رواية "الجندب يستلقي ثقيلا"‘ وقال ’أي نوع من الحاضر البديل يصف هذا الكتاب؟‘. قالت بيتي بعد برهة ’ذاك الذي تخسر فيه ألمانيا واليابان الحرب‘.

ثم صمتوا جميعا.

’وقت الطعام‘ قالت بيتي وقامت على قدميها ’تعالا رجاءً يا رجلا الأعمال المحترمان الجائعان‘، متوددة إلى روبرت وباول وهم يتجهون نحو مائدة الطعام التي يغطيها مفرش مائدة موضوع عليها مناديل بيضاء تتوسطها حلقات صلبة صينية مصنوعة من الفضة، ميّزها روبرت لشبهها بحلقات المنديل العظمية الأمريكية البدائية. والفضة أيضا كانت من نوع فضة الستيرلينغ الأمريكية. والأكواب والصحون من نوع رويال ألبرت، ذات لون أزرق صافٍ وأصفر.

نوع نادر جدا، لم يستطع منع نفسه من التحديق إليها بإعجاب الخبير المحترف. أما الأطباق لم تكن أمريكية وبدت له يابانية ولم يكن قادرا أن يميز، إذ كانت خارج حقل معرفته.
’إنها من خزف إيماري المزجج‘ قال باول حادسا اهتمامه ’من أريتا التي تعد أول منطقة تنتجها في اليابان‘.
قعدوا جميعا.
’قهوة؟‘ سألت بيتي روبرت.
’أجل، شكرا‘ أجاب.
’لا تبقيا شيئا فوق المائدة‘ قالت واتجهت لتجلب عربة الطعام. وشرعا بعدها بالأكل. استطاب روبرت الطعام. إنها طاهية مذهلة حقا. أعجبه بالتحديد السلطة والأفوكادو ولب الخرشوف، ونوع من صلصة الجبن الأزرق، وحمد الله إنهما لم يضيفاه بوجبة طعام يابانية، كانت الصحون يختلط فيها اللحم بالخضار التي أكل منها كثيرا منذ أيام الحرب.
وعدد لا محدود من الأطعمة البحرية. أكل منها بنهم حتى إنه لم يكن قادرا أن يبقي شيئا من الجمبري أو المحار.
’أود أن أعرف‘ قال روبرت ’كيف افترضَ الشكل الذي سيكون عليه العالم بعد خسارة ألمانيا واليابان الحرب‘. لم يجب باول ولا بيتي برهة من الزمن. وأجاب -في الأخير- باول ’اختلافات معقدة جدا، من الأفضل أن تقرأ الكتاب، قد أفسدها عليك لو سمعتها‘.
’لدي تصورات قوية عن هذا العالم‘ قال روبرت ’فكرت مرارا بهذا الموضوع. سيكون العالم أسوأ بكثير‘. سمع صوته يخرج قويا، وقاسيا في حقيقة الأمر. ’أسوأ بكثير‘.
أخذتهما الدهشة. ربما بسبب نبرة صوته.
’كانت الشيوعية ستحكم في كل مكان‘ استمر روبرت.
أومأ باول. ’المؤلف، السيد هـ. أبندسن، وضع هذه النقطة في الحسبان، انتشار السوفييت الروس بهئية غير منضبطة، لكن وكما حدث في الحرب العالمية الأولى، حتى عندما كانوا الطرف المنتصر، سيقع فلاحو الدرجة الثانية من الروس في الموقف المحرج. سيكونون أضحوكة كبرى، تتذكر اليابان في حرب ضدهم، عندما-‘.

’وجب علينا أن نعاني لدفع التكلفة‘ قال روبرت ’لكننا دفعناها لسبب وجيه. لإيقاف إغراق العالم بالسوفيت‘.

قالت بيتي بصوت خفيض ’شخصيا، لا أومن بأي حديث تاريخي عن "إغراق العالم" بالسلافيين أو الصينيين أو اليابانيين‘. طالعت روبرت بنظرة صريحة، وكانت مسيطرة على نفسها تماما، وغير متحمسة، رغبت أن تعبر عن مشاعرها. وبدت على وجنتيها بقعتان حمراوان قانيتان.

وأكلوا لوقت طويل دون حديث.

فعلتها مجددا، قال روبرت تشيلدان لنفسه. من المستحيل تجنب هذا الموضوع، إنه في كل مكان، في الكتاب الذي التقطته أو في تسجيلات الموسيقى، وفي حلقات المناديل العظمية هذه- التي نهبها الغزاة. وسلبوها من شعبي. واجه الحقائق. أحاول أن أتظاهر أنَّ هذين اليابانيان وأنا سواء. لكن لاحظ: حتى عندما أبديت لهما رضاي في كونهم هم من ربحوا الحرب، وأن بلدي خسر- لم يمهد الأمر لأرضية مشتركة بيننا. والكلمات التي تعني لي شيئا، تكون على النقيض تماما لهما. عقولهم مختلفة، وأرواحهم كذلك. شاهدهم وهو يشربون بأكواب إنجليزية ثمينة، ويأكلون بأطباق فضة أمريكية، ويستمعون إلى موسيقى زنجية الطابع، كل هذا في مرمى العين. جعلهم تفوقهم المادي والسلطوي يألفون هذه الأشياء إلا إنها ألفة مصطنعة كطول النهار.

حتى كتاب التغييرات الذي تُخضعنا حِكمَه لأمرها- صيني، مستعار من الزمن البعيد. يخدعون من؟ أنفسهم؟ يسرقون العادات يمنة ويسرة، سواء في الملبس أو الأكل أو الحديث أو المشي، ومثال هذا تقديمهم البطاطا المحمصة مع القشطة الحامضة والثوم، طبق أمريكي تقليدي يُضاف إلى غنيمتهم. لا ينخدع به أحد، بإمكاني تأكيد هذا، في الأقل أنا من بين الجميع.

العِرق الأبيض وحده يتمتع بموهبة الإبداع، أبدى هذا لنفسه. وأنا من أشاركهم الدم نفسه، يجب أن أرطم رأسي هذين الاثنين بالأرض. كيف سيكون الوضع لو أننا انتصرنا! كنا سنمحيهم من الوجود. لا يابان اليوم. ويسطع نجم الولايات المتحدة الأمريكية قوة عظيمة في هذا العالم الواسع بأكمله.

فكّر: يجب أن أقرأ كتاب الجندب. الأمر واجب وطني، كما يبدو هذا.

قالت بيتي بلطف له ’روبرت، أنت لا تأكل، ألم يعجبك الطعام؟‘

وأخذ في الحال شوكة مملوءة بالسلطة، وقال ’بلى، في حقيقة الأمر إنها ألذ وجبة أتناولها منذ سنوات‘.

’شكرا‘ قالت، وسُرَّت بالتأكيد. ’أقوم بقصارى جهدي حتى تكون الوجبة مطابقة للأصل... على سبيل المثال، أتبضع بعناية من المحلات الأمريكية الصغيرة في نهاية شارع البعثة. تدرك الأمر- الجودة الأصلية‘.

تطهين الأطباق المحلية لدرجة المثالية، فكّر روبرت تشيلدان. ما يقولانه صحيح: قدرتكم على التقليد عظيمة. فطيرة التفاح، وكوكا كولا، والتنزه بعد مشاهدة فيلم غلين ميلر... بإمكانكم الحصول على أمريكا مصطنعة بالكامل عبر لصق قطع القصدير وورق الأرز. وأم من ورق الأرز في المطبخ، وأب من ورق الأرز يقرأ الصحيفة، وجرو من ورق الأرز واقف على أقدامه. وكل شيء.

كان باول يراقبه صامتا. وفجأة لاحظ روبرت تشيلدان انتباه الرجل، قطع حبل أفكاره وشرع بتناول طعامه. هل بإمكانه قراءة ما يجول في عقلي؟ أن يرى ما أفكر فيه حقا؟ أعلم أني لم أظهرها، لقد حافظت على تعبير لطيف، لا يمكنه أبدا أن يدركها.

’روبرت‘ قال باول ’بما إنك ولدت ونشأت هنا، وتتكلم بالمصطلحات الأمريكية، ربما بإمكانك مساعدتي في كتاب حيرني كثيرا. رواية أمريكية لعام 1930 لمؤلف أمريكي‘.

حنى رأسه بخفة.

’الكتاب نادر جدا، أملك نسخة واحدة منه، للكاتب ناثانيل ويست، وعنوانه مس لونلي هارتس. استمتعت بقراءته إلا إنني لم أفهم تماما مغزى ناثانيل‘. ونظر بتفاؤل إلى روبرت.

أقرَّ روبرت تشيلدان مباشرة ’لم أقرأ هذا الكتاب قط‘. ولا حتى سمعت به، قال لنفسه.

ظهرت ملامح الخيبة على باول. ’سيئ جدا. إنه كتاب صغير، يتحدث عن كاتب عمود في صحيفة يومية يتعرض لمشاكل في القلب بشكل دائم حتى يُقاد إلى الجنون بسبب الألم ويعيش في وهم إنه المسيح. هل يذكرك هذا بشيء؟ ربما قرأته منذ زمن طويل‘.

’بتاتا‘ ردَّ روبرت.

’يطرح وجهة نظر غريبة عن المعاناة‘ قال باول ’يبدي بصيرة ثاقبة تقود في مجملها إلى إن الألم لا سبب له، المسألة التي تأقلمت معها كل الأديان. فالمسيحية تقول دائما بأنه لا بد أن يكون هناك خطيئة ثُمَّ تحلُّ المعاناة. ويبدو أن ناثانيل ويست يود أن يضيف رأيا صارما في هذا يتجاوز المفاهيم القديمة. وربما يرى بأن المعاناة تحلُّ بلا بسبب لكونه يهوديا‘.

قال روبرت ’لو أن ألمانيا واليابان خسرتا الحرب لكان اليهود اليوم يحكمون العالم، من موسكو إلى وول ستريت‘. بدا اليابانيان، الزوج والزوجة، ينكمشان، ويتلاشيان، ويتضاءلان،

متقهقرين إلى داخليهما. حلت البرودة في الغرفة نفسها. وشعر روبرت تشيلدان بأنه وحيد، يأكل بمفرده، لم يعد برفقتهما. ما الذي فعله الآن؟ ما الذي لم يفهمانه؟ ضمور في مقدرتهما على فهم لسان أجنبي، واستعصى عليهما الفكر الغربي لذا فقد أخذهما الاستياء. يا لها من مأساة، فكّر حين كان مستمرا في أكله. وبعد ماذا يمكن فعله؟

لقد كانت الصراحة السابقة -في اللحظة الماضية للتو- التي اتضحت لجميعنا جديرة بالتقدير.

لم يلمح حتى الآن فداحة الوضع كاملا، ولم يشعر روبرت تشيلدان بالسوء تماما كما شعر به من قبل، لأن حلم اللا واقعية بدأ يرتفع بعيدا عن عقله. لقد أبديت هنا شيئا توقعته، تذكر، شوشتني غشاوة مراهق رومانسية عندما كنت أصعد السلم. لكن لا يمكن تجاهل الحقيقة، علينا أن ننضج.

هذه هي المعلومة الصحيحة وفي المكان المناسب. هؤلاء الناس ليسوا بشرا أسوياء، فهم يرتدون الثياب لكنهم يشبهون القردة المُزَيَّنة في السيرك، إنهم أذكياء ويمكنهم التعلم لكنَّ هذا كل شيء.

لماذا أشاركهم الطعام إذن؟ هل فقط لأنهم ربحوا الحرب؟ اكتشفتُ عيبا كبيرا في شخصيتي أثناء هذا اللقاء، لكن الأمور تجري بهذه الطريقة. لدي نزعة مثيرة للشفقة تجاه... حسنا، هل بإمكاننا القول، الاختيار الصائب من بين أهون الشرين، مثل بقرة رأت معلفا؛ عدوتُ بسرعة بلا أي تخطيط.

وما كنت أفعله هو أن أتماشى مع التصرفات الظاهرية لأن هذا آمن، وبعد كل شيء إنهم المنتصرون... ويحكمون. وسأستمر في التماشي، أعتقد هذا. فلماذا

يجب عليَّ أن أحزن نفسي؟ فهم يقرأون كتاب أمريكيا، ويرغبون مني أن أشرحه لهم، يأملون بأن - أنا الرجل الأبيض- أمنحهم إجابة وهل أحاول!
لكن في هذا الوضع لا يمكنني حتى لو كنت قرأته فلا يمكنني فعلها.
’ربما يوما سألقي نظرة على كتاب مس لونلي هارتس هذا‘ قال لباول ’ووقتها سيمكنني أن أعلمك مغزاه‘. أومأ باول بلطف.
’وعلى أي حال، أنا منشغل في عملي في الوقت الراهن‘ قال روبرت ’لاحقا، ربما... أنا واثق أنه لن يستغرقني قراءته وقتا طويلا‘.
’لا‘ تمتم باول ’كتاب قصير جدا‘. بدا كلا من باول وبيتي حزينين، فكّر روبرت تشيلدان. وتساءل إن كان قد أدركا الفجوة الفاصلة بينهما وبينه. آمل ذلك. يستحقان معرفة هذا. خزي- عليهما اكتشاف مغزى الكتاب بنفسيهما.
وأكل بمتعة أكثر.
لم يعكر صفو الإمسيّة بعدها أي خلاف. غادر روبرت شقة آل كاسورا في تمام العاشرة وما زال يشعر بالثقة التي غمرته أثناء تناول الوجبة. وخرج من الشقة نازلا على سلم البناية من دون بالغ اهتمام بالقاطنين اليابانيين الذين كانوا في طريقهم من وإلى الحمامات المشتركة يلاحظونه ويحدقون إليه. مشى باتجاه الرصيف الذي أُسدل عليه ظلام المساء ثم نادى سائق البيدي كاب، ثم كان في طريق العودة إلى المنزل.
دائما ما تساءلتُ كيف سيكون لقاء زبائن موقرين اجتماعيا، ولم يكُ سيئا بعد كل هذا، فكّر، وقد تساعدني هذه الخبرة في تجارتي.
ومما يُطيب النفس أن تجتمع مع أناس قلّدوك وتحاول أن تكتشف ماهيتهم الحقيقية ثم يزول التقليد بعدها.
ووصل إلى حيّه وهو يفكر في هذه المواضيع، ثم عتبة سكنه في نهاية المطاف. دفع لسائق البيدي كاب الصيني أجرته وصعد السلالم المألوفة إليه.
كان ينتظره في غرفة معيشته رجلٌ لا يعرفه. رجل أبيض يرتدي معطفا جالسا فوق الأريكة يقرأ الصحيفة. اندهش روبرت تشيلدان حين وقف في المدخل، ترك الرجل الصحيفة ونهض على مهل، ومدَّ يده إلى جيب معطفه وأخرج محفظة وعرض هويته.

’كيمبيتاي‘*
إنه من البينوك. موظف سكرامنتو وشرطة حكومتها الخاضعة تحت إمرة السلطات اليابانية. مخيف!
’أنت روبرت تشيلدان؟‘.
’نعم سيدي‘. قال وقلبه ينبض بهلع.
’مؤخرا‘ قال الشرطي وهو يراجع رزمة أوراق أخذها من الحقيبة على الأريكة، ’زارك رجل أبيض، وصف نفسه بأنه مندوب ضابط في البحرية الإمبراطورية. أظهرت التحريات اللاحقة أنه لم يكن كذلك، ولا وجود لضابط مثل هذا، ولا مثل هذه السفينة‘.
ونظر إلى تشيلدان.
’هذا صحيح‘ قال تشيلدان.
’نملك تقريرا‘ واستمر الشرطي ’عن جلبة وقعت في منطقة الخليج، وهذا الرجل من الواضح إنه مشترك فيها، هلا وصفته لي؟‘.
’ضئيل الحجم، وأسمر البشرة نوعا ما‘ بدأ تشيلدان.
’يهودي؟‘.
’أجل‘ قال تشيلدان ’أنا واثق من هذا الآن على الرغم من أني غفلت عن هذا وقتها‘.
’خذه هذه الصورة‘ ناوله رجل الكيمبيتاي الصورة.
’إنه هو‘ قال تشيلدان، عرفه بلا أي معاناة تثير الشك. وكان فزعا بعض الشيء لقدرة سلطات الكيمبيتاي في التحري. ’كيف وجدتموه؟ لم أقم بالتبليغ عنه، وكل ما قمت به هو الاتصال بسمساري راي كالفن، وأخبرته-‘.
لم ينبس الشرطي ببنت شفة. ’عليَّ أن أسلمك ورقة لتوقع عليها وهذا كل شيء. لن تضطر للمثول في المحكمة وهذه مجرد شكليات قانونية تنتهي بتعاونك‘. وسلّم تشيلدان الورقة وقلما وقال ’تنص هذه الورقة على أنك قابلت هذا الرجل الذي حاول خداعك بانتحاله شخصية مزيفة وإلخ. اقرأ المكتوب‘. طوى الشرطي كم قميصه ليرى ساعته عندما كان تشيلدان يقرأ الورقة. ’هل هذا صحيح فعلا؟‘.
إنه كذلك، لم يكن تشيلدان الوقت ليمنح الورقة انتباها كاملا، وكان مرتبكا على

---

* الشرطة العسكرية في جيش الإمبراطورية اليابانية.

أي حال بسبب ما حدث ذلك اليوم، لكنَّه عرف أن ذاك الرجل خدعه بانتحال شخصية أخرى، وهو مشترك في هذه الجلبة التي حدثت، وكما قال رجل الكيمبيتاي فإن الرجل كان يهوديا. وألقى روبرت تشيلدان نظرة على اسم الرجل أسفل الصورة. فرانك فرينك. وُلِدَ باسم فرانك فينك، وقام بتغييره.

وقّع تشيلدان الورقة.

'شكرا' قال الشرطي، وجمع حاجياته، ثم ارتدى قبعته ورجا لتشيلدان ليلة سعيدة ليغادر بعدها. لم تستغرق الإجراءات سوى لحظات. أخمن أنهم سيصلون إليه، فكّر تشيلدان، بغض النظر عما كان يخطط له.

نعمة عظيمة، يعملون بسرعة وشكل سليم.

نعيش نحن في مجتمع القانون والنظام، حيث لا يستطيع اليهود التعويل على حدة ذهنهم في استغفال الأبرياء. نحن محميون.

لا أعرف لمَ لمْ أستطع أن أميز شخصيته عرقيا عندما رأيته، من الواضح إنه يسهل خداعي.

وأقرَّ، ببساطة لستُ قادرا على الاحتيال، الأمر الذي يصيِّرني عاجزا. ومن دون القانون كنت لأصبح تحت رحمتهم. لقد كان بإمكانه أن يقنعني بأي شيء، كما يحدث في التنويم المغناطيسي. بإمكانهم السيطرة على المجتمع بأكمله.

يجب عليَّ غدا أن أشتري كتاب الجندب، أخبر نفسه. سيكون من المثير معرفة كيف وصف المؤلف العالم المُدار من قبل اليهود والشيوعيين، حيث لا يوجد من النازيين سوى الأطلال، واليابان بلا شك محافظة روسية، ومع حقيقة التمدد الروسي من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادئ، أتساءل كيف وصف -أيا كان اسمه- الحرب ما بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية. كتاب مهم، فكّر، لم يسبق لأحد قبله قط التفكير بكتابته.

لا بد إن هذا الكتاب سيساعدنا على استرجاع وطننا. نحن محظوظون فعلى الرغم من المساوئ السابقة فقد كان من الممكن أن يكون الوضع أسوأ بكثير. درس أخلاقي عظيم يشير إليه هذا الكتاب. نعم، فاليابانيون يملكون السلطة هنا، ونحن أمة مهزومة، لكن علينا النظر إلى الأمام، علينا البناء، وأن نخرج من هذا بأشياء عظيمة، أشياء من قبيل استعمار الكواكب.

لا بد أن هناك الآن نشرة أخبار إذاعية، تفطّن لهذا، اتخذ مقعدًا ثم أدار مفتاح المذياع مشغلا إياه. ربما أخبار عن اختيار مستشار الرايخ. شعر بالحماس

والترقب، وقال لنفسه بالنسبة لي يبدو سايس-إنكوارت الشخص الأكثر فعالية، الشخص الأكثر كفاءة كما يبدو لتنفيذ المخططات الجريئة.

ليتني كنت هناك، فكّر، ربما في يوم ما سأكون قادرا على السفر إلى أوروبا وأرى كيف تمَّ كل شيء.

من المعيب أن أفوتها. وأُعْلَقَ هنا في الساحل الغربي، حيث لا يحدث شيء، والتاريخ يتجاوزنا.

8

في تمام الساعة الثامنة صباحا ترجل فرايهير هوغو ريس، قنصل الرايخ في سان فرانسيسكو، من سيارته المرسيدس-بينز E-220، وارتقى درج القنصلية بخفة. وقدِمَ خلفه موظفان شابان تابعان لمكتب الخارجية. فتح طاقم ريس الباب ثم دخل ورفع يده محييًا فتاتي مكتب الاتصالات، ونائب القنصل السيد فرانك، وحيّا بعدها في المكتب الداخلي مساعده السيد بفيرديهوف.
’فرايهير‘ قال بفيرديهوف ’وصلتنا الآن برقية لاسلكية مشفرة من برلين. المستهل واحد‘.
هذا يعني إنها رسالة عاجلة. ’شكرا لك‘ قال ريس، وخلع معطفه وأعطاه لبفيرديهوف ليعلقه.
’اتصل السيد كروز فوم ميري، ويريد منك أن تعيد الاتصال به‘
’شكرا‘ قال ريس. قعد حول منضدة صغيرة بالقرب من نافذة مكتبه، ورفع الغطاء عن فطوره، فرأى طبق خبزٍ، وبيضا، ونقانقَ. صبَّ لنفسه قهوة سوداء من الإبريق الفضي، وفتح بعدها الصحيفة الصباحية.
كان المتصل كروز فوم ميري رئيس جهاز الأمن النازي في منطقة ولايات المحيط الهادئ الأمريكية، حيث تقع مقراته، تحت اسم مُضَلِل، في المحطة الجوية. كانت العلاقات بين الرجلين نوعا ما متوترة، وتدخلت السلطات القضائية في عدد لا يحصى من المسائل، وفقا لسياسة مدروسة لأعلى الجهات في برلين. شغل كروز برتبة رائد في اللجنة الفخرية تابعة لقوات الحماية النازية، الأمر الذي جعل ريس إدرايا مرؤوسا لكروز فوم ميري. استهلت اللجنة أعمالها منذ سنوات، وفطن ريس حينها لهدفها لكنَّه لم يستطع أن يفعل شيئا حيال ذلك ومع ذلك فقد بقي مغتاظا.
ترسل صحيفة فرانكفورتر زيتونغ جوا عبر طيران لوفتهانزا، وتصل بحلول السادسة صباحا. قرأ ريس الصفحة الأولى باهتمام، فون شيراخ تحت الإقامة الجبرية، من المحتمل أنه ميت الآن. مؤسف جدا. يقيم غورينغ في قاعدة تدريب عسكرية تابعة لسلاح الجو الألماني، محاطا بمقاتلي الحرب المحنكين القدماء، ويوالون جميعا الرجل السمين. لا يمكن لأي كان أن يصل إليه، ولا حتى مرتزقة جهاز الأمن وماذا عن دكتور غوبلز؟

ربما في قلب برلين، معتمدا على ذكائه الخاص وقدراته في الخطابة التي يدير بها كل شيء كالعادة دائما. فلو أرسل هيدريش فرقة لتجلبه، فكّر ريس، لن يجادلهم الدكتور الصغير فحسب بل من المحتمل أن يقنعهم بأن ينقلبوا على هيدريش، ويجعلهم موظفين في وزارة الدعاية والتنوير العام.
بإمكانه أن يتخيل صورة الدكتور غوبلز في هذه اللحظة، داخل شقته مع ممثلة أفلام حسناء، ومستخفا بوحدات الجيش المنتشرة في الشوارع أسفل منه. لا شيء يخيف هذا الرجل، وقد يبتسم غوبلز ابتسامته الهازئة... ويستمر بمداعبة نهد سيدته الحبيبة بيده اليسرى، في حين يكتب مقالته عن هجوم اليوم من قبل-
طرق مساعده الباب قاطعا أفكاره ’آسف، كروز فوم ميري على الخط الآن‘.
نهض ريس واتجه نحو مكتبه وأخذ المُستَقبِل ’ريس يتحدث‘.
سمع اللهجة البافارية الثقيلة لرئيس جهاز الأمن النازي المحلي ’أي معلومات عن رجل آبفير* ذاك‘.
احتار ريس، وحاول أن يعرف إلى من يشير كروز فون ميري. ’إممم‘ تمتمَ ’حسبما أعرف، هناك ثلاثة أشخاص أو أربعة في ساحل المحيط الهادئ في الوقت الراهن‘.
’ذاك الذي سافر عبر لوفتهانزا الأسبوع الماضي‘.
’أوه‘ قال ريس، مثبتا المُستقبِل ما بين رقبته وكتفه ليخرج علبة السجائر. ’لم يأتِ إلى هنا أبدا‘.
’ما الذي يفعله؟‘.
’رباه، لا أعرف اسأل كاناريس**‘.
’أود منك أن تتصل بمكتب الاستشارية وتطلب منهم أن يتصلوا ببعثة السفارة ويطلبوا ممن يرأس قوات البحرية -أيا كان- أن يأمر الآبفير إما أن يخرجوا رجالهم من هنا وإما أن يُعلمونا لمَ هم موجودون عندنا‘.
’ألا يمكنك فعل هذا؟‘.
’كل شيء يثير اللبس‘.

---

* الاستخبارات العسكرية التابعة لقوات الجيش.
** فيلهيلم كاناريس: أميرال ألماني، ورئيس آبفير، وخدم في الاستخبارات العسكرية الألمانية.

لقد فقدوا رجل الآبفير بشكل كامل، قال ريس لنفسه. أخبر أحد أفراد طاقم هيدريش جهاز الأمن المحلي أن يراقبوه، وقد فقدوا أثره. ويريدون مني الآن أن أنقذهم.

’إذا أتى هنا‘ قال ريس ’سأكلف شخصا ليراقبه، يمكنك الاعتماد عليَّ في هذا‘.

بالطبع، كان هناك فرصة ضئيلة أو بالأحرى معدومة لأن يصل إلى هذا الرجل، وكان كلاهما يعي هذا.

’إنه يستخدم اسما مستعارا من دون شك‘ تهادى كروز فوم ميري في حديثه ’لكننا لا نعرفه بالطبع. إنه رجل ذو مظهر أرستقراطي، وفي الأربعين من عمره، ونقيب واسمه الحقيقي رودلف فيجينير، وينحدر من عائلة ملكية قديمة من شرق بروسيا. ومن المحتمل أنه من داعمي فون بابين* في النظام**‘.

استرخى ريس فوق مكتبه عندما بدأ كروز فوم ميري يتحدث برتابة ’الحل الوحيد الذي أراه بحق هؤلاء الملكيين العالات علينا هو قطع ميزانية القوات البحرية فلا يعود بإمكانهم بذل

الجهود...‘.

استطاع ريس أخيرا أن ينهي المكالمة. وعندما عاد إلى فطوره وجد أن الخبز قد بردَ، وما زالت القهوة تحتفظ بحرارتها فشربها واستأنف قراءة الصحيفة.

لا نهاية لهذا، فكّر ريس. يُبقي هؤلاء جهازَ الأمن في مناوبة العمل طوال الليل، لذا فتراهم يتصلون بك في الساعة الثالثة فجرا.

أدخل مساعده بفيرديهوف رأسه إلى المكتب، ورأى أنه قد أنهى مكالمته، وقال ’اتصلوا من ساكرامنتو وهم منفعلين جدا. ويدعون أن هناك يهودي يتجول في شوارع سان فرانسيسكو‘ وضحك كلاهما.

’حسنا‘ قال ريس ’أخبرهم أن يهدأوا وليرسلوا إلينا الأوراق النظامية. أي شيء آخر؟‘.

’لقد قرأتَ كل رسائل التعزية‘.

’هل هناك مزيد منها؟‘.

* فرانز بابين: سياسي ودبلوماسي ألماني محافظ (1879-1969) خدم مستشارا لألمانيا في عام 1932.

** استخدم الاشتراكيون الوطنيون مصطلح "النظام" ازدراءً لجمهورية فايمر التي نشأت بعد الحرب العالمية الأولى (1918-1933).

’قليل، سأبقيهم فوق مكتبي، إذا أردتها، لقد رددت عليها سلفا‘.
’يجب عليَّ أن أحضر ذلك الاجتماع اليوم‘ قال ريس ’في الواحدة ظهرا. رجال الأعمال أولئك‘.
’سأذكرك به‘. قال بفيرديهوف
استند ريس إلى الخلف وقال ’مهتم بالمراهنة؟‘.
’ليس فيما يخص تداولات الحزب. إن كنت تقصد هذا‘.
’ستطير رقاب الكثير‘.
قال بفيرديهوف متريثا ’لقد فعل هيدريش أقصى ما يمكنه. ولن يمضي هؤلاء مباشرة إلى رئاسة الحزب لأن الجميع يخافهم. وسيسخط كبار الشخصيات في الحزب بمجرد طرح الفكرة، وسيكون هناك تحالفا في خمس وعشرين دقيقة حالما تنطلق أولى سيارات قوات الحماية من شارع برينزالبرتشتس، وسيضعون أيديهم على تلك الشركات الاقتصادية الكبرى مثل كروب وثيسين-‘ قطع كلامه فور وصول أحد خبراء الشفرات وبيده ظرف.
مد ريس بيديه، وجلب مساعده الظرف إليه. إنها البرقية اللاسلكية المشفرة العاجلة، وقد فُكَّت شفرتها وطُبعت. عندما أنهى ريس قراءتها رأى بفيرديهوف يقف منتظرا ليسمع. مزق ريس الرسالة ووضعها في مرمدة خزفية كبيرة فوق طاولة المكتب وأشعلها بقداحته. ’هناك جنرال ياباني من المفترض أنه قد سافر إلى هنا متخفيا. تيديكي. من الأفضل أن تنزل إلى المكتبة العامة وتجلب واحدة من المجلات العسكرية اليابانية الرسمية التي من المحتمل أن تحمل صورته. افعل ذلك بسرية تامة. لا أعتقد أننا نمتلك أي معلومات عنه هنا‘ وحدق إلى خزانة الملفات، ثم غيّر رأيه ’اجلب أي معلومات يمكنك الحصول عليها. الاحصاءات. من المفترض أنها متوفرة في المكتبة‘. وأضاف ’كان هذا الجنرال تيديكي قائد طاقم منذ سنوات قليلة خلت. هل تتذكر أي شيء عنه‘.
’القليل فقط‘ قال بفيرديهوف ’إنه رجل خَطِر جدا. يجب أن يكون في الثمانين من عمره الآن. أظن أنه دعا إلى تبني بعض البرامج الإلكترونية من أجل وصول اليابان إلى الفضاء‘.
’وقد فشلَ في هذا‘ قال ريس.

’لن أتفاجأ لو أنه آتٍ إلى هنا لأغراض طبية‘. قال بفيرديهوف. ’لقد أتى العديد من رجال العسكرية اليابانين القدماء إلى مستشفى جامعة سنسيناتي الضخم. وبهذه الطريقة يمكنهم الاستفادة من التقنية الجراحية الألمانية التي لا توجد في بلادهم. ويبقون الأمر طي الكتمان بالطبع، لأسباب وطنية، تعرف هذا. لذا فيجب أن يكون لدينا شخص في مستشفى جامعة سنسيناتي ليراقب، إذا أرادت برلين إبقاء عينها عليه‘.

أومأ ريس. ربما قد يكون الجنرال المسن مشتركا في مضاربات تجارية، تجري العديد من الصفقات الجيدة في سان فرانسيسكو. العلاقات التي كونها عندما كان في الخدمة ستعينه الآن بعد التقاعد. أو هل كان متقاعدا؟ وصفته الرسالة بالجنرال لا الجنرال المتقاعد.

’حالما تحصل على صورة له‘ قال ريس ’مرر نسخا منها إلى رجالنا في المطار وجنوبا في الميناء. ربما قد دخل سابقا. تعلم كم يستغرق الأمر من وقت حتى يصل إلينا هذا النوع من الأخبار‘. وبالطبع إذا كان الجنرال قد وصل إلى سان فرانسيسكو، ستغضب برلين من قنصلية ولايات المحيط الهادئ الأمريكية. يجب على القنصلية أن تعترض طريقه حتى قبل أن يصل الأمر من برلين.

قال بفيرديهوف ’سأطبع تاريخ اليوم على البرقية اللا سلكية المشفرة من برلين، ففي حالة قدوم أي سؤال لاحقا، سيكون بإمكاننا إعلامهم متى وصلتنا وفي أي ساعة‘.

’شكرا لك‘ قال ريس. كان أهل برلين في الماضي خبراء سباقين في إحالة المسؤولية لغيرهم، وسئم ريس لكونه عالقا في هذا. لقد حدث هذا الأمر له عدة مرات ’ولأجل أن يكون موقفنا سليما‘ قال ريس ’أعتقد أنه من الأفضل أن ترد على تلك الرسالة. قل لهم: "تعليماتكم متأخرة إلى أبعد الحدود، فقد أُبلغَ سلفا عن وجود هذا الشخص في المنطقة. وتضاءلت احتمالية اعتراضه في هذه المرحلة" وضع شيئا ما بين هذه السطور ونمِّقها وارسلها. ابقها جيدة ومبهمة. تفهمني‘.

أوما بفيرديهوف ’سأرسلها في الحال. واحتفظ بالتاريخ المضبوط واللحظة التي أُرسلت فيها‘. خرج وأغلق الباب من ورائه. عليك أن تنتبه، قال ريس لنفسه، وإلا ستجد نفسك قنصلا لزمرة زنوج في جزيرة معزولة بعيدا عن ساحل جنوب إفريقيا. وتعرف ما الذي سيحدث بعدها، أم سوداء عشيقة، وعشرة أو أحد عشر طفلا زنجيا ينادونك بابا.

قعد حول منضدة الإفطار وأشعل سيجارة مصرية نوع سيمون أرتز-70، وأعاد بعناية غلق العلبة المعدنية. لم يبدُ أن أحد سيقاطعه بعد الآن، لذا فقد أخرج الكتاب من حقيبته الذي كان يقرأه، فتحه على آخر صفحة وصلها، واستأنف قراءته مسترخيا من حيث أُجبر أن يتوقف.

... هل تمشّى حقا في شوارع هادئة من السيارات ، في صبيحة أحد ساكنة داخل متنزه تيرغارتن ، بعيدا جدا؟ حياة أخرى ، حيث المرطبات بمذاق لم يعد له وجود قط . يغلون الآن أعشاب القُرَّاص* وكانوا سعداء بالحصول عليه . رباه ، صرخ ، ألن يتوقفوا؟ أتت الدبابات البريطانية العملاقة ، بناية أخرى ، ربما كانت بناية سكنية ، أو متجر ، أو مدرسة ، أو مكتب ؛ لا يمكنه التحديد- انهارت الأطلال وأضحت ركاما . وتحت هذه الأنقاض دُفنت حفنة من الناجين ، بدون حتى صوت الموت . انتشر الموت في كل مكان بتساوٍ فوق المعيشة والأذية ، وبدأت تنبعث رائحةٌ الجثث المكدسة بعضها فوق بعض . الرائحة النتنة ، جثة برلين المرتعشة ، وأبراج المدفعية الخالية من الأعين ما زالت شامخة ، وستختفي بدون أي مقاومة مثل هذا ، هذا الصرح المجهول الذي بناه الإنسان يوما بفخر .

ذراعاه ، لاحظ الصبي ، كانتا مغطيتين بغشاوة رمادية ، من الرماد ، ومواد غير عضوية ، ونخالة محترقة ، آخر ما تنتجه الحياة . كل شيء مختلط الآن ، عرفه الصبي ، ومسحه من ذراعيه . لم يستغرق في التفكير كثيرا والتقط عقله فكرة أخرى ، إذا كان هناك ما يستحق التفكير فسيكون الصرخات وأزيز القذائف وسقوطها . الجوع . لستة أيام لم يأكل شيئا سوى القُرَّاص ، وقد نفد الآن . تحول مرعى الأعشاب إلى حفرة كبيرة في الأرض . ظهرت أجساد هزيلة وضئيلة في نهاية الشارع ، تراجع بصمت إلى الخلف كما فعل الولد ، وانحرفا مبتعدين . جدة مُسنة تغطي شعر رأسها الرمادي بوشاح ، وتحمل سلة -فارغة- على ذراعها ، ورجل مسلح عيناه فارغتان مثل السلة ، وفتاة ، تلاشوا باتجاه أكوام أشجار مقطعة حيث اختبأ الصبي إريك .

ما زالت الأفعى تتحرك .

---

* نبات صغير الحجم أخضر اللون من جنس كاسيات البذور، وله استخدامات مختلفة.

هل سينتهي هذا؟ سأل الصبي ، موجها حديثه إلى لا أحد . وإن انتهت ، ماذا بعدها؟ هل سيشبعون بطونهم؟ أولئك-

’فرايهير‘ أتى صوت بفيرديهوف ’أعتذر لمقاطعتك، كلمة واحدة فقط‘.
قفز ريس وأغلق الكتاب ’بالطبع‘.
ما أبدع قدرة هذا الرجل في الكتابة، فكّر ريس، حملني بعيدا بشكل كامل. حقيقي. سقوط برلين بيد البريطانيين، بدا واقعيا كما لو أنه حدث بالفعل. بررر، ارتجف. مدهشة هي. قوة الخيال إذ تجعل حتى رواية. شعبية رخيصة تنبض بالحياة. لا عجب في إنها حُظرت في أرض الرايخ، كنت سأحظرها بنفسي. آسف لكني بدأت بها وقد فات الآوان وعليَّ أن أكملها الآن.
قال مساعده ’بحارة من سفينة ألمانية هنا، ويطلبون إبلاغك شخصيا‘.
’نعم‘ قال ريس، ونهض متجها نحو الباب وخرج إلى مكتب الاستقبال. كان هناك ثلاث بحارة يرتدون سترات رمادية ثقيلة، بشعر أشقر كثيف، ووجوه صارمة، ومضطربة قليلا. رفع ريس يمينه وقال ’يحيا هتلر‘ ومنحهم بادرة ودٍ بابتسامة.
’يحيا هتلر‘ قالوا بصوت خفيض، وبدأوا إبراز أوراقهم إليه.
بمجرد أن وثّق زيارتهم إلى القنصلية؛ حثَّ خطاه عائدا إلى مكتبه الخاص.
بمفرده في مكتبه، أعاد فتح الجندب يستلقي ثقيلا . مقطع يُحضر فيه هتلر. ألفى نفسه غير قادر على التوقف، وبدأ يقرأ المقطع خارج التسلسل، ومؤخرة عنقه تؤلمه بشدة.
محاكمة هتلر، أدرك. وقع هتلر بيد الحلفاء بعد الحرب بمدة قصيرة، يا إلهي، كذلك غوبلز وغورنغ، والبقية، في ميونخ، وكان من الواضح أن هتلر يجيب النائب العام الأمريكي

... سوداء ، وملتهبة ، للحظة بدت روح المسن أنها تتقد مجددا . تحرك الجسد المرتجف والمرتعش بتوتر ؛ وارتفع الرأس ، وصدر من شفتيه اللتين يسيل منهما لعاب بلا توقف : نعيب في نصف سعلة ونصف همسة "أنا ، الألماني ، أقف هنا"

انتابت قشعــــــــــــــريرة هؤلاء الذين يشاهدونه ويستمعون إليه ، وضغطوا على سماعة الأذن

بشدة . كانت الوجوه الروسية والأمريكية والبريطانية والألمانية المتوترة سواء . نعم ، فكّر كارل ، يقف هنا مجددا... لقد هزمونا- مرة أخرى . لقد قاموا بتجريد هذا السوبرمان ، وعرّفوه بما هو عليه ، مجرد-

’فرايهير‘
وعى ريس أن مساعده دخل إلى المكتب. ’أنا مشغول‘. قال بغضب. وأغلق الكتاب صافقا دفتيه. ’أحاول أن أقرأ هذا الكتاب، بحق الله!‘. كان هذا بلا فائدة، عرف هذا.
’برقية لاسلكية مشفرة أخرى قادمة من برلين‘ قال بفيرديهوف ’لمحت بعضا مما بدا فيها عندما بدأوا فك شفرتها. يتعلق الأمر بالوضع السياسي‘.
’على ماذا نصّت؟‘ قال ريس داعكا جبهته بإبهامه وأصابعه.
’ذهب دكتور غوبلز إلى محطة الإذاعة بشكل غير متوقع. خطبة كبرى‘. كان مساعده متحمسا كليا. ’من المفترض أن نأخذ النص -يفكون شفرته الآن- لطباعته في الصحافة، هنا‘.
’نعم، نعم‘ قال ريس.
أعاد ريس فتح الكتاب مرة أخرى في اللحظة التي غادر فيها مساعده. نظرة خاطفة أخرى، على الرغم من اتخاذي قرار... ووضع إبهامه على المقطع السابق.

... تأمل كارل بصمت التابوت الملفوف بالعلم . استلقى هنا والآن ، رحلَ بما للكلمة من معنى ، رحلَ حقا ، ولا توجد أي قوى شيطانية يمكنها أن تعيده . الرجل أو لعله كان Ubermensch؟ الذي اتبّعه كارل على عمى عينيه ، وعَبَدَه... حتى حافة القبر . رحل أدولف هتلر بعيدا ، لكن كارل يتشبث بالحياة . لن أتبعه ، همس عقل كارل . سأستمر ، سأحيا ، وأعيد البناء . ويجب علينا جميعا أن نعيد البناء . يجب .
إلى أي مدى ، إلى أي مدًى مرعب ، حمله سحرُ القائد . ثم ماذا الآن ، بعد أن وضعت آخر نقطة في السجل الذي لا يصدق ، الرحلة التي بدأت من بلدة ريفية معزولة في

النمسا ، ثم التنقل بين حياة الفقر في فيينا ، ومن كوابيس رعب الخنادق إلى التآمر السياسي ، إلى إنشاء الحزب ، إلى المستشارية ، ثم إلى تلك اللحظة التي بدت قريبة من السيطرة على العالم؟

عرف كارل . كان مخادعا . كذب هتلر عليهم . قادهم بكلمات فارغة .

لم يفت الآوان ، نحن نرى خداعك يا أدولف هتلر ، ونعرف ما الذي أنت عليه في النهاية . ونعرف الحزب ، وحقبة الجريمة وأوهام جنون العظمة ، لما هو عليه ، وما كان عليه . استدار كارل ، ومشى مبتعدا عن التابوت .

أغلق ريس الكتاب، وقعد برهة. وكان متضايقا على الرغم من نفسه. يجب أن يوضع ضغط أكبر على كاهل اليابانيين، قال لنفسه، ليقمعوا هذا الكتاب اللعين. في الحقيقة، يبدو الأمر متعمدا بشكل واضح من جانبهم. بإمكانهم أن يلقوا القبض على هذا أيا كان اسمه. أبندسن. يملكون قوة كبيرة في الغرب الأوسط الأمريكي. ما أثار حنقه هذا. موت أدولف هتلر، هزيمة ودمار هتلر، والحزب، وألمانيا نفسها كما وصفها كتاب أبندسن... كل شيء كان بطريقة ما أعظم، أكثر في العالم المتخيل منه في العالم الحقيقي، العالم الخاضع للهيمنة الألمانية.

كيف كان من الممكن ذلك؟ سأل ريس نفسه، هل هي قدرة هذا الرجل الخارقة في الكتابة؟

يعرفون ملايين الحيل، هؤلاء الروائيون. خذ دكتور غوبلز مثالا، هكذا بدأ في كتابة الرواية، فهو يغري الشهوات الأساسية الكامنة في كل إنسان مهما حاول أن يُظهر نفسه محترما. نعم، الروائيون يعرفون الناس، وتفاهتهم، تحكمهم خصياتهم، ومُهيمَن عليهم بالخوف، ويبيعون كل قضية بسبب طمعهم- كل ما عليه فعله أن يقرع الطبل، وستكون ثمة إجابة. وسيضحك -بالطبع- ويديه خلف ظهره حين ينال مراده.

انظر كيف تلاعب بعواطفي، فكّر السيد ريس، لا بعقلي، ومن الطبيعي سيتقاضى أجرا لأجل هذا- يدفع له المال هناك. من الواضح أن شخصا وضع له المسار، وأرشده ماذا يكتب. سيقومون بكتابة أي شيء إذا عرفوا أنهم سيتقاضون أجرا. وسيروون عن أي نوع من الأكاذيب، ثم تتلقف العامة بجدية هذا الخمر النتن

الرائحة عندما يُوزيع. أين طبع هذا؟ تفحص السيد ريس نسخة الكتاب. أوهاما، نبراسكا. آخر دار للنشر تابعة لبلوتوقراطية أمريكا، كانت تقع في وسط مدينة نيويورك ومدعومة من قبل اليهود والشيوعيين الأغنياء.
لا بد إنَّ أبندسن هذا يهودي.
ما زالوا مستمرين في محاولة تسميمنا. هذا الكتاب اليهودي وضرب دفتي كتاب الجندب بكلتا يديه بعنف مغلقا إياه. من المحتمل أن اسمه الحقيقي هو أبندستاين، وبالتأكيد أن جهاز الأمن قد دقق فيه الآن.
علينا أن نرسل شخصا ما إلى ولايات الروكي مونتين ليزور السيد أبندستاين. أتساءل لو أن كروز فوم ميري لديه التعليمات لتنفيذ هذا. محتمل لم يحصل عليها، مع كل هذه الفوضى في برلين. كل شخص مشغول بالقضايا المحلية.
لكنَّ هذا الكتاب خَطِر، فكر ريس.
لو تَوجَّب أن يُوجد أبندستاين في صبيحة يوم لطيف مُدلّى من السقف، ستكون إشارة حكيمة لكل شخص من الممكن أن يتأثر بهذا الكتاب. يجب أن تكون لنا الكلمة الأخيرة. أن نكتب في الحاشية.
المهمة تتطلب رجل أبيض، بالطبع، أتساءل ما الذي يفعله سكورزيني هذه الأيام.
تأمل ريس، وأعاد قراءة غلاف الكتاب. يبقي اليهودي نفسه محصنا، عاليا في هذا المعقل العالي. لا أحدًا غبيٌ. أيا كان من يصل إليه ثم يرديه، لن يخرج بعدها.
ربما هذا الفعل حماقة فقد طبع الكتاب بعد كل هذا، تأخر الوقت الآن. وتلك الأراضي تحت سيطرة اليابانيين... أولئك الرجال الصفر قد يثيرون جلبة كبيرة.
ومع هذا لو نُفذت ببراعة... فمن الممكن أن يتعامل مع الأمر...
دوّن فرايهير هوغو ريس ملاحظة في دفتره. أوصل الموضوع إلى الجنرال أوتو سكورزيني في قوات الحماية، أو من الأفضل إلى أوتو أوهليندورف في المكتب الثالث التابع لدائرة أمن الرايخ الرئيسة. ألا يترأس أوهليندورف فرقة الاغتيالات D؟
وبعدها فورا وبدون أي سابق إنذار شعر بموجة غضب عارمة. أعتقد أن هذا الأمر قد انتهى، قال لنفسه، هل سيستمر إلى الأبد. انتهت الحرب منذ سنين خلت. واعتقدنا أنها انتهت وقتها. لكنَّ الفشل الإفريقي، وتنفيذ المجنون سايس-إنكوارت لمخططات روزنبيرغ.

ذاك السيد هوب محق، فكّر، بطُرفته عن اتصالاتنا على المريخ. وإن المريخ مأهولٌ باليهود. سنراهم هناك أيضا، حتى بامتلاكهم رأسين واقفين بطول قدم واحدة.
عليَّ القيام بأعمالي المعتادة، قرر. لا أملك وقتا لأي مغامرات طائشة بإرسال مغتالي الوحدة D خلف أبندسن. يداي منشغلتان بتحية البحارة الألمان، والإجابة على البرقيات اللا سلكية المشفرة، لنترك المهمة لمن هم أعلى منصبا- إنه جزء من وظيفتهم.
على أي حال، قال لنفسه، لو أني حرضت على هذا الفعل ثم انقلبت الأمور ضدي، بإمكان المرء أن يتخيل أين سأكون داخل الحبس الوقائي لدى الحكومة الشرقية العامة، إن لم أوضع في غرفة وأُبخُّ بغاز سيانيد الهيدروجين - زيكلون بي.
شطب الملاحظة، ومزق برفق الورقة من دفتره، ثم حرقها بنفسه في المرمدة المزخرفة.
ثمَّ طرقٌ، وفتح باب مكتبه. دخل مساعده وبيده مجموعة من الأوراق. 'خطبة دكتور غوبلز كاملة' قال بفيرديهوف ووضع الأوراق على المكتب. 'يجب أن تقرأها. ممتازة جدا. واحدة من أفضل خطبه'.
أشعل سيجارة سيمون أرتز-70 أخرى، وبدأ ريس بقراءة خطبة دكتور غوبلز.

9

أنتجت شراكة إدفرانك للمجوهرات أول دفعة صناعتها بعد أسبوعين من العمل المستمر. رتبت القطع في لوحين خشبيين مغطيين بالمخمل الأسود ليوضعا داخل سلة خيزران مربعة يابانية الصنع. صنع إد مكّارثي وفرانك بطاقات عمل، نحتا باستخدام ممحاة صمغية اسم متجرهما باللون الأحمر، وأكملا البطاقات بطبع رسوم ألعاب أطفال دائرية، كما استخدما بطاقات أعياد ميلاد مصنوعة من ورق ملون ثخين وجودة عالية فكانت النتيجة أخاذة. لقد كانا محترفين في كل جانب من عملهما، سواءً في الاختيار الدقيق للمجوهرات، والبطاقات، والعَرْض، ولم يكن هناك ما يشير إلى إن العمل لهواة. ولماذا يجب أن يكون؟ فكّر فرانك فرينك. كلانا محترف ليس في صناعة المجوهرات بل وفي العمل عموما.

كانت ألواح العرض ذات تنوع جميل. فأساور المعصم مصنوعة من النحاس الأصفر، والنحاس، والبرونز، وحتى من الحديد الأسود المصهور، وأما القلائد فمصنوعة من النحاس الأصفر ذات زخرفة بسيطة من الفضة، وأما أقراط الأذن فمن الفضة. وصنعا الدبابيس من النحاس الأصفر والفضة. كلّفتهما الفضة وكذلك لحام النحاس ذاك المبلغ. واشتريا القليل من الأحجار شبه الكريمة لوضعها في رأس الدبابيس مثل: اللؤلؤ الباروكي، وحجر الإسبنيل، واليشم، وحجر الأوبال الناري الفضي، وإن سارت الأمور على ما يرام فقد يحاولان شراء الذهب وألماس قيراط 0.05 أو 0.06.

من المتوقع أن يجلب لهم الذهب ربحا حقيقيا. وقد بدأ بالفعل في البحث عن مصادر لفضلة الذهب والقطع القديمة المصهورة التي لا قيمة فنية لها- وكلاهما سيكونان أرخص من الذهب الجديد. وعلى الرغم من هذا فإن نفقات هائلة ستكون في الحسبان. لكن سيجنيان من دبوس ذهب واحد أكثر مما سيجنيانه من أربعين دبوسا من النحاس الأصفر. وكذلك بإمكانهما أن يطلبا أي سعر من متاجر البيع بالمفرد لدبوس ذهب مصمم ومصنوع بإتقان... على افتراض أن منتجاتهم حظيت بالشهرة، كما أشار فرانك.

حتى هذه المرحلة لم يجربا البيع بعد، فقد تجاوزا في البداية ما بدا لهما أنها العقبات التقنية الأساسية. لديهما مصطبة مع المحركات، وآلة ثني الأسلاك الغليظة، وعجلات الشحذ والتنعيم. امتلاكا في الواقع مجموعة كاملة من أدوات

اللمسات النهائية للعمل، بدءًا من فرشات الأسلاك الخشنة سواء فرشات النحاس الأصفر أو عجلات كراتيكس، إلى قطع الصقل والتلميع المصنوعة من الكتان والقطن والجلد المدبوغ وجلد الشمواة، التي يمكن صقلها بمركبات من أوراق الصنفرة وحجر الخفّان إلى قضبان التنعيم الحمراء. وامتلكا بالطبع عدة الأسيتيلين للحام، وخزّاناتها، وعداداتها، وخراطيمها، وأغطية رؤوس الأنابيب والأقنعة.

وأجود أدوات صناعة المجوهرات. زراديات من ألمانيا وفرنسا، ومايكرومتر، ومثاقب ألماس، ومناشير، وكماشات، وملاقط، ومسند معدني ثابت لفحص ولحام القطع، وكماشة معدنية، وقماش تلميع، ومقصات، ومطارق يد صغيرة... وصفوف من العُدد الدقيقة. وكذلك قضبان لحام بأقطار متنوعة، وصفائح معدنية، وماسك دبوس، ومشابك قُرط، وروابط معدنية. لقد صرفا أكثر من نصف الألفي دولار وبقي لهما الآن في حساب إدفرانك المصرفي مئتان وخمسون دولار فقط. أنهيا الإجراءات القانونية، وامتلكا تصاريح عمل الخاصة بولايات المحيط الهادئ الأمريكية، ولم يتبقَ لهما شيء سوى البيع.

لا بائع بالمفرد، فكّر فرانك وهو يتفحص المعروضات، يمكنه أن يولي هذه المعروضات فحصا أكثر دقة منا. بالطبع بدت بمظهر جيد، هذه القطع الصغيرة المختارة، وأُستغني عن أي قطع لم تُلحم بعناية، أو تُلمّع وتحدد أطرافها، أو ذات بقع ملونة بسبب النار... اتسمت مراقبة الجودة لديهم بالامتياز، فأدنى بَهتٍ أو خدش فرشاة الأسلاك كفيل بإعادة القطعة إلى العمل. لا يمكننا تحمل نتيجة عرض قطعة ناقصة أو غير منتهية العمل. بقعة سوداء غير ملاحظة فوق قلادة فضة كفيلة بإنهاء تجارتنا.

تصدر متجر روبرت تشيلدان القائمة، لكنَّ بإمكان إد وحده الذهاب هناك لأن تشيلدان سيتذكر بالتأكيد فرانك فرينك.

’ستقوم بالجزء الأكبر في عملية البيع‘. قال إد، لكنه كان قد قرر الذهاب إلى تشيلدان بنفسه. اشترى سترة جميلة، وربطة عنق جديدة، وقميصا أبيض، ليُظهرَ الانطباع الملائم، وعلى الرغم من ذلك فقد بدا أنه لا يشعر بالارتياح. ’أعلم أننا نبلي بلاء حسنا‘ قالها للمرة المليون ’لكن- اللعنة‘. كان عمل الكثير من القطع عويصا، من لفات الأسلاك، والحلقات، والتصاميم، التي اضطروا لإيجاد بعضها صهر خاص لمعادن بأنفسهم. منها ما كان بدقة شبكة العنكبوت ورقّتها، واحتاج

بعضها إلى جهد قوي وهائل وحتى خارق. وحصلا على مجموعة مدهشة من الأشكال، وآخذين بعين الاعتبار وضع قطع معدودة في الألواح المخملية، أدرك فرانك، متجر واحد من الممكن أن يشتري كل ما معروض فيها. سنذهب إلى كل متجر مرة واحدة- إذا فشلنا، لكن إذا نجحنا وجعلناهم يأخذون منتوجنا، سنعود لتلبية طلبات جديدة إلى نهاية حياتنا.
حمّل الاثنان معا الألواح المخملية بداخل سلة الخيزران. بإمكاننا أن نعود بالمعدن، قال فرانك لنفسه، إذا وقع الأسوأ، والأدوات والمعدّات يمكننا التصرف بها في حالة الخسارة، في الأقل سنحصل على شيء ما.
إنها اللحظة المناسبة لمشاورة المستخار. اسأله، هل سينجح إد في جولة البيع الأولى هذه؟ لكنه كان مضطربا جدا. وقد يحصل على فأل سيئ، ولم يشعر بأنه قادر على مواجهته. على أي حال، لقد حسم الأمر: صُنعت القطع، ونُظِّمَ المحل- بغض النظر عن أي شيء يكشفه كتاب التغييرات في هذا المرحلة.
لا يمكنه بيع المجوهرات لنا... ولا يمكنه منحنا التوفيق.
’سأمر على تشيلدان في المقام الأول‘ قال إد ’ربما بإمكاننا البيع له، وبعدها سنحاول للمرة الثانية. ستأتي معي، أليس كذلك؟ بالشاحنة، سأركنها في الزاوية‘.
فكّر فرانك وهما في طريقهما إلى شاحنة الحمل الصغيرة مع سلة الخيزران الكبيرة، الله وحده يعلم ما أبرع إد في البيع أو أبرعني. يمكن أن يبيع لتشيلدان لكن الأمر سيحتاج إلى استعراض تقديمي كما يقولون.
لو كانت جوليانا هنا، فكّر، بإمكانها أن تدخل إلى هناك وتفعلها في طرفة عين فهي جميلة، ويمكنها الحديث مع أي امرئ فوق الأرض وهي امرأة، وبعد كل شيء، هذه المجوهرات تخص النساء. يمكن أن ترتديها في المتجر. أغلق عينيه، وحاول تخيّل كيف ستبدو بواحدٍ من أساور اليد تلك، أو بقلادة العنق الفضية الكبيرة مع انسياب شعرها فوق بشرتها الشاحبة، وعينيها الكئيبتين والثاقبتين... ترتدي سترة صوفية رمادية، ضيقة بعض الشيء، وتسترخي قلادة الفضة على لحمها العاري، ليرتفع المعدن ويهبط مع حركة أنفاسها.
رباه، ما زالت ماثلة في عقله حتى الآن. تلتقط أصابعها الرفيعة والقوية كل قطعة صنعاها لتتفحصها، تلقي برأسها إلى الخلف وترفع القطعة عاليا، طريقتها في التصنيف، لقد كانت شاهدة دائما على ما قام به.

قرط الأذن المتدلي اللامع أفضل ما يناسبها، جزم فرانك، ولا سيما المصنوع من النحاس الأصفر، مع شعرها المعقود إلى الخلف والمثبت بمشبك أو تقصه قصيرا حتى يمكن رؤية عنقها وأذنيها. ويمكننا وقتها أخذ الصور لها لأجل الدعاية والعرض. لقد ناقشَ وإد إعداد قائمة مصوّرة حتى يكون باستطاعتهما البيع عبر البريد للمتاجر التي تقع في أجزاء أخرى من العالم. ستبدو مذهلة... بشرتها الجميلة، والنضرة جدا، لا ترهل ولا تجاعيد، ولون صاف.

هل سترغب بفعلها، لو أستطيع معرفة عنوانها؟ لا يهم ماذا تظنني، ليس للأمر علاقة بحياتنا الشخصية، ستكون المسألة تجارية بحتة.

اللعنة، لن ألتقط الصور، سنجلب مصورا محترفا ليلتقطها، سيسعدها هذا. من المحتمل أن غرورها عظيم كما العادة دائما. تحب أن يتطلع الناس إليها دائما، يُعجبوا بها؛ أيا كانوا. أخمن أن أغلب النساء مثلها، يرغبن بنيل الانتباه في كل وقت. إنهن طفوليات جدا في هذا الجانب.

فكّر، لا يمكن لجوليانا أن تتحمل البقاء وحيدة أبدا، كانت تبقيني حولها كل الوقت لأمدحها. الأطفال الصغار هكذا وإذا شعروا أن والديهم لا يشاهدون الذين يفعلونه فسيبدو لهم أن ما يفعلونه ليس حقيقيا. بلا شك لديها الآن شابٌ يغازلها، يخبرها ما أجملها. ساقاها. ونعومتها، ورشاقة بطنها...

'ما الأمر؟' قال إد ناظرا إليه 'هل فقدت رباطة جأشك؟'

'لا' قال فرينك.

'لن أذهب إلى هناك لأقف فقط' قال إد 'لدي بعض الأفكار الخاصة. وسأخبرك بشيء آخر لستُ خائفا. لست مرعوبا لأنه متجر سلع فاخرة وعليَّ أن أرتدي هذه السترة الفاخرة. أعترف لا يعجبني أن أتأنق، وأقرُّ بأني لست مرتاحا، لكنَّ هذا لا يعني شيئا ألبتة. سأذهب إلى هناك وسأعطي القطع إلى ذلك المزعج حقا'.

أحسنت، فكّر فرانك.

'يا للجحيم، لو كان بإمكانك الذهاب إلى هناك كما فعلت' قال إد 'وتقول له بأنك رجل ذاك الأدميرال الياباني المحترم، يجب أن أكون قادرا على إخباره الحقيقة، إنها مجوهرات صناعة يدوية أصيلة وإبداعية، وإنها-'.

'معمولة باليد'. قال فرانك.

'نعم، معمولة باليد. أقصد، أني سأذهب إليه ولن أعود من دون أن أمنحه سببا لإنفاق ماله. يجب أن يشتري هذا، وإن لم يفعلها فهو مجنون فعلا. ألقيت نظرة

في الجوار، لا توجد أي قطع كالتي ننتجها في أي مكان. رباه، حين أفكر أنه قد ينظر إليها ولا يشتريها- يجعلني الأمر عُرضة للجنون وسأفقد صوابي حينها'.
'تذكر أن تؤكد له بإنها ليست مطلية' قال فرانك 'النحاس يعني من النحاس الصلب، والنحاس الأصفر الصلب'.
'دعني أفعلها بطريقتي الخاصة' قال إد 'لدي بعض الأفكار الجيدة حقا'.
فكر فرانك، ما يمكنني القيام به هو ذا، بإمكاني إرسال زوجين من القطع -لن يمانع إد أبدا- وأضعهما في علبة وأرسلها إلى جوليانا، لترى ما الذي أعمله الآن. سيقتفي قسم البريد أثرها، سأرسله إلى آخر عنوان مسجل لها أعرفه. ما الذي ستقوله حين تفتح العلبة؟ يجب أن يكون هناك ملاحظة موضحة أني أنا من صنعها بنفسي، بأني شريك في تجارة صناعة مجوهرات إبداعية. سأطلق العنان لخيالها، وأجعلها تتحرق شوقا لمعرفة المزيد، سيحظى الأمر على اهتمامها. سأتحدث عن الأحجار الكريمة والمعادن، والمحلات التي نبيع إليها، والمتاجر الفخمة...
'ألا يقع هنا؟' قال إد، مبطئا من سرعة الشاحنة. لقد كانا في ازدحام كبير وسط المدينة والمباني تحجب رؤية السماء 'أفضِّلُ أن أركن الشاحنة'.
'لخمس مبانٍ أخرى'. أجاب فرانك.
'هل لديك واحدة من سجائر الماريجوانا؟' سأل إد. 'واحدة ستهدئني في الحال'.
أعطاه فرانك علبة Tien-lais، ألـ "الموسيقى السماوية" علامة تجارية تعلم تدخينها في شركة و-م.
أعرف أنها تعيش مع شاب، قال فرينك لنفسه. تنام معه كما لو أنها زوجته. أعرف جوليانا، لا يمكنها أن تحيا بطريقة أخرى. أعرف كيف تتجول في الجوار عند حلول الظلام، عندما يصبح الجو باردا ويحل الظلام وكل شخص في منزله جالس في غرفة المعيشة. لم تُخلق لحياة العزلة قط، ولا أنا، أدرك هذا.
ربما يكون الشاب وسيما حقا، تحظى بطالب خجول. ستكون امرأة مثالية لشاب لم يمتلك الشجاعة للاقتراب من امرأة سابقا فهي ليست صعبة أو مستهترة. سيكون من حسن حظه. آمل كثيرا ألا تكون مع رجل أكبر منها. هذا ما لا يمكنني تحمله. رجل حقير ذو خبرة مع عود أسنان بطرف فمه يتسلط عليها. بدأ يشعر بثقل تنفسه، صورة رجل مشعر قبيح يعكّر على جوليانا صفوها، ويجعل حياتها بائسة... أعرف أنها في الأخير ستنتهي هذا بقتل نفسها.

إنه أمر مكتوب عليها، إذا لم تجد الرجل المناسب، محترم جدا، وحساس، وطالب ودود قادر على تثمين كل أفكارها.
لقد كنت فظا جدا معها، فكّر، لكني لم أكُ سيئا جدا فهناك رجال كثيرون أسوأ مني بكثير. كان بمقدوري أن أكتشف بإسلوب لطيف جدا ما الذي كانت تفكر به، وما الذي تريده، ومتى تشعر بأنها وحيدة أو مكتئبة أو أنها ليس بخير. قضيت الكثير من وقتي بالاكتراث والقلق عليها لكنَّ هذا لم يكن كافيا. لقد استحقت المزيد، تستحق الأكثر، فكّر.
’أركنها هنا‘ قال إد.
وقد وجد مكانا وكان يعود بالشاحنة إلى الخلف وينظر من وراء كتفه.
’أنصت‘ قال فرينك ’هل بإمكاني أن أرسل زوجين من القطع إلى زوجتي؟‘.
’لم أكن أعلم أنك متزوج‘. وكان مركزا في ركن الشاحنة، وأكمل إد لا إراديا ’بالتأكيد، على ألا تكون من الفضة‘.
أطفأ إد محرك الشاحنة.
’لقد وصلنا‘ قال إد، ونفث دخان الماريجوانا ثم أطفأها السيجارة في المنفضة، ورمى عقب السيجارة على الأرض.
’ارجو لي حظا‘ قال إد.
’حظا موفقا‘ أجاب فرينك.
’هيي، اسمع. هناك قصيدة من شعر واكا الياباني في ظهر علبة السجائر‘. وقرأ إد القصيدة بصوت أعلى من ضوضاء الزحام.

أسمع بكاء وقواق
نظرتُ للأعلى في كل اتجاه
من أين يأتي الصوت
ماذا رأيتُ؟
لا شيء سوى القمر الشاحب في سماء الفجر

وسلّم علبة Tien-lais لفرينك. ’رباه!‘ قال وضرب ظهر فرينك مبتسما ابتسامة عريضة. فتح باب الشاحنة والتقط سلة الخيزران الكبيرة ونزل من الشاحنة، وقال ’سأدعك تضع عشرة سنتات في عدّاد الموقف‘ وبدأ يمشي فوق الرصيف.

وفي لحظة اختفى بين المشاة الآخرين. جوليانا، فكّر فرينك، هل أنت وحيدة مثلي؟
نزل من الشاحنة ووضع عشرة سنتات في عدّاد الموقف.
خوف من مجازفة مشروع المجوهرات هذا، فكّر. ماذا لو قُدِّر له أن يفشل؟ ماذا لو قُدِّر له أن يفشل؟ هذا ما كان سيوضحه المستخار، عويل، دموع، وطرق على الإناء. يواجه المرء الظلال المظلمة لحياته. دربه إلى القبر. لو كانت هنا ما كان الوضع ليكون سيئا جدا. ما كان ليكون سيئا على الإطلاق. أنا خائف، أدرك هذا. افترض أن إد لم يبع شيئا، افترض أنهم ضحكوا علينا.
ماذا بعدها؟
***

استلقت جوليانا محتضنة جو تجاهها فوق ملاءة على الأرض في غرفة المعيشة لشقتها. كانت الغرفة دافئة ووخمة بضوء شمس منتصف الظهيرة. وترطَّب جسدها وجسد الرجل بين ذراعيها بالعرق. نزلت قطرة من جبين جو، وبقيت للحظة فوق عظم وجنته ثم سقطت على حنجرته.
’ما زلت تتعرق‘. قالت.
لم يقل شيئا. وتنفسه عميق، وبطيء، ومنتظم... مثل المحيط، فكّرت. لا يوجد شيء في داخلنا سوى الماء.
’كيف حالك؟‘.
غمغم بأن كل شيء على ما يرام.
أعتقد هذا، فكرت جوليانا. بإمكاني أن أخبرك بهذا. على كلينا الآن أن ينهض، أن نسحب نفسينا معا. أو أسيكون ذلك سيئا؟ إيماءة لا وعي بعدم الموافقة؟
هزَّ جسده.
’هل ستنهض؟‘ وأمسكت به بقوة بين ذراعيها. ’لا ترغب. ليس بعد‘.
’ألا يتوجب عليك الذهاب إلى النادي الرياضي؟‘.
لن أذهب اليوم إلى النادي الرياضي، قالت جوليانا لنفسها. ألا تعرف ذلك؟ سنذهب إلى مكان ما، لن نبقى هنا مطولا، لكنَّه سيكون مكانا لم نزره من قبل. حان الوقت.

شعرت به يحاول أن يسحب نفسه إلى الخلف وينهض معتمدا على ركبتيه، وبيديها تنزلق لرطوبتها وانسلَّ عنها. ثم كانت تسمع خطواته المبتعدة، صوت قدميه العاريتين على الأرض، متجها إلى الحمام، بلا شك، ليستحم.
إنها النهاية، فكرت. أوه حسنا، وتنهدت.
’أسمعك‘ قال جو من الحمام ’تأنين، ومكتئبة دائما، أليس كذلك؟ خوف، وقلق، وشك، بخصوصي وبكل شيء آخر في هذا العالم-‘ أطلَّ لوهلة، يقطر منه الماء المُصوبن، ووجه مبتهج. ’هل ترغبين بأخذ جولة؟
أسرعت نبضاتها. ’أين؟‘.
’إلى مدينة أكبر. ما رأيك بالشمال، إلى دنفر؟ سأصطحبك خارجا، نشتري تذكرة لعرض، ومطعم جيد، وسيارة أجرة، ونشتري لكِ فستان سهرة أو أي شيء تريدينه، موافقة؟‘.
بالكاد استطاعت تصديقه، لكنها كانت تريد ذلك؛ وحاولت.
’هل وقتك يسمح بهذا؟‘ سأل جو.
’بالتأكيد‘ أجابت.
’سنشتري كلانا ملابس جميلة‘. قال جو ’نمتِّع نفسينا، ربما لأول مرة في حياتنا. أمنعك من الانهيار‘.
’من أين سنحصل على المال؟‘.
قال جو ’لدي مال. انظري في حقيبة سفري‘. أغلق باب الحمام، وأخفت جلبة الماء سماع أي كلمة أخرى.
فتحت الخزانة، وأخرجت من بين أغراضه، حقيبة سفر ملونة صغيرة. وبدون شك وجدت ظرفا في واحدة من زواياها يحتوي على أوراق نقدية من مصرف الرايخ، عالية القيمة ومقبولة في كل مكان. إذن بإمكاننا الذهاب، أدركت هذا. ربما لا ينوي سوءا بعلاقتنا. أرغب فقط بسبر غوره وأن أعرف ماذا بداخله، فكّرت وهي تعد النقود...
وجدت أسفل الظرف قلم حبر ضخم أسطواني الشكل، أو هذا في الأقل ما بدا عليه، وفيه مشبك، على أي حال، لكنَّه ثقيل جدا. وبحذر شديد رفعته خارجا، وفتحت غطاءه. نعم، رأسه ذهبي، لكن...
’ما هذا‘ سألت جو عندما ظهر مجددا من الحمام.

أخذه منها، وأعاده إلى الحقيبة. ما أشد عنايته به عندما حمله... لاحظت هذا، وأطرقت تفكر متحيرة.

’أعراض مَرضية أخرى؟‘ قال جو، وبدا خالي البال أكثر من أي وقت مضى منذ أن التقت به، وبصرخة حماس طوقها من خصرها، ثم حملها بين ذراعيه، وراح يهدهدها ويحركها إلى الأمام والخلف، وناظرا إلى وجهها، ونافثا أنفاسه الدافئة عليها، وحاضنا إياها حتى تكلمت.

’لا‘ أجابت ’أنا فقط- بطيئة في التأقلم‘. ما زلت خائفة بعض الشيء منك، فكرت. خائفة جدا حتى إنه لا يمكنني الإفصاح عن خوفي، وأن أخبرك به.

’سنختفي‘ صرخ جو، ومشى في الغرفة وهي في أحضانه ’هيا بنا‘.

’أرجوك‘ قالت.

’أمزح. اسمعي- سنقوم بمسيرة، مثل المسيرة إلى روما، هل تذكرين. القائد قادهم، من بينهم عمي كارلو على سبيل المثال. والآن لدينا مسيرة صغيرة، وأقل أهمية، ولن تُذكر في كتب التاريخ، أليس كذلك؟‘. مال برأسه وقبلها بشدة حتى تلامست أسنانهم. ’ما أجمل طلتنا التي سنبدو عليها بملابسنا الجديدة. وبإمكانك أن توضحي لي كيف أتحدث بدقة، وأعبر عن نفسي، ستفعلينها؟ تعلميني بعض السلوكيات، أليس كذلك؟‘.

’تتحدث بشكل حَسَن‘ قالت جوليانا ’بل أفضل مني‘.

’لا‘ وأصبح فجأة متجهما. ’أنا سيئ جدا في الحديث. لهجت إيطالية بحتة. ألم تلاحظي هذا حين التقيتِ بي أول مرة في المقهى؟‘.

’أعتقد هذا‘ قالت ولم يبدُ الأمر ذا أهمية بالنسبة لها.

’المرأة وحدها تعرف الأعراف الاجتماعية‘ قال جو وأعاد حملها وأسقطها على السرير لترتدَّ إلى الأعلى بشكل مخيف. ’من دون النساء كنا سنتناقش حول سباق السيارات والخيول ونلقي الطُرف الماجنة بدون تحضُّر‘.

أنت بمزاج غريب، فكرت جوليانا. قلِق، وهائم الفكر حتى تقرر أن تتحرك، لتصبح بعدها متحمسا جدا. هل ترغب بي فعلا؟ بإمكانك أن تتخلص مني، تتركني هنا، لقد حدث هذا سابقا. سأتخلص منك، فكرت، لو أنني مضيت في الطريق معك.

’هذا ما يدفع لك؟‘ سألته حين ارتدى ثيابه ’هذا ادخرته؟‘ إنه كثير جدا. بالطبع لقد كان هناك الكثير من المال في الشرق. ’كل سائقي الشاحنات الآخرين الذين تكلمت معهم لم يحصلوا قط على مثل هذا-‘.
’تقولين بإني سائق شاحنة؟ قاطعها جو ’اسمعي، ركبت تلك العربة لا لأسوقها بل لأبعد عنها اللصوص. لأبدو مثل سائق شاحنة، أغفو في حيز الحمولة‘. قلبَ كرسيًا في زاوية الغرفة وقعد عليه متظاهرا بالنوم، وفمه مفتوح وجسده مترنح ’أترين؟‘.
لم ترها في المرة الأولى، ثم لاحظت أنه يحمل سكينا، رفيعا مثل سيخ البطاطا في المطبخ. غير معقول، فكرت، من أين أتت؟ خرجت من كمه، خرجت من الهواء نفسه.
’لهذا السبب يوظفني الناس الأثرياء. سجل الخدمة. نحمي أنفسنا من *هايسلدن، وأولئك الجنود الذين قادهم‘. لمعت عيناه السوداوان وحدق إلى جوليانا بطرف عينيه.
’احزري من تمكن من العقيد، هناك في نهاية المطاف، عندما أمسكناهم على النيل- هو وأربعة من مجموعة صحراء لونغ رانج بعد شهور من حملة القاهرة. أغاروا علينا لأجل الجازولين في إحدى الليالي. كنت في واجب الخفر. تسلل هايسلدن، وقد طلى وجهه وجسده بالأسود حتى يديه، لم تكن لديهم أسلاك في ذلك الوقت، قنابل يدوية ومدفع رشاش فقط. صاخبة جدا. حاول كسر عنقي لكنني تمكنت منه‘. وقفز جو من الكرسي باتجاهها ضاحكا. ’لنحزم أغراضنا. وأخبريهم في النادي الرياضي بأنك ستأخذين إجازة لبضعة أيام؛ هاتفيهم‘.
لم تقنعها حكايته. ربما لم يكن في شمال إفريقيا بتاتا، وربما حتى لم يقاتل في الحرب مع قوات المحور وربما لم يقاتل قط. ومن اللصوص؟ تساءلت. لا توجد شاحنة مما عرفتها تمر بكانون سيتي من الساحل الشرقي يعمل بها جندي سابق ومسلح حارسا لها. ربما لم يعش في الولايات المتحدة الأمريكية، واختلق كل هذا من البداية من أجل أن يوقع بها، لينال اهتمامها وليبدو رومانسيا.

---

* جون إدوارد هايسلدن: ضابط بريطاني (1903-1942).

محتمل إنه مجنون، فكّرت. يا للمفارقة... قد أفعل في الواقع ما أتظاهر بفعله عدة مرات مستخدمة الجودو في الدفاع عن النفس. وأحافظ على- عفتي؟ وحياتي. لكنَّه في الأرجح مجرد إيطالي فقير ووضيع، وقذر كادح غارق بأوهام المجد. يود أن يقضي وقتا ممتعا، ويصرف ماله كله، ويستمتع بحياته- ثم يعود إلى واقعه الرتيب، وهو بحاجة إلى فتاة ليفعلها.

’حسنا‘ قالت جوليانا ’سأتصل بالنادي الرياضي‘. وفكرت حين اتجهت إلى الصالة. سيشتري لي ثيابا باهظة الثمن، ويأخذني إلى فندق فخم. كل رجل يتوق للحصول على امرأة أنيقة قبل أن يموت، حتى لو اضطر أن يشتري ملابسها بنفسه. من المحتمل أن المتعة غاية طموح حياة جو تشيناديلا. وهو بارع، أراهن أنه على صواب في تحليله لي. لدي خوف عصابي من الرجولة. عرف فرانك هذا أيضا. وبسبب هذا انفصلنا وبسببه أشعر بالقلق الآن، وعدم الثقة.

عندما عادت من الهاتف العمومي، وجدت جو منهمكا في كتاب الجندب، ومقطّبا أثناء قراءته، وغير مدرك لأي شيء حوله.

’ألن تدعني أقرأ هذا؟‘ سألت.

’ربما حين أقود‘ قال جو بدون أن يرفع ناظره تجاهها.

’أنت ستقود؟ لكنها سيارتي!‘.

لم يقل شيئا واستمر بالقراءة فقط.

***

كان روبرت تشيلدان واقفا قرب درج النقود عندما رأى رجلا نحيلا وطويلا وأسود الشعر يدخل إلى المتجر، يرتدي سترة أقل أناقة من السترات العصرية ويحمل سلة خيزران كبيرة. بائع. لم تعلُ وجهه ابتسامة مشجعة بل كان وجهه المجعد متجهما وذا سيماء عابسة. يبدو أكثر شبها بسمكري أو كهربائي، فكر روبرت تشيلدان.

عندما انتهى من الزبون، نادى تشيلدان الرجل، ’مندوب من أنت؟‘.

’إدفرانك للمجوهرات‘. أجاب الرجل مغمغما، ووضع السلة على إحدى منضدات المتجر.

’لم أسمع بهم قط‘ قال تشيلدان ومشى باتئاد حين كان الرجل يرخي غطاء السلة وبحركة هزيلة جدا فتحها.

’مصممة ومعمولة باليد. كل قطعة فريدة من نوعها. كل قطعة أصلية. النحاس الأصفر، والنحاس، والفضة. وحتى من الحديد الأسود المصهور‘.
حدق تشيلدان إلى السلة، معدن فوق مخمل أسود، مميز. ’لا شكرا. ليس مجال عملي‘.
’هذه تمثل الفن الأمريكي. المعاصر‘.
هزَّ رأسه رافضا، ومشى عائدا إلى درج النقود. وقف الرجل بشكل أحمق لبعض الوقت حاملا الألواح المخملية للمعروضات والسلة. فلا هو أخرج الألواح من السلة ولا هو أعادها، وبدا كأنه لا يملك أدنى فكرة عما يجب أن يفعله. بذراعين معقودتين راقبه تشيلدان الذي كان يفكر بشتى التزامات اليوم. لديه في الساعة الثانية موعد لعرض أكواب تنتمي لحقبة قديمة، ثم في الثالثة- سيستلم دفعة أخرى من مختبرات كاليفورنيا بعد اختبار الأصالة. لقد أخضع الكثير والكثير من القطع للفحص في الأسبوعين الأخيرين. منذ ذاك الحادث الكريه لمسدس كولت 44.
’هذه القطع ليست مطلية‘ قال الرجل ذو سلة الخيزران رافعا سوار معصم ’نحاس صلب‘.
أومأ تشيلدان دون جواب. سيمكث الرجل هنا برهة عارضا نماذجه لكنه في الأخير سيرحل.
رن الهاتف، أجاب تشيلدان. زبون يستعلم عن كرسي هزاز قديم، وثمين جدا، إذ كان على تشيلدان أن يصلحه لأجله. لم ينتهِ بعد، وعلى تشيلدان أن يقنعه بقصة. أجال نظره عبر نافذة المتجر تجاه زحام منتصف اليوم، ثم هدأ واطمأن. استرضى الزبون في نهاية الأمر، وأنهى المكالمة.
لا شك حول هذا، فكر حين وضع سماعة الهاتف. هزته مسألة مسدس كولت 44 بشكل معتبر. لم يعد ينظر إلى قِطعه بذات التبجيل. معرفة قليلة مثل تلك تدوم طويلا، شبيهة بالإدراك الطفولي الأولي لحقائق الحياة. واستغرق مفكرا، تعرض المعرفة الصلة بسنيننا المبكرة: لا مجرد تاريخ الولايات المتحدة المعقد بل تاريخنا الشخصي. كما لو أن سؤالا قد نشأ عن أصالة شهادة ميلادنا أو انطباعنا عن الأب.
قد لا أستدعي في الواقع شخصية روزفلت مثالا. الصورة المصطنعة والمستخلصة من سماع الأحاديث المتنوعة. أسطورة غُرست بمهارة في تلافيف الدماغ. مثل، فكّر، أسطورة هيبلوايت، وأسطورة شيبينديل. أو تشبه أكثر

مواضيع عن أكل أبراهام لينكولن هنا، واستخدامه السكين الفضية، والشوكة، والملعقة. لا يمكنك رؤيتها لكن الحقيقة تبقى.
في الجانب الآخر من منضدة المحل، ما زال البائع متخبطا مع معروضاته وسلة الخيزران، قال البائع ’بإمكاننا أن نصنع قطعا حسب الطلب. تُصمم خصيصا في حال كان لدى زبائنك أفكارهم الخاصة‘. كان لصوته رنة مخنوقة، تنحنح ليزيلها ومحدقا بتشيلدان ثم في قطعة المجوهرات التي حملها. من الواضح أنه لم يكن يعرف كيف يغادر. ابتسم تشيلدان ولم يقل شيئا.
ليست مسؤوليتي. إنها مسؤوليته ليخرج من هذا، سواء غادر أم لا.
شعور بالثقل وعدم الارتياح. لا يجب أن يكون بائعا. كلنا نعاني في هذه الحياة. انظر إلي. أقضي يومي بطوله مع اليابانيين أمثال السيد تاغومي. إذ أبسط زلات العمل كفيلة بجعل حياتي بائسة.
وخطرت له فكرة بعدها. الرجل من الواضح ليس بخبير. انظر إليه. ربما أستطيع الحصول على بعض القطع وديعة برسم أمانة. تستحق المحاولة.
’أنت‘ قال تشيلدان.
رفع الرجل بصره بسرعة، وثبّت ناظريه.
تقدم تشيلدان باتجاهه وذراعاه ما زالتا معقودتين وقال ’لقد قضيت نصف الساعة هنا. من دون وعود، بإمكانك أن تخرج بعض القطع. رتب لها مكانا على الرفوف المثبتة‘. وأشار إليها. أومأ موافقا، بدأ الرجل بنفسه ترتيب مساحة في قمة منضدة عرض المتجر. وأعاد فتح سلته، وتخبّط مرة أخرى عند إخراج الألواح المخملية. سيضع كل أغراضه، عرف تشيلدان. ينظمها بعناية خلال الساعة التالية. أنظر وأختار حتى ينظمها جميعا. متأملا. داعيا. ومراقبني بطرف عينه كل ثانية ليرى إذا كنت
مهتما بأدنى اهتمام. أيَّ اهتمام.
’عندما تخرجها‘ قال تشيلدان ’إن لم أكن مشغولا جدا فسألقي نظرة‘.
اشتغل الرجل بشكل محموم كما لو أنه كان ملسوعا.
دخل بعض الزبائن إلى المتجر، وحيّاهم تشيلدان. ووجّه انتباهه لهم ولرغباتهم، ونسي البائع يعمل كادحا على معروضاته.
أدرك البائع الوضع، وأصبح متئدا في حركاته، وتوارى عن الأنظار. باع تشيلدان زبدية

حلاقة، وبالكاد باع سجادة يدوية الصنع أخذها وديعة من أفغاني. مر الوقت.
غادر آخر الزبائن. وخلا المتجر مرة أخرى من كل أحد سواه والبائع. أنهى البائع عمله. ورتب مجوهراته الموضوعة في الألواح المخملية بالكامل على سطح منضدة المتجر. وأشعل روبرت تشيلدان على مهله سيجارة لاند-أُو-سمايلز ووقف هازا جسده إلى الخلف والأمام، ويهمهم سرا. وقف البائع بصمت، ولم يتحدث كلاهما.
بعد طول انتظار مد تشيلدان يده مشيرا إلى دبوس 'أعجبني هذا'. قال البائع بصوت عجول 'إنه قطعة جيدة. لن تجد فيها أي خدوش لفرشاة الأسلاك. مراحل التنعيم تامة جميعا. ولن تتشوه، فنحن نُعاملها ببخاخ ورنيش البلاستيك الذي يدوم لسنوات. إنه أفضل ورنيش صناعي متوفر'.
أومأ تشيلدان بلِين.
'ما قمنا به هنا' قال البائع 'هو أقلمة التقنيات المصنعية المجربة والموثوقة في صناعة المجوهرات. وبحسب علمي فإنه لا يوجد شخص سبقنا في فعلها قط. لا في القوالب، ولا في المعادن، ولا في اللحام والتقسية'. توقفَ 'أجزاؤها الخلفية ملحومة بإتقان'.
التقط تشيلدان سواري معصم، ثم دبوس، ثم دبوس آخر. أمسك بهما مدة وجيزة، ثم ألقاهما على جنب.
تبشّر وجه البائع متأملا.
قال تشيلدان فاحصا بطاقة السعر على قلادة 'هل هذه-'.
'بيع بالمفرد. سعرك هو نصف السعر المكتوب، وفي حالة شرائك بقيمة مئة دولار أو أكثر، فإننا نمنحك تخفيضا إضافيا بقيمة اثنتين بالمئة'.
واحدة تلو أخرى وضع تشيلدان بعض القطع الإضافية على جنب. وكان البائع يهتاج مع كل قطعة مضافة، وتحدث أسرع وأسرع، وفي الأخير بدأ يكرر كلامه، حتى قال أشياء حمقاء وبلا معنى، وكلها بصوت خفيض ومتعجل جدا. يعتقد أنه حقا سيبيع، عرف تشيلدان. ولم يُبدِ بتعابير وجهه أي شيء، فقط استمر بلعبة التقاط القطع.
'هذه قطعة فريدة جدا' كان البائع مستمرا بهذيه عندما التقط تشيلدان قلادة كبيرة ثم توقف. 'أعتقد أنك أخترت أفضل قطعنا، الأفضل على الإطلاق'. ضحك

الرجل ’لديك ذائقة ممتازة حقا‘. ونظر بتركيز إذ كان يجمع بعقله القطع التي اختارها تشيلدان. مجموع البيع.

قال تشيلدان ’سياستنا مع البضائع غير المجربة، هي الوديعة برسم أمانة‘.

لثوانٍ قليلة لم يفهم البائع. وتوقف حديثه لكنه حدق بدون استيعاب.

ابتسم تشيلدان له.

’وديعة برسم أمانة‘ كررها البائع أخيرا.

’أتفضل عدم ترك القطع؟‘ سأل تشيلدان.

قال الرجل متلعثما في نهاية المطاف ’تقصد أني أتركها وتدفع لي لاحقا حين-‘.

’تحصل على ثلثي المبالغ. عندما تُباع القطع. بهذه الطريقة ستجنون أكثر. عليك أن تنتظر بالطبع، لكن-‘. هزَّ تشيلدان كتفيه ’الأمر عائد إليك، بإمكاني أن أعرض بعض القطع في الواجهة. وإذا بيعت لربما من المحتمل بعد شهر أو أكثر، نتعامل على الطلب التالي- حسنا، قد نجد وسيلتنا المناسبة لشراء بعضها مباشرة‘.

قضى البائع الآن ساعة كاملة في عرضه سلعه، أدرك تشيلدان. وقام بإخراجها جميعا. وخُربت كل معروضاته واختلطت. ساعة عمل أخرى لإعادة ترتيبها في مكان آخر.

ثمَّة صمت ولم يتحدث أحد.

’هذه القطع التي وضعتها على جنب‘ قال البائع بصوت خفيض ’هي كل ما تحتاجه؟‘.

’نعم. سأدعك تتركها جميعا‘ قال تشيلدان وتمشى عائدا إلى مكتبه في مؤخرة المتجر. ’سأكتب لك بطاقة، لذا فستأخذ قائمة مسجل عليها كل الأغراض التي تركتها عندي‘. وأضاف عندما عاد معه سجل البطاقات ’تدرك بأنه عندما تترك البضائع للبيع وديعة برسم أمانة فإن المتجر غير مسؤول عنها في حالة السرقة أو التلف‘. كان لديه نسخ محررة قليلة ليوقعها البائع. لن يُساءل المتجر إطلاقا عن التعامل مع القطع المتروكة. عندما تُرجّع البضاعة غير المباعة وفي حالة عدم وجود بعضها- هذا يعني أنها سُرِقت، وضح تشيلدان هذا لنفسه. تحصل سرقات دائما في المتاجر، ولا سيما للقطع الصغيرة مثل المجوهرات.

ليس هناك أي إمكانية لخسارة روبرت تشيلدان. لم يدفع إلى رجل المجوهرات، ولم يستثمر في هذا النوع من البضائع المجرودة. إذا كان ثمة بيع سيجني ربحا وإلا سيرجعها جميعا -أو بقدر ما يمكنه إيجاده- إلى البائع في تاريخ غير معلوم.

حرّر تشيلدان بطاقته مسجلا عليها القطع. وقّع عليها وأعطى نسخة للبائع.
’بإمكانك أن تتصل بي‘ قال ’في غضون شهر أو أكثر. لتعلم كيف جرت الأمور‘.
أخذ المجوهرات التي أرادها إلى مؤخرة المتجر، تاركا البائع يلملم أغراضه المتبقية.
لا أظن أنه سيستمر طويلا في هذا العمل، فكر. من يدري. لهذا السبب يستحق الأمر المحاولة دائما.
عندما رفع ناظريه في المرة التالية ألفى البائع مستعدا للمغادرة. حمل سلة الخيزران أسفل ذراعه وكانت منضدة المتجر شاغرة. تقدم البائع منه يحمل بيده شيئا.
’نعم؟‘ قال تشيلدان عندما كان يراجع بعض المراسلات.
’أود أن أترك بطاقتنا‘ وألقى البائع على طاولة المكتب بطاقة مربعة صغيرة غريبة مصنوعة من ورق باللونين الرمادي والأحمر. ’شراكة إدفرانك للمجوهرات. فيها عنواننا ورقم هاتفنا، في حالة أردت التواصل معنا‘.
أومأ تشيلدان، وابتسم باستكانة، ثم عاد لعمله.
عندما رفع بصره في المرة اللاحقة كان المتجر خاليا. غادر البائع.
وضع تشيلدان عملة نقدية في موزع الجداري، وحصل على كأس شاي ساخن معد للشرب وراح يرتشفه بتأمل.
أتساءل فيما لو سأبيعها. مستبعد جدا. لكنّها مصنوعة بإتقان. ولا يمكن للمرء أن يرى مثلها أبدا. فحص أحد الدبابيس. تصميم مدهش جدا. بالتأكيد ليس صنيعة هواة.
سأغيّر سعر البطاقة، وأجعلُ سعرها أعلى بكثير. أنتهزُ صناعة أيدٍ ملائكية. التميّز. والجودة الأفضل. منحوتات صغيرة. قطعة فنية فريدة من نوعها. إبداع مخصص لأجل طية سترتك أو معصمك.
كانت هناك فكرة أخرى تدور وتنمو في أعماق دماغ روبرت تشيلدان. مع هذه، ليس هناك مشكلة الأصالة. تلك المشكلة التي قد تُنهي صناعة القطع الفنية الأمريكية التاريخية.
ليس اليوم ولا الغد- لكن بعدها من يدري.
من الأفضل عدم صهر حديدنا أجمعه على نار واحدة. تلك الزيارة لذلك اليهودي المحتال قد تكون النذير. إذا جمّعت بتروٍ قطعا من التحف غير التاريخية،

والمعاصرة التي لا تحتوي أي قيمة تاريخية حقيقية أو متخيلة قد أجد نفسي على طرف المنافسة. وطالما أنها لا تكلفني شيئا...

أرخى جسده إلى الوراء فوق الكرسي الذي ارتكز على الجدار وارتشف شايه وتفكّر.

الزمن يتغير. وعلى المرء أن يكون مستعدا للتغيّر معه أو فإنه يُترك بلا حول ولا قوة. التأقلم.

قاعدة البقاء حيّا، فكّر، أبقِ عينيك يراقبان الوضع المحيط بك، تعلم احتياجاته، ولبِّها. كن هناك في الوقت المناسب وتصرَّف بالشكل المناسب.

كن يينيا*. الشرقي يعرف. اليينى الذكي ذو العينين السوداوين...

خطرت له فجأة فكرة جيدة جعلته يعتدل في قعدته في الحال. عصفوران بحجر واحد. آه، وقف على قدميه متحمسا. وغلّف بعناية أفضل قطع المجوهرات (أزال البطاقة بالطبع). دبوس، قلادة، أو سوار معصم. قطعة جميلة، على أي حال. وبعدها- عليه مغادرة المتجر، ويتهادى قرابة الثانية ظهرا إلى بناية شقة كاسورا.

السيد كاسورا، باول، سيكون

في العمل. والسيدة كاسورا، بيتي، من المؤكد جدا ستكون في البيت.

هدية مغلفة، هذه قطعة فنية أمريكية أصيلة وجديدة. أطريها بنفسي شخصيا حتى أحظى على ردة فعل معتبرة. بهذه الطريقة يُفتتح موضوع جديد. أليست طريقة محببة؟ قطعة وصلتنا مؤخرا إلى المتجر، مصممة خصيصا تحت الطلب، إلخ.

إنها لكِ بيتي.

ارتعش، أنا وهي لوحدنا، داخل الشقة في منتصف النهار، وزوجها خارج في العمل. كل

شيء واضح وجلي، على أي حال، ذريعة ممتازة.

مُحكَمة!

أخذ علبة صغيرة وورق تغليف وشريط، وبدأ روبرت تشيلدان تحضير الهدية للسيدة كاسورا. امرأة غامضة وجذابة، رشيقة في ثوب الحرير الشرقي، وكعب عال، وما شابه.

* ييني: صفة منسوبة لـ يين Yin.

أو ربما اليوم تلبس بيجاما لاونج طراز كولي قطنية زرقاء اللون، خفيفة جدا ومريحة وغير رسمية، آه.
لكن هل هذا تصرف وقح جدا؟ سيصبح باول غاضبا. يستشعر الأمر وتكون ردة فعله سيئة جدا. ربما عليَّ أن أتأنّى؛ آخذا الهدية إليه، إلى مكتبه؟ وأقول ذات القصة لكن هذه المرة له.
أدعه يهديها إليه بلا شبهة. ثم، فكّر روبرت تشيلدان، أتصل على بيتي في اليوم التالي أو الذي يليه لمعرفة رأيها. هذه أشدُّ إحكاما.

***

استطاع فرانك فرينك أن يخمن أن الأمور لم تمضِ على خير عندما رأى شريكه في العمل يعود في الممشى.
’ماذا حدث؟‘ قال وهو يأخذ سلة الخيزران من إد ويضعها في الشاحنة. ’رباه، لقد ذهبت منذ ساعة ونصف، هل استغرق كل هذا الوقت ليقول لا؟‘.
قال إد ’لم يقل لا‘ وبدا متعبا. ودخل في الشاحنة وقعد.
’ما الذي قاله إذن؟‘. فتح فرينك السلة ورأى أن العديد من القطع الجيدة اختفت. أفضلها. ’أخذَ الكثير. ما المشكلة إذن؟‘.
’الشراءُ عبر الوديعة برسم أمانة‘. قال إد.
’سمحت له؟‘ لم يستطع التصديق ’لقد تحدثنا في الموضوع-‘.
’لا أعرف كيف تمَّ الأمر‘.
’رباه‘ قال فرينك.
’آسف، تصرف كما لو أنه سيشتريها. اختار الكثير من القطع. اعتقدتُ أنه سيشتري‘.
وقعدا معا صامتين داخل الشاحنة لوقت طويل.

10

مضى على السيد باينز أسبوعان عصيبان. كان يتصل من غرفته في الفندق على البعثة التجارية كل يوم عند الظهيرة سائلا فيما إذا حضر الرجل المسن المحترم. لم تتغير الإجابة النافية، وصوت السيد تاغومي يصبح أبردَ وأكثر رسمية في كل مرة. وعندما كان يستعد باينز لاتصاله السادس عشر. فكّر بأنهم عاجلا أو آجلا سيخبرونني أن السيد تاغومي غير موجود. لن يستقبل أي اتصالات أخرى مني. وهذا ما سيحدث.

ما الذي حدث؟ أين السيد ياتابي؟

كان لديه فكرة مقنعة. سبّب موت مارتن بورمان ذعرا مفاجئا في طوكيو، بالتأكيد قد حرف السيد ياتابي مسار رحلته البحرية عن سان فرانسيسكو في نهار ما حين وصلته التعليمات. وعاد إلى جزر الأرخبيل اليابانية لمزيد من التشاور.

حظ عاثر، أدرك السيد باينز هذا، ولربما يكون مُهلكا.

لكن عليه أن يبقى حيث هو في سان فرانسيسكو محاولا ترتيب الاجتماع الذي جاء من أجله.

خمس وأربعون دقيقة برحلة صاروخ خطوط لوفتهانزا من برلين والآن يحدث هذا! وقت عجيب الذي نعيشه. بإمكاننا السفر حيث نشاء، حتى نحو الكواكب الأخرى. ولأجل ماذا؟ لتقعد يوما تلو آخر تفقد المعنويات والأمل وتهوي إلى ملل أبدي. والآخرون منشغلون في غضون هذا، فهم لا يقعدون بيأس ينتظرون. فتح السيد باينز طبعة من صحيفة نيبون تايمز وقرأ لمرة أخرى العنوان الرئيس

عُيِّن د. غوبلز مستشارًا للرايخ

حلٌ مفاجئ لمشكلة القيادة من لجنة الحزب. خطبة مذياع حماسية.

جماهير برلين تبتهج فرحا. البيان المتوقع. قد يُعيَّن غورنغ رئيسا للشرطة بدلا من هيدريش.

أعاد قراءة المقال كاملا ووضع الصحيفة جانبا مرة أخرى، وأخذ الهاتف وأدخل رقم البعثة التجارية.

’معك السيد باينز. هل يمكنك أن توصلني بالسيد تاغومي؟‘.

’لحظة سيدي‘.
مرت لحظة طويلة جدا.
’السيد تاغومي على الخط‘.
أخذ السيد باينز نفسا عميقا وقال ’اغفر هذا الوضع الكئيب لكلينا، سيد-‘.
’آه، سيد باينز‘.
’سيدي لم يكن لضيافتك أن تتمدد. وأعرف أنك في يوم ما ستفهم الأسباب التي اضطرتني لتأجيل اجتماعنا حتى يحضر الرجل المسن-‘.
’من المؤسف، لم يصل بعد‘.
أغلق السيد باينز عينيه ’أفكر منذ الأمس ربما-‘.
’معذرة، سيدي‘ وبأقل تهذيب ’لو تسمح لي، سيد باينز، لدي عمل مستعجل‘.
’طاب يومك، سيدي‘.
أغلق الهاتف. أنهى السيد تاغومي الاتصال اليوم بدون حتى أن يقول إلى اللقاء.
أنزل السيد تاغومي سماعة الهاتف ببطء.
لا بد أن أتصرف. لا يمكن الانتظار أكثر.
لقد أعلمَهُ رؤساؤه بكل وضوح بأنه غير مسموح له الاتصال بالـآبفير تحت أي ظروف. كان عليه ببساطة الانتظار حتى يرتب اتصالاته مع ممثل العسكرية اليابانية، ومضطر أن يجتمع بالياباني، ثم بعدها يعود إلى برلين. لكن لم يتنبأ أحد بأن بورمان ذاك سيموت في هذه اللحظة المفصلية. لذلك-
يجب أن تُنسخ الأوامر بإجراء أكثر فعالية. وعليه أن يعتمد على نفسه في هذه الحالة بما إنه لا يوجد شخص ليشاوره.
هناك عشرة أشخاص من الـآبفير يعملون في ولايات المحيط الهادئ الأمريكية، ولكن بعضهم -وربما جميعهم- معروف لدى جهاز الأمن النازي المحلي ولرئيسها الأعلى الإقليمي المختص، برونو كروز فوم ميري. التقى بميري منذ سنوات مضت مدة وجيزة في تجمع الحزب. يمتلك الرجل نفوذا محكما مريعا في دوائر الشرطة بقدر ما كان عليه عام 1943، حين كشف المؤامرة البريطانية-التشيكية المحاكة ضد حياة رينهارد هيدريش، ولأجل هذا قيل بأنه أنقذ الجلاد من الاغتيال. في كل الأحوال، كان برونو كروز فوم ميري يرتقي سلم السلطة داخل جهاز الأمن النازي. لم يكن مجرد ضابط شرطة بيروقراطي. كان في الحقيقة رجلا خطرا.

على الرغم من كل الاحتياطات التي يأخذها كلا قسمي الآبفير في برلين والتوكّوكا في طوكيو فهناك احتمالية أن جهاز الأمن النازي قد علم بمحاولة الاجتماع في سان فرانسيسكو داخل أقبية المكاتب السامية للبعثة التجارية. هذه المنطقة على أي حال خاضعة بالكلية للإدارة اليابانية. ولا يملك جهاز الأمن النازي أي سلطة رسمية للتدخل. من الممكن أن ترى المسؤول الألماني -بنفسه في هذه الحالة- معتقلا حالما تطأ قدمه أرض الرايخ لكن بالكاد يمكنها اتخاذ إجراء بحق المسؤول الياباني أو حتى تجاه عقد الاجتماع ذاته.

هذا ما يرجوه، في الأقل.

هل هناك احتمالية بأن يكون جهاز الأمن قد استطاع أن يحجز السيد الياباني المسن في موقع ما أثناء الرحلة؟ إنها رحلة طويلة من طوكيو إلى سان فرانسيسكو ولا سيما على رجل مسن وضعيف يعجز عن محاولة السفر جوا.

الذي يتوجب عليَّ فعله، عرف السيد باينز، أن أعلم من أولئك الأشخاص الذين يعلونني فيما إذا أن السيد ياباتي سيحضر. سيعرفون في حالة أوقفه جهاز الأمن النازي أو إذا استدعته حكومة طوكيو- سيعرفون ذلك.

وإذا استطاعوا الوصول إلى الرجل المحترم المسن، أدركَ، فإنهم بالتأكيد سيصلون إلي. لكنَّ الوضع حتى في ظل هذه الظروف لم يكن ميؤوسا منه. وخطرت للسيد باينز فكرة وهو ينتظر يوما بعد آخر وحيدا داخل غرفته في فندق الأبهيراتي.

قد يكون من الأفضل أن أُعلم السيد تاغومي خير من العودة إلى برلين خالي الوفاض.

في الأقل ستكون هناك فرصة، حتى لو أنها نوعا ما واهية، ففي النهاية سيُعلم أصحاب المناصب الرفيعة. لكنَّ بإمكان السيد تاغومي أن ينصت فقط، كانت هذه ثغرة في فكرته. في أحسن الأحوال يمكن أن يسمع ويحتكم إلى ذاكرته، وحالما يستطيع سيأخذ رحلة عمل يعود بها إلى جزر الأرخبيل حيث يقف السيد ياتابي على التدابير السياسية وبإمكانه أن يسمع- ويتحدث.

يبقى هذا خير من لا شيء. الوقت آخذ في النفاد. ولبدء كل شيء من جديد فإن التنظيم ببراعة وحذر سيستغرق شهورا من تكرار الاتصالات الدقيقة ما بين جماعة ألمانيا وجماعة اليابان.

سيفاجئ هذا الأمر السيد تاغومي بالتأكيد، فكّر بشكل لاذع. أن يجد فجأة هذا النوع من المعلومات ينزل على كاهليه. أمر بعيد كل البعد عن موضوع نماذج الحقن...

ربما سينتابه انهيار عصبي، أو ربما يفشي المعلومات دون إدراك إلى شخص آخر من دائرته، أو قد يتقهقر، ويتظاهر حتى لنفسه بأنه لم يسمع شيئا. قد يرفض تصديقي ببساطة. ينهض على قدميه، وينحني ويستأذن خارجا من الغرفة في اللحظة التي أبدأ.

طائش، قد يتعامل مع الأمر على هذا النحو، لا يفترض أن يسمع هذا النوع من القضايا.

سهل جدا، فكّر السيد باينز، الخروج من القضية بالنسبة إليه سريع جدا، ومتاح. أتمنى لو كان الوضع كذلك بالنسبة إلي.

بالتحليل النهائي للأمر لن يكون متاحا حتى للسيد تاغومي. ليس بيننا فرق. بإمكانه أن يصم أذنيه عن الأخبار التي تأتيه مني، التي تأتي بشكل كلمات. لكن لاحقا، عندما تكون القضية ليست مجرد كلمات. لو كان بإمكاني أن أوضح الأمر له الآن أو لأي أحد أحدثه في نهاية الأمر-

غادر غرفته في الفندق، ونزل بالمصعد إلى الردهة. في الخارج على الرصيف طلب من البواب مناداة سائق البيدي كاب لأجله، وبعدها بقليل كان في طريقه إلى شارع ماركت، والسائق الصيني ينطلق بنشاط.

’هناك‘ قال للسائق حين لاحظ اللافتة التي كان يترقبها. ’قف بجانب الرصيف‘.

توقف سائق البيدي كاب جنب مطفأة الحريق الأرضية. دفع السيد باينز الأجرة للسائق وصرفه. لا يبدو أن هناك من يقتفي أثره. انطلق السيد باينز على قدميه فوق الرصيف. بعدها بلحظة، وعلى مقربة من بعض المبتاعين الآخرين، دخل قسم فوغا التجاري الكبير وسط المدينة.

المتسوقون في كل مكان. وعمليات البيع مستمرة. فتيات بائعات، أغلبهن من ذوات البشرة البيضاء، مع ثلة يابانيين يعملون مديري الأقسام. كان الضجيج هائلا.

وجد السيد باينز القسم الرجالي بعد بعض التحيّر. وقف أمام رفوف البناطيل الرجالية وبدأ بتفحصها. جاءه موظف في الحال، شاب أبيض، وحيّاه.

قال السيد باينز ’لقد عُدت لأجل بنطال صوفي ذي لون بني غامق الذي تفحصته أمس‘.
التقت نظرته بنظرة الموظف وهو يقول ’لم تكن الرجل الذي تحدثتُ إليه. لقد كان أطولَ، وذا شارب أحمر، وأنحفَ نوعا ما، وعلى سترته اسم لاري‘.
قال الموظف ’هو في الخارج الآن لأجل الغداء، لكنَّه سيعود‘.
’سأذهب إلى غرفة تبديل الملابس وأقيس هذا‘. قال السيد باينز آخذًا البنطال من الرف.
’بالتأكيد سيدي‘. ودلّه على غرفة تبديل ملابس شاغرة، وانصرف بعدها في انتظار شخص آخر.
دخل السيد باينز غرفة تبديل الملابس وأغلق الباب. قعد على أحد كرسيي الغرفة وانتظرَ.
كان ثمة طرق بعد دقائق معدودة. فُتح باب غرفة تبديل الملابس ودخل ياباني قصير، ومتوسط العمر.
’أنت من خارج البلاد، سيدي؟‘ قال للسيد باينز ’وأنا هنا للتأكد من سلامة بياناتك. دعني أرى بطاقة هويتك‘ وأغلق الباب من خلفه.
أخرج السيد باينز محفظته. قعد الياباني ومعه المحفظة وبدأ بتفحص محتوياتها. توقف عند صورة فتاة ’جميلة جدا‘.
’ابنتي، مارتا‘.
’أنا أيضا لدي ابنة باسم مارتا‘ قال الياباني ’تدرس البيانو الآن في شيكاغو‘.
’ابنتي في سن الزواج‘ قال السيد باينز. أعاد الياباني المحفظة وانتظر بترقب.
قال السيد باينز ’أنا هنا منذ أسبوعين ولم يظهر السيد ياتابي بعد. أريد أن أعرف فيما إذا كان سيأتي أو لا، وما الذي يجب أن أفعله‘.
’ارجع غدا بعد الظهيرة‘ قال الياباني ونهض، ونهض السيد باينز أيضا. ’طاب يومك‘.
’طاب يومك‘ رد السيد باينز. غادر السيد باينز غرفة تبديل الملابس وأعاد تعليق البنطال في الرف، وغادر قسم فوغا التجاري.
لم يستغرق الأمر طويلا، فكّر عندما كان يمشي على طول الرصيف المكتظ بالمشاة الآخرين وسط المدينة. هل يمكنه حقا أن يحصل على المعلومات في ذلك

الوقت؟ أتواصل مع برلين، وأطرح أسئلتي، والقيام بالتشفير وفك التشفير- في كل خطوة أخطوها؟

من المؤكد هذا.

ليتني قابلتُ العميل في وقت أبكر، كنت سأزيح عن كاهلي الكثير القلق والاضطراب. ومن الواضح إن الأمر لا ينطوي على أي مخاطرة كبرى، يبدو أن كل شيء يجري بسهولة. يستغرق الأمر في الحقيقة خمس أو ست دقائق فقط.

هام السيد باينز يتطلع إلى النوافذ. شعر بتحسن كبير الآن. وألفى نفسه في الحال يشاهد صور عرض لحانات هونكي-تونك، وصور قاتمة لمومسات عاريات تتدلى أثدائهن اللائي يشبهن كرة طائرة نصف منفوخة. أمتعه المنظر وتريّثَ أمامه، وكان الناس يتجاوزونه تجاه مشاغلهم المتنوعة دخولا وخروجا في شارع ماركت.

لقد قام بشيء ما، في الأقل.

يا لها من راحة!

***

كانت جوليانا تقرأ مستندة بأريحية على الباب السيارة، وبجانبها كان جو يقود السيارة بسرعة وكوعه خارج من النافذة، ويده الأخرى تمسك المقود بخفة وسيجارة مثبتة بشفته السفلى. كان سائقا جيدا، وقد قطعا مسافة طويلة في طريقهما من كانون سيتي.

بثَّ مذياع الراديو موسيقى بير-غاردين شعبية ومفرطة العاطفية، أدّت فرقة الكورديون واحدة من المعزوفات اللا معدودة لـ بولكاس* أو شوتيشز** ولم تستطع قط أن تفرق واحدة عن الأخرى.

’فن هابط‘ قال جو عندما انتهت المعزوفة الموسيقية. ’اسمعي، أعرف الكثير عن الموسيقى. سأخبرك من كان قائد أوركسترا عظيم. من المحتمل أنك لا تذكرينه. أرتورو توسكانيني.

’لا‘ قالت جوليانا، مستمرة في القراءة.

** موسيقى رقص تشيكية. Polkas

** موسيقى رقص شعبية ذات أصل بوهيمي Schottisches.

’كان إيطاليا لكنَّ النازيين لم يسمحوا له بقيادة الأوركتسرا بعد الحرب بسبب توجهاته السياسية. إنه ميت الآن. لم يعجبني فون كاراجان ذاك، القائد الثابت لأوركسترا نيويورك فيلهارمونيك. كان يتوجب علينا الذهاب إلى حفلاته الموسيقية، في مهجع عملنا. ما يعجبني كوني إيطاليًّا- خمني ماذا‘ وحدق إليها ’أعجبك هذا الكتاب؟‘. سأل.

’إنه مشوِّق‘.

’يعجبني فيردي وبوشيني. كل ما نحصل عليه في نيويورك كان موسيقى فاغنر وأورف الألمانية الثقيلة والطنّانة، وتوجب علينا كل أسبوع أن نذهب إلى واحدة من تلك العروض المسرحية السخيفة للحزب النازي في أمريكا في ماديسون سكوير غاردين، حاملين الأعلام والطبول والأبواق والشعل النارية الوامضة، حيث يهتفون بالترانيم التاريخية الخاصة بالقبائل القوطية أو الأخرى التعليمية التافهة بدل أن ينطقوها، من أجل أن يسمو ذلك "فنا". هل سبق أن رأيتِ نيويورك قبل الحرب؟‘.

’نعم‘ أجابت، محاولة أن تقرأ.

’ألم يكن لديهم مسرح فاخر في تلك الأيام. هذا ما سمعته. الأمر الآن كما في صناعة الأفلام، كلها محتكرة في برلين. في السنوات الثلاث العشرة التي كنتها في نيويورك لم يُقدم أي عرض موسيقي جيد أو مسرحي قط، فقط تلك-‘.

’دعني أقرأ‘. قالت جوليانا.

’ينطبق الأمر نفسه على تجارة الكتب‘ قال جو غير مبالٍ ’كل الأعمال محتكرة ومدارة من خارج ميونخ. كل ما يقومون به في نيويورك هو الطباعة فقط مثل كبريات الصحف المطبوعة- لكن قبل الحرب، كانت نيويورك مركز صناعة النشر في العالم، أو هذا ما يقولونه‘.

وضعت أصبعيها في أذنيها وركّزت في الصفحة المفتوحة في حضنها، متجاهلة صوته. وصلت إلى الفصل الذي يصف فيه الجندب التلفاز الخرافي، وقد فتنها ولا سيما الجزء حول قطع التجميع الصغيرة والزهيدة الخاصة للأناس المتأخرين عن ركب الحضارة في إفريقيا وآسيا.

... عرف الأمريكيون وحدهم ماهية نظام الإنتاج المكائني الضخم- ديترويت ، وشيكاغو ، وكليفلاند ، الأسماء السحرية! استطاعوا أداء الخدعة ، وبعثوا بالطوفان المريع غير المنقطع وشبه الأخرق لقطع

التلفاز الرخيصة ذات الدولار الواحد (الدولار الصيني ، الدولار التجاري) إلى كل قرية ومنطقة نائية في الشرق . وعندما جمّعها بعض الشباب البسطاء من ذوي العقول المحمومة والحمقى في القرية ، والمتضورين لهبة جلبها لهم الأمريكيون الكرماء ، تلك الأجهزة الصغيرة والمدمج في داخلها مزود طاقة أصغر من الشاشة لتبدأ بالاستقبال .

وماذا استقبلت؟ رأى شبّان القرية –وغالبا معهم كبار السن– الرابضون قُبالة الشاشة : كلمات . تعليمات . كيف يقرأون أولا ، ثم البقية . كيف يحفرون بئرا أعمق . كيف يحرثون أعمق . كيف ينقون مياههم ، ويشفون مرضاهم . فوق رؤوسهم يوزع الصحن الأمريكي الاصطناعي الدائري– الإشارة ، حاملا إياها إلى كل مكان... إلى تلك الجموع البشرية المنتظرة بنهم في الشرق .

’أتقرأينه بشكل متتابع؟ سأل جو. ’أم بشكل غير متتابع هنا وهناك؟‘.
قالت ’هذا بديع، جعلنا نرسل الطعام والعلم إلى كل الآسيويين، الملايين منهم‘.
’العمل الخيري وفقا للمقياس العالمي‘ قال جو.
’نعم، الصفقة الجديدة بإدارة توغويل؛ رفعوا المستوى المعيشي للسكان- أنصتْ‘ وقرأت بصوت عالٍ لجو:

... ماذا كانت الصين؟ تواقة إلى كيان حيوي مختلط واحد ينظر باتجاه الغرب ، رئيسه الديمقراطي العظيم تشيانغ كاي-شيك ، الذي قاد الشعب الصيني خلال سنوات الحرب ، والآن نحو سنوات من السلام ، إلى عقد من إعادة البناء . لكنَّ الصين لم تكن تُعمّر أغلب الأراضي الشاسعة والمنبسطة وشبه الخارقة التي لم تُبنَ قط ، بل وغافية في حلمها القديم . الإيقاظ ؛ نعم . الكيان ، المارد ، عليه أن يشارك أخيرا بإدراكه الكامل ، وأن يستيقظ منضما إلى العالم الحديث بطائراته النفاثة ، وقواه الذرية ، وطرقه السريعة ومصانعه ، وأدويته . ومن أين سيأتي هزيم الرعد الذي سيوقظ المارد؟ عرف تشيانغ ذلك ، حتى أثناء الكفاح لهزيمة اليابان ، سيأتي من الولايات المتحدة الأمريكية . وبحلول عام 1950 ، احتشد التقنيون الأمريكيون والمهندسون والمعلمون والأطباء والمهندسون الزراعيون مثل حياة جديدة تتشكل في كل مقاطعة ، كل–‘ .

قال جو مقاطعا إياها ’أتعرفين ماذا فعل، لا تعرفين؟ أخذ أفضل ما لدى النازية، الجزء الاجتماعي، منظمة تودت والتقدم الاقتصادي الذي حصلنا عليه بواسطة سبير، وعلى ماذا اعتمد لضمان هذا؟ الصفقة الجديدة. وأعرض عن الجزء السيئ، قوات الحماية، والإبادة والعزل العرقي. إنها المدينة الفاضلة! أتتخيلين لو انتصر الحلفاء، سيكون بإمكان الصفقة الجديدة إحياء الاقتصاد والقيام بتحسينات الرفاهة الاجتماعية، مثلما يقول؟ يا للجحيم لا، إنه يتحدث عن شكل من أشكال الدولة النقابية، الدولة التعاونية، كالتي طورناها تحت حكم القائد. يقول ستحصلون على كل الأشياء الجيدة ولا-‘.

’دعني أقرأ‘ قالت بنبرة عنيفة.

استهجنَ لكن أوقف ثرثرته. قرأت مجددا لكن لنفسها.

... وهذه الأسواق ، الملايين التي لا حصر لها في الصين ، جعلت المصانع في ديترويت وشيكاغو تطن ، لا يمكن للفم الكبير أن يمتلئ أبدا . وما كان باستطاعة هؤلاء الناس أن يمنحوا الكفاية من الشاحنات أو الطوب أو سبائك الفولاذ أو الملابس أو الطابعات أو البازلاء المعلبة أو الساعات أو المذاييع أو قطرات الأنف وإن حتى خلال مءة سنة قادمة . وامتلك العامل الأمريكي بحلول عام 1960 أعلى مستوى من جودة المعيشة في العالم ، وكل هذا بفضل ما أطلق عليه بند "البلد الأكثر تفضيلا" في كل الصفقات التجارية مع الشرق . ولم تعد الولاياتُ المتحدةِ محتلة لليابان ، لكنها لم تحتل الصين قط ، ورغم هذا فإن الحقيقة التي لا تُناقش : كانتون وطوكيو وشنغهاي لم يشتروا من بريطانيا بل اشتروا من أمريكا . وفي كل عملية بيع ، كان العامل في بالتيمور ولوس أنجلوس وأتلانتا يحقق ربحا أفضل .

وبدا الأمر للمخططين أن رجال الرؤية في البيت الأبيض قد حققوا هدفهم تقريبا . ستحلق السفن الصاروخية المستكشفة قريبا بحذر باتجاه الفضاء منطلقة من عالم رأى أخيرا نهاية لمآسيه القديمة : الجوع ، والطاعون ، والحرب ، والجهل . وجلبت تدابير المساواة بحق المجتمع والتقدم الاقتصادي في الإمبراطورية البريطانية راحة متماثلة للمجاميع السكانية في الهند ، وبورما ، وإفريقيا وآسيا الشرق الأوسط . وتدفقت كل مصانع روهر ، ومانشستر ، وسآر ، ونفط باكو ، وتفاعلت بانسجام معقد لكنه فعّال ؛ تنعمَّ سكّان أوربا بما ظهر- .

’أعتقد أنهم يجب أن يكونوا الحكّام‘. قالت جوليانا متوقفة ’لقد كانوا الأفضل دائما- البريطانيون‘.
لم ينبس جو ببنت شفة حول ذلك، مع أنها كانت تنتظر. واستأنفت القراءة في الأخير.

... تحقيق رؤية نابليون : التماثل المعقول للسلالات العرقية المتنوعة التي تنازعت وبلقَنت أوروبا منذ دمار روما . ورؤية تشارليمانج أيضا : الديانة المسيحية الموحدة ، وفي سلام كلي لا مع نفسها فقط بل وتوازن مع العالم . وعلى الرغم من هذا فما يزال هناك قَرْح مؤذٍ واحد .

سنغافورة .

تشكل دول الملايو كتلة سكانية صينية كبيرة ، ولا سيما طبقة رجال الأعمال المغامرة ، ورأت هذه الطبقة البرجوازية الصناعية المزدهرة في الإدارة الأمريكية للصين أعدلَ معاملة مما كان يُسمى بـ"المحلي" . استُبعدت الأعراق السمراء في ظل الحكم البريطاني من أندية البلاد ، وفنادقها ، ومطاعمها الراقية ، وألفوا أنفسهم في أوقات عصبية اقتصرت فيها مشاركتهم لقطاعات النقل بالقطار والحافلة -وربما الأسوأ من كل هذا- محدودية اختيارهم لمناطق سكناهم داخل المدينة . أدرك هؤلاء "المحليون" ، وأدرجوا في قائمة نقاشاتهم وصحفهم بأن مشكلة لون البشرة في الولايات المتحدة قد حُلت بحلول عام 1950 . عاش الزنوج والبيض وعملوا وأكلوا كتفا إلى كتف ، حتى في أقصى الجنوب فقد أنهت الحرب العالمية الثانية التمييز . . .

’هل هناك مشكلة‘ سألت جوليانا جو.
نخر مطرقا بصره على الطريق.
’أخبرني ماذا حدث‘. قالت ’أعلم أني لن أستطيع أن أنهيه؛ سنكون في دنفر قريبا جدا. هل دخلت أمريكا وبريطانيا الحرب، وبرزت إحداهما حاكمةً للعالم؟‘.

قال جو في الحال ’ ليس بكتاب سيئ في بعض مواضيعه. لقد بيّن كل التفاصيل. حازت الولايات المتحدة على المحيط الهادئ، بطريقة تشبه عملنا في إقليم شرق آسيا للازدهار المشترك. قسّموا روسيا. استغرق الأمر قرابة عشر سنوات، وكان هناك عائق- بطبيعة الحال‘.

’لماذا بطبيعة الحال؟‘.

’الطبيعة البشرية‘. أضاف جو ’طبيعة الدولة. الشكوكية، والخوف، والطمع. يعتقد تشرتشل أن أمريكا تقوض الحكم البريطاني في جنوب آسيا عبر جذب المجاميع السكانية الصينية الكبيرة، الذين هم بطبيعة الحال تابعون سابقون للولايات المتحدة الأمريكية بفضل تشيانغ كاي-شيك. وبدأ البريطانيون بإعداد‘ -ابتسم لها باقتضاب- ’ما أسموه "مقرات الاعتقالات" بكلمات أخرى مخيمات تجميع لآلاف ممن يُشك بخيانتهم للصين، واتهموا بالتخريب والتشويه الإعلامي. ولذلك تشرتشل-‘.

’تقصد أنه ما يزال في السلطة؟ ألم يبلغ التسعين من العمر؟‘.

قال جو ’بفضل هذا تفوق النظام البريطاني على نظيره الأمريكي. تزيح أمريكا قادتها كل ثماني سنوات، بغض النظر عن مؤهلاته- لكنَّ تشرتشل بقي مستمرا. لا تمتلك الولايات المتحدة قيادة مثله بعد توغويل. التافهون فقط. وكلما تقدم به العمر، أصبح أكثر استبدادا وصلابة - أقصد تشرتشل. حتى حلول عام 1960، كان يشبه بعض أمراء الحرب الكبار الخارجين من وسط آسيا ولم يعترضه أحد. لقد كان في السلطة عشرين عاما‘.

’يا إلهي‘. قالت جوليانا، وفتحت الجزء الأخير من الكتاب باحثة عما يؤكد صحة ما يقوله جو.

’في هذا أوافقه‘ قال جو ’كان تشرتشل واحدا من القادة العظام التي حظيت بهم بريطانيا أثناء الحرب، لو أنهم أبقوه لكان حالهم أفضل. سأخبرك بشيء: الدولة ليست أفضل من قائدها. *Fuhrerprinzip*- مبادئ القيادة، كما يقول النازيون. إنهم محقون. حتى أبندسن ذاك عليه مواجهة هذا. بالتأكيد قد توسعت الولايات المتحدة اقتصاديا بعد انتصارها في الحرب على اليابان لأنهم حصلوا على سوق ضخم في آسيا التي انتزعوها من اليابانيين. لكنَّ هذا ليس كافيا لأنهم لم يحصلوا على الروحانية، تلك التي يمتلكها البريطانيون.

كلا البلدين بلوتوقراطي، وتحكمه طبقة الأثرياء. لو أنهم انتصروا في الحرب كل ما سيفكرون به هو جني مال أكثر، تلك الطبقة المخملية. وأبندسن مخطئ، لن يكون هناك إصلاحات اجتماعية ولا خطط الأعمال الخيرية العامة- البلوتوقراطيون الأنغلوسكسونيون لن يسمحوا بذلك'.

يتحدث مثل فاشي متعصب، فكّرت جوليانا.

بدا واضحا أن جو خمّن من تعابيرها ما كانت تفكر به، التفت إليها مبطئا من سرعة السيارة، عين عليها والأخرى على الطريق قُبالته. 'انصتي، لستُ مفكرا- الفاشية ليست بحاجة لذلك. ما احتاجته هو الفعل. النظرية تُستلخص من الحدث. وما تطالب به دولتنا التعاونية هو إدراكنا الكامل للقوى الاجتماعية- للتاريخ. أتفهمين؟ أوكد لكِ هذا فأنا أعلم يا جوليانا'. نبرة صوته كانت جدية وشبه متضرعة 'تلك الإمبراطوريات القذرة اللاهثة خلف المال، بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، وعلى الرغم من أن الأخيرة في الواقع نوع من بُرعم عَرَضي لقيط، ليست إمبراطورية بالمعنى الدقيق لكنها مع ذلك مادية- التوجه. ليس لديهم روحٌ، وبطبيعة الحال ولا مستقبل، ولا نمو. والنازيون عُصبة من قطّاع الطرق، أتفق مع هذا. أتوافقين؟ أليس كذلك؟'.

اضطرت للابتسام. أساليبه الإيطالية طغت عليه في محاولته أن يقود ويدبج كلامه في ذات الوقت.

'يتحدث أبندسن كما لو أن القضية الكبرى هي في خروج أي البلدين -بريطانيا أو الولايات المتحدة- منتصرا في النهاية. هراء! ليس في هذا مزية، ولا أساس من التاريخ. الأمر سيان سواء انتصر هذا أو ذاك. هل سبق لك وقرأتِ ما كتبه القائد؟ مُلهِم. رجل جميل. كتابة جميلة. يشرح الحقيقة الكامنة في كل حدث. القضية الحقة في الحرب كانت: القديم مقابل

الجديد. المال -لأجله جرَّ النازيون اليهود للاستجواب بشكل خاطئ- مقابل روح مجتمع مشترك، الذي يطلق النازيون عليه Gemeinschaft*- الشعب. مثل السوفييت. شعب واحد. صحيح؟ تمكن الاشتراكيون وحدهم من التسلل إلى

---

* قسّم عالم الاجتماعي الألماني فرديناند تونيز المجتمع إلى نوعين المجتمع الواحد Gemeinschaft وتقابلها في الإنجليزية كلمة Community: مجموعة من السكان تربطهم أحكام وقيم ومعتقدات واحدة، والمجتمع المتعدد Gesellschaft وتقابلها في الإنجليزية كلمة Society: مجموعة من السكان تجمعهم منطقة جغرافية أو استيطانية وتطلعات ثقافية مهيمنة وخاضعة لسلطة سياسية.

طموحات الإمبراطورية العظمى للسلافي الوحدوي بيتر والمضي معها جنبا إلى جنب، وقاموا بإصلاحات اجتماعية لأجل الطموحات التوسعية.
مثلما فعل موسوليني بالضبط، فكّرت جوليانا.
’وحشية النازيين مأساة‘. تلكأ جو مع تجاوز شاحنة تسير ببطء. ’لكنَّ التغيير دائما ما يكون
قاسيا على الخاسر. لا شيء جديد. انظري إلى الثورات السابقة كالثورة الفرنسية أو ما فعله كرومويل بحق الإيرلنديين. فلسفة مبالغة في الطبع الجرماني، ومبالغة في الأداء، أيضا. من بين كل هذه التجمعات، لن تجدي أبدا فاشيا حقيقيا يتكلم، فقط يعمل- مثلي. صحيح؟‘.
قالت جوليانا ضاحكة ’رباه، تتكلم بسرعة ميل في الدقيقة‘. صرخ منفعلا ’أنا أوضح النظرية الفاشية للحدث‘. لم تستطع الرد فقد كان مضحكا جدا.
لكن الرجل بجوارها لم يعتقد أن الأمر كان مضحكا وحملق ساخطا فيها، واحمرَّ وجهه، وانتفخت العروق في جبهته وبدأ بعدها يرتعش. ثم مرَّرَ أصابعه على طول فروة رأسه، ذهابا وإيابا، لم يتحدث؛ حملق فيها فقط.
’لا تحنق عليَّ‘ قالت.
للحظة فكّرت أنه سيضربها، أعاد يده... لكنه نخرَ، ومد يده ورفع صوت مذياع السيارة. وانطلقا. كانت موسيقى الفرقة العازفة في المذياع- هادئة. وحاولت جوليانا مرة أخرى التركيز في الكتاب.
’أنتِ محقة‘ قال جو بعد وقت طويل.
’بشأن ماذا؟‘.
’الإمبراطورية التافهة. المهرج يؤدي دور القائد. لا عجب فقد خرجنا بيد فارغة من الحرب‘.
ربتت على ذراعه.
’جوليانا. كل شيء معتم‘. قال جو ’لا شيء حقيقي أو موثوق. أليس كذلك؟‘.
’ربما كذلك‘ قالت بذهول. واستمرت في محاولة القراءة.
’بريطانيا تربح‘ قال جو مشيرا إلى الكتاب ’سأكفيك من عناء ذلك. تتضاءل الولايات المتحدة، وتبقى بريطانيا واخزة ولاكزة ومتمددة، وتحافظ على المبادرة. لذا ضعيه جانبا‘.

’آمل أن نستمتع في دنفر‘ قالت مغلقة الكتاب ’أنت بحاجة لراحة، وأنا أريدك أن ترتاح‘. إذا لم تفعل، فكّرت، فسوف تتشظى إلى مليون قطعة مثل انبثاق الربيع. وما الذي سيحدث لي حينها؟ كيف سأرجع؟ و- هل أتركك فحسب؟ أريد الأوقات الطيبة التي وعدتني إياها، فكّرت. لا أريد أن أُخدع، لقد خُدعت كثيرا في حياتي فيما مضى، من قبل عديد الأشخاص.

’سنحظى بالمتعة‘ قال جو ’انصتي‘ متفحصا إياها بنظرة غريبة سابرة غورها ’تأخذين. هذا الكتاب على محمل الجد. كثيرا. أتساءل- هل. تفترضين أن رجلا يكتب كتبا تتصدر قوائم البيع، مؤلف مثل أبندسن... هل يكتب الناس الرسائل إليه؟ أراهن بالكثير على أن الناس يثنون على كتابه عبر مراسلتهم إياه، وربما حتى بزيارته‘.

وأدركت مقصده في الحال ’جو- إنها فقط مئة ميل أخرى!‘. أشرقت عيناه، وابتسم لها سعيدا مجددا، لا متجهما ولا منزعجا.

’نستطيع فعلها' قالت ’أنت تقود بشكل رائع- لن يستغرق الطريق كثيرا للذهاب إليه هناك، أليس كذلك؟‘.

قال جو ببطء ’حسنا، أشك بأن رجلا مشهورا يسمح للزوار بالتوافد عليه. ربما هناك الكثير من الزوار‘.

’لمَ لا تحاول يا جو-‘ قبضت على كتفه وشدته بحماس ’كل ما يمكنه فعله هو طردنا، رجاءً‘.

قال عن سبق إصرار ’عندما نذهب للتسوق ونشتري ملابس جديدة ونتأنق... مهم لترك انطباعٍ جيد. وربما نستأجر سيارة جديدة في مدينة تشيني. أراهن أن بإمكانكِ فعلها‘.

’نعم‘ قالت جوليانا ’وأنت بحاجة إلى قصة شعر. ودعني أختار لك ملابسك، رجاء جو. اعتدت أن أختار ملابس فرانك فالرجل لا يمكنه أبدا أن يختار ملابسه بنفسه‘.

’تملكين ذوقا جميلا في الملابس‘ قال جو، والتفت مجددا نحو الطريق تجاهه، محدقا بتجهّم. ’من جهة أخرى أيضا، الأفضل لو أنكِ تتصلين به أو تتواصلين معه‘.

’سأهتم بتصفيف شعري‘. قالت.

’جيد‘.

’لستُ خائفة مطلقا من المضي وقرع الجرس‘ قالت جوليانا ’أعني، تعيش لمرة فقط.
لماذا يجب أن نكون خائفين، إنه إنسان مثلنا فحسب. في الحقيقة، ربما سيكون مسرورا بمعرفة أن شخصا قطع كل المسافة البعيدة ليخبره عن مدى إعجابه الشديد بكتابه فحسب. وبإمكاننا الحصول على توقيعه شخصي على الكتاب، بداخله حيث يقومون به. أليس كذلك؟ من الأفضل أن نشتري نسخة جديدة فهذه النسخة ملطّخة بالكامل. لن تبدو بمظهر مناسب‘.
’أيٌّ ما ترغبين به‘ قال جو ’سأترك لك كل التفاصيل؛ أعرف أن بمقدورك فعلها. الفتاة الجميلة تنال الجميع، عندما يرى أي فاتنة أنتِ سيفتح الباب على مصراعيه. لكن اسمعي: لا تصرفات طائشة‘.
’ما الذي تعنيه؟‘.
’قولي إننا متزوجان. لا أريدك أن تتورطي معه- تعلمين. سيبدو ذلك مريعا. يحطم وجود كل شخص؛ بعضهم يفعلها مكافئةً له لأنه سمح للزوار بالدخول، نوع من السخرية. لذا انتبهي جوليانا‘.
’بإمكانك أن تناقشه‘ قالت جوليانا ’ذاك الجزء المتعلق بخسارة إيطاليا الحرب عبر خيانتها المحور. أخبره بكل ما أخبرتني به‘.
أومأ جو ’سيكون هذا. بمقدورنا مناقشة الموضوع بأكمله‘.
وانطلقا بالسيارة مسرعين.
***
نهض السيد تاغومي من فراشه في صباح اليوم التالي عند الساعة السابعة صباحا بتوقيت الولايات المحيط الهادئ الأمريكية، واتجه نحو الحمام ثم غيّر رأيه واتجه مباشرة نحو المُستخار.
قعد القرفصاء على أرضية غرفة المعيشة وبدأ يتلاعب بأعواد اليارو التسعة والأربعين. كان لديه إحساس عميق بالضرورة الملحة لتساؤله، وعمل بسرعة محمومة حتى حصل في النهاية على ستة خطوط قُبالته.
الصدمة! السداسية الحادية والخمسون!
يظهر الإله في رمز الإثارة. الرعد والبرق. أصوات- وضع أصابعه على أذنيه لا إراديا ليغطيهما.
ها-ها! هو-هو

دوي عظيم جعله يجفل ويرمش
سحلية تهرع ونمر يزمخر
وينبثق الإله نفسه!

ماذا يعني هذا؟ نظر حواليه في الغرفة. وصول لـ- ماذا؟ وثب على قدميه ووقف لاهثا، ومنتظرا.
لا شيء. خفقان القلب. التنفس وكل العمليات الجسدية من بينها كل حالة من الاستجابة اللا إرداية للدماغ البيني المسيطر تجاه النوبات: الأدرينالين، وأقصى نبضات القلب، ونسبة النبض، وغدد فارزة، وحنجرة مشلولة، وعينان محدقتان، وأمعاء مرتخية، إلخ. ومعدة غاثية، والرغبة الجنسية المكبوتة.
على الرغم من هذا، لا يرى شيئا، لا شيء يمكن للجسد فعله. أركض؟ كل شيء مهيأ لرحلة داعية للذعر. لكن إلى أين ولماذا؟ سأل السيد تاغومي نفسه. لا دليل، لذلك مستحيل. معضلة الإنسان المتحضر: جسد متحرك لكن خطر مجهول.
ذهب إلى الحمام وبدأ بترغية وجهه ليحلقه.
رنَّ الهاتف.
’الصدمة‘ صرخ، وأنزل شفرة الحلاقة ’كن مستعدا‘ ومشى بسرعة خارجا من الحمام وعاد إلى غرفة المعيشة. ’أنا مستعد‘. قال ورفع المُستَقبِل. ’تاغومي، معك‘. كان في صوته صرير، تنحنح لينقي حنجرته. وقفة، ثُمَّ صوت خافت، وجاف، وحفيفي، يشبه تقريبا سقوط أوراق شجر هرم بعيدا، قال ’سيدي، معك شينجيرو ياتابي. لقد وصلت إلى سان فرانسيسكو‘.
’تحيات المكتب الأعلى للبعثة التجارية‘ قال السيد تاغومي وأضاف ’ما أسعدني. هل أنت بتمام الصحة والعافية؟‘.
’نعم، سيد تاغومي. متى أستطيع مقابلتك؟‘.
’قريبا جدا. في غضون نصف ساعة‘ وحدق السيد تاغومي إلى ساعة الحمام محاولا قراءة الوقت. ’الطرف الثالث: السيد باينز. يجب أن أتصل به. ربما تأخر، لكن-‘.
’هل نقول في غضون ساعتين، سيدي؟‘ قال السيد ياتابي.
’نعم‘ أجاب السيد تاغومي مذعنا.
’في مكتبك في بناية نيبون تايمز‘.

أذعن السيد تاغومي مرة أخرى.
تكة. أغلق السيد ياتابي الهاتف.
سيبتهج السيد باينز، فكر تاغومي. بهجة قطة رُميت إليها قطعة سلمون، مثل الذنب الشهي
الممتلئ بالدهن. أوصل الكابل الهاتف، واتصل بعجالة على فندق أبهيراتي.
’زالت المحنة‘ قال عندما أتاه صوت السيد باينز الناعس من الخط.
تلاشت النبرة الناعسة من الصوت فورا ’إنه هنا؟‘.
’في مكتبي‘ قال السيد تاغومي ’العاشرة وعشرون دقيقة‘ وأنهى الاتصال وعاد إلى الحمام لينهي حلاقته. لا وقت للفطور، ربما بإمكاننا نحن الثلاثة رفقة السيد رامزي بعد وصوله إلى المكتب أن ندلل أنفسنا- خطط في عقله حين حَلَق لحيته- بفطور رائع للجميع.
وقف السيد باينز عند الهاتف مرتديا بيجامته حاكا جبته ومفكرا. عار، لقد أخطأت بتواصلي مع العميل، لو أني انتظرت يوما واحدا بعد...
لكن من المحتمل أن ضررا لم يقع. وعلى الرغم من هذا فمن المفترض عليه أن يعود إلى القسم التجاري اليوم. لأفترض أني لم أذهب؟ قد يجر هذا سلسلة من ردود الفعل، سيعتقدون بأني قتلت أو حدث شيء لي، لتتبعها محاولة تقفي أثري.
ليس للأمر أهمية ما دام إنه هنا، أخيرا. انتهى الانتظار. هرع السيد باينز نحو الحمام وحضّر نفسه للحلاقة. ليس لدي أدنى شك بأن السيد تاغومي سيتعرف عليه في اللحظة التي يلتقيه فيها. جزم هذا. بإمكاننا أن نكشف عن "السيد ياتابي" الآن. في الحقيقة بإمكاننا أن نزيل كل الأغطية، وكل الانتحالات.
وثب السيد باينز إلى الدوش في اللحظة التي أنهى فيها حلاقته، وغنّى بصوت ملأ رئتيه عندما بدأ هدير الماء يعلو من حوله:

Wer reitet so spat,
Durch Nacht und Wind?
Es ist der Vater
Mit seinem Kind*

من المحتمل أن الأوان قد فات على جهاز الأمن النازي لفعل أي شيء الآن، فكّر، حتى لو كشفوا الأمر. لذا ربما بمقدوري أن أتوقف عن القلق، في الأقل هذا القلق الذي لا يذكر. القلق المتناهي هو ما يخص بشرتي تحديدا.
لكن بالنسبة لبقية الأمور- لقد بدأنا للتو.

---

* من يمتطي في آخر الليل
عبر الظلمة والريح؟
إنه الأب وابنه (مطلع قصيدة ليوهان فون غوته).

11

كان أول الأعمال الخاصة في هذا اليوم لقنصل الرايخ في سان فرانسيسكو، فرايهير هوغو ريس- مقلقا وغير متوقع، فقد وجد عندما وصل إلى مكتبه زائرا في انتظاره سلفا، ضخما، وذا فك عريض، في أواسط العمر ببشرة بَثِرة وتقطيبة مستنكرة جمعت حاجبيه الأسودين المتشابكين. نهض الرجل وأدى تحية الحزب وغمغم بذات الوقت 'يحيا'.
قال ريس 'يحيا' وتأوه بداخله، لكنه حافظ على ابتسامة العمل الرسمية. 'سيد كروز فوم ميري. أنا متفاجئ. ألن تدخل؟' فتح المكتب الداخلي، متسائلا أين كان مساعده، ومن سمح لرئيس جهاز الأمن المحلي بالدخول. على أي حال، الرجل هنا، ولا يوجد ما يمكن فعله.
قال كروز فوم ميري سائرا خلفه ويديه في جيبي معطفه الصوفي الأسود 'انصتْ فرايهير. لقد عرفنا مكان رجل آبفير، رودولف فيجينير ذاك. ظهر في موقع قديم لآبفير نراقبه'. ضحك كروز فوم ميري ضحكة خافتة مظهرا سنا ذهبية ضخمة 'تعقبناه عائدا إلى فندقه'.
'جيد' قال ريس، ملاحظا البريد على مكتبه. إذن فإن بفيرديهوف كان هنا في مكان ما. بلا شك قد ترك المكتب مغلقا ليبعد رئيس جهاز الأمن عن أي تطفل غير رسمي.
'هذا مهم' قال كروز فوم ميري 'أعلمت كالتين برونير بشأنه. أولوية قصوى. من المحتمل أنك ستتلقى كلمة من برلين في أي لحظة الآن ما لم تعد هذه النفايات إلى الوطن وتخلط الأمور جميعا. قعد خلف مكتب القنصل وأخذ رزمة مطوية من الأوراق من جيب معطفه، وفكَّ الأوراق بمشقة وتحركت شفتاه 'الاسم الحركي باينز. يتظاهر بأنه صاحب مصنع سويدي أو بائع أو شيء مرتبط بالتصنيع. تلقى اتصالا هذا الصباح عند الثامنة وعشر دقائق من مسؤول ياباني بخصوص مقابلة عند العاشرة وعشرين دقيقة في مكتب الياباني. نحاول حاليا تعقب الاتصال. من المحتمل أن نصل إلى الطرف الآخر في غضون نصف ساعة. سيُعلمونني هنا'.
'فهمت'. قال ريس.
'الآن، قد نعتقل هذا الرجل' استمر كروز فوم ميري 'وإذا فعلناها، سنرسله إلى الرايخ بطبيعة الحال على متن الرحلة القادمة لطيران لوفتهانزا. قد يحتج

اليابانيون أو حكومة ساكرامنتو ويحاولون أن يبطلوا العملية. وسيحتجون عندك إذا فعلوها. في الحقيقة قد يضغطون بشدة عليك لترضخ، وسيرسلون ناقلة من رجال توكوكا الأشداء إلى المطار'.

'ألا يمكنك أن تبعدهم عن اكتشاف هذا؟'.

'تأخرنا كثيرا. إنه في طريقه إلى المقابلة. ربما يتوجب علينا أن نعتقله من هناك في تلك البقعة. ندخل، نلقي القبض عليه، نخرج'.

'لا يعجبني هذا' قال ريس 'افترض أن مقابلته مع ضباط يابانيين ذوي مراكز رفيعة جدا؟'. قد يكون هناك ممثل الإمبراطور الشخصي في سان فرانسيسكو، في هذا الوقت. سمعت إشاعة منذ أيام-'.

قاطعه كروز فوم ميري 'ليس مهما. إنه مواطن ألماني ويخضع لقانون الرايخ'.

ونحن نعرف ما هو قانون الرايخ، فكّر ريس.

'لدي فرقة قوات خاصة مستعدة' انطلق كروز فوم ميري 'خمسة رجال أشداء' وضحك ضحكة خافتة 'يبدون مثل عازفي الكمان. وجوه جميلة زاهدة، وعطوفة، ربما مثل دارسي اللاهوت. سيدخلون وسيظنهم اليابانيون طاقما رباعيا*-'.

'خماسي' قال ريس.

'نعم، سيمشون باتجاه الباب- يرتدون الملابس المناسبة'. وتفحص القنصل 'مثلك إلى حد كبير'.

شكرا لك، قال لنفسه.

'على مرأى الجميع. في وضح النهار. يصعدون إلى هذا فيجينير. يحيطون به. يبدو أنه ممنوح شيئا ما. رسالة عالية الأهمية'. وتحدث كروز فوم ميري برتابة في حين بدأ القنصل بفتح بريده. 'لا حاجة للعنف "سيد فيجينير تعال معنا رجاءً، مفهوم" وعند أدنى حركة غريبة من فقرات عموده الفقري. ضربة. تُشلُّ العقد العصبية العليا'.

أومأ ريس.

'هل تنصت؟'.

'Ganz bestimmt'**

---

* مجموعة من أربعة أشخاص يعزفون معا في الفرقة الموسيقية.

** بالتأكيد.

’ثم يخرجون مجددا إلى السيارة، ويعودون إلى مكتبي. يقوم اليابانيون بالكثير من الجلبة، لكن بكياسة حتى النهاية‘.
تحرك كروز فوم ميري بتثاقل من خلف المكتب ليؤدي الانحناء الياباني ’"مبتذل جدا أن تخدعنا سيد كروز فوم ميري، على أي حال، وداعا، سيد فيجينير-"‘
’باينز‘ قال ريس ’أليس هذا اسمه الحركي؟‘.
’باينز "نتأسف جدا لرؤيتك تغادر. سيكون هناك وقت أوفر للحديث المرة القادمة"‘.
رن هاتف مكتب ريس، أوقف كروز فوم ميري تمثيله ’ربما هذا لي‘ وهمَّ أن يجيبه لكن ريس خطا باتجاهه وأجاب بنفسه.
’ريس معك‘.
قال صوت غير مألوف ’القنصل، هذا مكتب الاتصالات الخارجية في نوفا سكوتيا.
لديك مكالمة هاتفية عاجلة عابرة للأطلسي من برلين‘.
’حسنا‘ قال ريس.
’لحظة واحدة أيها القنصل‘. سكون خافت، وخشخشة ثم صوت عاملة هاتف أخرى ’مكتب المستشار‘.
’نعم، هذا مكتب الاتصالات الخارجية في نوفا سكوتيا. اتصال لقنصل الرايخ هـ. ريس، سان فرانسيسكو، القنصل على الخط‘.
’انتظر‘ وقفة طويلة، استمر خلالها ريس يفحص بريده بيد واحدة. راقب كروز فوم ميري بإهمال. ’سيادة القنصل، متأسف لأخذي من وقتك‘ صوت رجل. توقف تدفق الدم للحظة في عروق ريس. جَهْوَري، ومهذب، ومطروق بسلاسة ومألوف لريس ’معك الدكتور غوبلز‘.
’نعم سعادة المستشار‘. وابتسم ببطء كروز فوم ميري قُبالة ريس، وأوقف الفك المرخي عن التدلي.
’طلب مني الجنرال هيدريش أن أتصل بك. هناك عميل للآبفير في سان فرانسيسكو. اسمه رودولف فيجينير. وعليك التعاون الكامل مع الشرطة المختصة به. ليس هناك وقت للإدلاء بالتفاصيل. ببساطة ضع مكتبك تحت إمرتهم. شكرا جزيلا لك‘.
’أعي هذا سيدي المستشار‘ قال ريس.

’طاب يومك سعادة القنصل‘ وأغلق مستشار الرايخ الهاتف.
راقب كروز فوم ميري باهتمام عندما وضع ريس سماعة الهاتف.
’كنتُ محقا؟‘.
’بلا ريب‘.
’حرر لي تخويلا لإعادة فيجينير هذا بالقوة إلى ألمانيا‘.
التقط قلمه وحرر التخويل ووقع عليه وسلمه إلى رئيس جهاز الأمن.
’شكرا لك‘ قال كروز فوم ميري. ’الآن، عندما يتصل بك اليابانيون ويشتكون-‘.
’إذا فعلوا‘.
نظر كروز فوم ميري إليه ’سيفعلون. سيكونون هنا في غضون خمس عشرة دقيقة من وقت اعتقالنا فيجينير هذا‘. ترك مزاحه وأسلوبه التهريجي.
’من دون طاقم عازفي الكمان الرباعي‘. قال ريس.
لم يرد عليه كروز فوم ميري ’سنأخذه في وقت ما هذا الصباح، كن مستعدا. بإمكانك أن تخبر اليابانيين أنه منتكس نوعيا أو ينتحل شخصية مزيفة أو شيء من هذا القبيل.
مطلوب إعادته إلى الوطن بسبب جريمة كبيرة. لا تخبرهم أنه مطلوب لجرائم سياسية. تعلم أنهم لا يميزون تسعين بالمئة من القانون الاجتماعي الوطني‘.
’أعلم هذا‘ قال ريس ’أعلم ماذا أفعل‘. وشعر بأنه على وشك الانفعال. تجري الأمور من فوق رأسي، قال لنفسه. كالعادة يتواصلون مع مكتب المستشار. أبناء السفاح.
كانت يداه ترتجفان. مكالمة من الدكتور غوبلز؛ هل انقضى الأمر؟ مرعوب من ذي السلطة؟ أو إنه الامتعاض، شعوري بأني مقيد... اللعنة على هذه الشرطة، فكّر. يصبحون الأقوى دائما. جعلوا غوبلز يعمل لصالحهم، إنهم يديرون الرايخ. لكن ما الذي يمكنني فعله؟ ما الذي يمكن لأي شخص فعله؟
باستسلام فكر، من الأفضل التعاون. لا وقت للوقوف في الجانب الخطأ لهذا الرجل، قد يكون بمقدوره إعادة أي كان إلى الوطن، وربما يقيل كل شخص يعاديه.
’بمقدوري أن أرى‘ قال بصوت عالٍ ’أنك لم تبالغ في تقدير أهمية هذه المسألة، سعادة شرطي الفوهرر. من الواضح إن شرطة ألمانيا بنفسها تتشبث بتحرِّيك

السريع عن هذا الجاسوس أو الخائن أو أي كان'. وانكمش داخليا عندما سمع اختياره للكلمات.
علي أي حال، فقد بدا كروز فوم ميري سعيدا 'شكرا لك أيها القنصل'.
'لقد أنقذتنا جميعا'.
'قال كروز فوم ميري بتجهم 'حسنا، لم نعتقله بعد، دعنا ننتظر هذا، أرجو أن تصل تلك المكالمة'.
'سأتعامل مع اليابانيين' قال ريس 'لدي خبرة جيدة في التعامل، كما تعلم شكاويهم-'.
'لا تهذي' قاطعه كروز فوم ميري 'علي أن أفكر'. من الجلي إن مكالمة مكتب المستشار قد أزعجته هو الآخر، وشعرَ هو أيضا بأنه تحت الضغط الآن.
من المحتمل أن يهرب الرجل وسيكلفك هذا وظيفتك، فكر القنصل هوغو ريس. وظيفتي، ووظيفتك- قد نجد نفسينا في الشارع في أي وقت، ولا تمتاز عني بأي حماية إضافية.
في الواقع، فكّر ريس، قد يبدو من الجدير رؤية كيف بإمكان تلكؤ قليل محتمل هنا وهناك أن يعرقل نشاطاتك، سعادة شرطي الفوهرر. عارض سلبي لا يمكن التهرب منه أبدا. على سبيل المثال، حين يدخل اليابانيون هنا ويشتكون، قد ألمح لهم عن رحلة طيران لوفتهانزا جُرَّ على متنها هذا الرجل... أو فيما عدا ذلك، أو ألدغهم ليثار غضبهم بعض الشيء، أقول بمسحة ابتسامة محتقِرة- مشيرا بأن الرايخ متلّهٍ بهم قال لا تأخذ الرجال الصفر القصيرين على محمل الجد. من السهل إثارتهم، وإذا غضبوا تماما، قد يتجهون مباشرة إلى غوبلز.
كل الاحتمالات واردة. لا يمكن لجهاز الأمن إخراج هذا الرجل من ولايات المحيط الهادئ الأمريكية بدون معاونتي الفعّالة، إن كان بإمكاني الضرب على الوتر الصحيح...
أكره الناس الذين يديرون الأمور من فوق رأسي، قال فرايهير ريس لنفسه. تجعلني غير مرتاح بشكل جنوني. تجعلني متوترا جدا فلا أستطيع النوم، وحين لا أستطيع النوم لا يمكنني القيام بعملي، لذا أنا مدين لألمانيا بتصحيح هذه المشكلة. سأكون مرتاحا أكثر ليلا ونهارا لأجل هذه القضية لو أن قاطع الطريق البافاري الوضيع هذا يعود إلى الوطن ويكتب التقارير داخل مركز شرطة في منطقة نائية ما.

المشكلة هي ليس هنالك وقت في حين أحاول أن أقرر كيف-
رنَّ الهاتف.
مدَّ كروز فوم ميري يده هذه المرة ولم يعترض القنصل طريقه. ’مرحبا‘ قال كروز فوم ميري عبر المُستَقبِل. لحظة صمت حين كان يستمع.
هل تمَّ؟ فكر ريس.
لكن رئيس جهاز الأمن أعطاه الهاتف ’الاتصال لكَ‘. أخذ ريس الهاتف شاعرا بالاسترخاء والراحة سرا.
’إنه معلم مدرسة ما‘ قال كروز فوم ميري ’يريد أن يعرف إن كان بإمكانك أن تمنحهم ملصقات تصويرية لمدينة فيينا لفصلهم الدراسي.
***

أغلق روبرت تشيلدان متجره قرابة الحادية عشرة صباحا، وخرج يمشي باتجاه مكتب باول كاسورا التجاري.
لحسن الحظ لم يكن باول مشغولا. حيّا تشيلدان بأدب وقدم له الشاي.
’لن أضايقك طويلا‘ قال تشيلدان بعد أن بدآ يرتشفان الشاي. كان مكتب باول عصريا ومفروشا ببساطة على الرغم من صغره. وعُلقت على الجدار لوحة بديعة: نمر موكي*، تحفة فنية تعود إلى أواخر القرن الثالث عشر.
’أنا سعيد برؤيتك دائما، روبرت‘ قال باول بنبرة حملت -فكّر تشيلدان- ربما مسحة تحفظ.
أو ربما هذا كان في مخيلته. نظر تشيلدان باحتراس إلى كوب شايه. بدا الرجل بلا شك ودودا، وأحس تشيلدان بعدها بتغيّر.
’زوجتك‘ قال تشيلدان ’خاب أملها من. هديتي البسيطة. ربما أهنتها غير إنه. لا يوجد تقييم أصلي أو نهائي للشيء الجديد وغير المجرب -كما وضحتُ لك عندما قدمتها إليك- في الأقل ليس على يد شخص في نهاية أعماله تماما. بالتأكيد أنت وبيتي بموقع أفضل مني للحكم عليها‘.
قال باول ’لم تشعر بخيبة أمل يا روبرت. لم أعطها قطعة المجوهرات‘. ومدَّ يده إلى جرار مكتبه وأخرج العلبة البيضاء الصغيرة ’لم تغادر المكتب‘.

---
* Mokkei Tiger

لقد عرف، فكر تشيلدان. رجل حاذق. لم يخبرها حتى، هذا ما حدث. والآن، أدرك تشيلدان،
لنأمل ألا يحتدَّ عليَّ، بتهمة محاولتي إغواء زوجته. بإمكانه أن يدمرني، قال تشيلدان لنفسه. استمر بشرب شايه بحذر وبوجه رائق.
’أوه؟‘ قال متلطفا في التعبير ’مثير للاهتمام‘.
فتح باول العلبة وأخرج دبوسا وبدأ بتفحصه. حمله باتجاه الضوء وقلّبه يمنة ويسرة.
’سمحت لنفسي بعرضه على عدد من معارف العمل‘ قال باول ’أفراد أشاركهم ذوقي بالقطع الأمريكية التاريخية أو التحف الفنية العامة، والقيمة الجمالية‘. نظر إلى روبرت تشيلدان ’لم يرَ أيٌّ منهم واحدة مثلها من قبل. كما وضحتَ، لا يوجد مثلها عمل معاصر معروف حتى اليوم. وأعتقد أيضا أنك أعلمتني بأنك الممثل الوحيد لهذه الأعمال‘.
’نعم، هو كذلك‘ قال تشيلدان.
’هل ترغب بمعرفة ردة فعلهم؟‘.
أومأ تشيلدان.
’ضحك هؤلاء الأشخاص‘. قال باول ’ضحكوا‘.
كان تشيلدان صامتا.
’حتى أنا ضحكت أيضا، أخفيت ضحكتي بيدي من دون أن ترى‘ قال باول ’ذلك اليوم حين ظهرت وعرضت ذلك الشيء. من أجل أن أحفظ لك برودة أعصابك، أخفيت تسليتي وأنت بلا شك لا تذكر، أبقيتُ ردة فعلي إلى حد ما غير واضحة‘.
أوما تشيلدان.
استمر باول وهو يفحص الدبوس الدبوس ’بإمكان المرء أن يدرك بسهولة ردة الفعل هذه. لدينا هنا قطعة معدن صُهرت حتى أصبحت بلا شكل. إنها لا تمثل شيئا، كما لو. أنهاها. لا تحمل أي تصميم أو طراز مقصود. إنها مجرد قطعة بلا هيئة. أو بإمكان المرء أن يقول، إنها مجرد محتوى ومسلوبة الشكل‘.
أومأ تشيلدان.
قال باول ’مع ذلك أتفحصها منذ بضعة أيام، وبدون سبب منطقي أشعر بولع عاطفي مؤكد لماذا؟ قد أتساءل. لم أفلح حتى اليوم بتحليل هذه القطعة المستديرة، كما في الاختبارات الألمانية النفسية، نفسي أنا. ما زلت لا أرى شكلا أو هيئة،

لكن فيها شيء يشترك مع التاو. أترى؟' وأشار إلى تشيلدان. 'إنها متوازنة. القوى في داخلها مستقرة. في حالة استرخاء. لذا لنقل، هذه القطعة صنعت سلامها الخاص مع الكون. انفصلت عنه ومن هنا تمكنت من الوصول إلى التوازن'.

أومأ تشيلدان، وتأمل القطعة، لكنَّ باول أفقده تركيزه 'إنها لا تملك ألـ وابي*' قال باول 'ولا يمكنها ذلك أبدا لكن-' لمس الدبوس بظُفره 'روبرت، تملك هذه القطعة وو**'.

'أعتقد أنك محق' قال تشيلدان محاولا أن يتذكر ما يعني وو، إنها ليست كلمة يابانية بل صينية. الحكمة، جزم رأيه. أو الإدراك. على أي حال، إنها شيء فائق الجودة.

'يدا هذا الصانع' قال باول 'تملك وو، وسمحت للـ وو بأن تتدفق إلى هذه القطعة. من المحتمل أنه يعرف بنفسه أن هذه القطعة مرضية وحسب. إنها كاملة روبرت. بتأملها نجني ألـ وو بأنفسنا. نجرّب الطمأنينة المرتبطة لا بالفن بل الأشياء المقدسة. أذكر ضريحا في هيروشيما بداخله عظم ساق قديس من العصور الوسطى يمكن استعراضه. المهم، هذه تحفة وذلك كان أثرا مقدسا. هذه تعيش في اللحظة الآنية في حين ذلك مجرد أثر متبقٍ.

عبر هذا التأمل الذي خضته بنفسي لمسافة عظيمة منذ أن كنتَ هنا آخر مرة، توصلت لمعرفة القيمة التي تملكها هذه على النقيض من التاريخية. لقد تأثرت تأثيرا عميقا كما ترى'.

'نعم' قال تشيلدان.

'أن لا تملك تاريخية، ولا فنية، ولا جمالية، ورغم هذا تشارك في قيمة أثيرية- هذا أمر عجائبي. وبشكل أدق بسبب كونها تافهة، وصغيرة وقطعة حقيرة المنظر؛ ذلك، روبرت، أدى إلى امتلاكها ألـ وو. في حقيقة الأمر وجِد ألـ وو بشكل معتاد في أقل الأماكن- جلالا، كما في- الحكمة المسيحية "الأحجار التي رفضها البنائون"***. يتعرّف الفرد ألـ وو في شيء قميء مثل عصا بالية أو علبة بيرة صدئة يجدها على جانب الطريق. في هذه الحالات، ألـ وو في داخل الرائي،

---

* الجمالية التراثية اليابانية.

** wu

*** إنجيل متّى 21:42.

إنها خبرة دينية. هنا، أدخل صانع ألـ وو إلى القطعة بدلا من أن يشهدَ تأصل ألـ وو فيها'. نظر إلى الأعلى 'ما أقوله واضحا؟'.
'نعم' أجاب تشيلدان.
'بكلمات أُخَر، هذه القطعة تشير إلى عالم جديد بأكلمه. الاسم الذي يطلق عليها ليس فنًا، فهي لا تملك شكلا ولا دينًا، ما هو؟ لقد تأملت هذه القطعة بلا توقف، حتى الآن لم أستطع سبر غورها. من الواضح إننا نفقد كلمة لقطعة مثل هذه. لذا فأنت مصيب، روبرت، إنها وبشكل مطلق شيء جديد على ظهر المعمورة'.
أصلية، فكّر تشيلدان. نعم، بالتأكيد إنها كذلك. لقطتُ الفكرة لكن فيما يتعلق للبقية-
'بعد التأمل في هذا الأمر' استمر باول 'استدعيت بعدها هنا معارف العمل أنفسهم. وأخذت على عاتقي أن أوصل لهم اعتراضا خاليا من الكياسة كما فعلت معك الآن. لهذا الموضوع مكانته التي تجبرك على التخلي عن الأدب، ضرورة الإيصال للمعرفة نفسها عظيمة جدا. طلبت من هؤلاء الأفراد الإنصات'.
عرف تشيلدان بأن الوضع كان لا يصدق تقريبا عندما يفرض ياباني مثل باول أفكاره على الأشخاص الآخرين.
'النتيجة' قال باول 'كانت مشجعة. كانوا قادرين على تبني وجهة نظري تحت الإكراه، لقد أدركوا ما بينته له. لذا فقد كان الأمر يستحق هذا. واسترحت عندما فعلت ذلك. لا شيء أكثر، روبرت. أنا متعب' ألقى الدبوس داخل العلبة. 'انتهت مسؤوليتي. تمت' ودفع العلبة إلى تشيلدان.
'سيدي، إنها ملكك'. قال تشيلدان شاعرا بالتردد، لم يشابه الوضع أي وضع آخر مرَّ به قط. أن يقدم هدية إلى ياباني ذي مكانة مرموقة يشيد بها إلى السماء ثم يعيدها إليه. شعر تشيلدان بأن ركبتيه ترتعشان، لم تكن لديه أدنى فكرة عما يجب فعله. وقف ناتفا كم قميصه، ووجهه يحمرُّ خجلا.
بهدوء وبقسوة قال باول 'روبرت، عليك مواجهة الحقيقة بشجاعة أكثر'.
تأتأ تشيلدان شاحبا 'أنا مرتبك بسبب-'.
وقف باول وواجهه 'انتبه. المهمة مهمتك. أنت العميل الوحيد لهذه القطعة ومثيلاتها الأخريات. وأنت محترف أيضا. ارجع إلى ذاتك في عزلة لبعض الوقت. تأمل، أو حتى شاور كتاب التغييرات، ثم أدرس واجهة معروضاتك، وإعلاناتك، ونظامك التسويقي'.
فغر تشيلدان فمه قبالته.

’سترى دربك‘ قال باول ’وكيف يجب عليك أن ترتب تلك القطع بأناقة كبيرة‘.
شعر تشيلدان بالذهول. الرجل يخبرني أني ملزم بأن أتولى مسؤولية أخلاقية تُجاه مجوهرات إدفرانك! النظرة اليابانية العصابية والشاذة للعالم: لا تقل عن كونها نظرة علاقة روحانية وتجارية لمجوهرات مقبولة في عيني باول كاسورا.
وكان الجزء الأسوأ هو باول الذي تكلَّمَ بسلطة حتمية مستمدة مباشرة من قلب الثقافة والتقاليد اليابانية.
إلزام، فكّر تشيلدان بمرارة. من الممكن أن يبقى عالقا فيه بقية حياته، واحدة لا شفاء منها، إلى القبر نفسه. صرَفه باول -إشباعا لرضاه الشخصي-. لكن تشيلدان، آه للأسف، وسمَ أذنيه بما ليس له نهاية.
لا يمكنهم التصرف باتزان، قال تشيلدان لنفسه، مثلا: لن يساعدوا رجلا تأذى من المزراب
بسبب الالتزام الذي يفرض هذا. ماذا يمكنك تسمية هذا؟ أقول إنه مثالي، فما الذي تتوقعه من عِرقٍ حين أُخبر أن يصنع نسخة من البارجة البريطانية المدمرة تمكن حتى من تقليد الرُقَعِ على المرجل إضافة إلى-
كان باول ينظر إليه باهتمام. ولحسن الحظ فقد مكنت عادة تشيلدان المتأصلة من كبح ظهور أي مشاعر حقيقة بشكل تلقائي، فأبدى تعابير لطيفة ورزينة، وشخصية تنسجم تماما مع طبيعة الموقف. أمكنه الإحساس به، القناع.
هذا مريع، أدرك تشيلدان. مصيبة. كان من الأفضل لباول لو اعتقد بأني كنت أحاول إغواء زوجته.
بيتي. ليس هناك أي فرصة تمكنها من رؤية القطعة، وخطته الأصلية لن تؤتي ثمارها. كانت ألـ وو غير متوافقة مع الجنسانية، كانت، كما قال باول، مهيبة ومقدسة مثل أثر قديم.
’أعطيت كلًا من هؤلاء الأفراد واحدة من بطاقاتك‘ قال باول.
’عذرا؟‘ قال تشيلدان مشغول البال.
’بطاقات عملك. حتى يكون بمقدورهم القدوم إلى متجرك وتفحص النماذج الأخرى‘.
’نعم‘ قال تشيلدان.
’هناك أمر آخر‘ قال باول ’واحد من هؤلاء الأفراد يرجو مناقشة الموضوع بأكمله معك في موقع عمله. لقد كتبت لك اسمه وعنوانه‘ وسلم باول تشيلدان

ورقة مربعة مطوية. ’يرغب بأن يسمع زملاءُ عمله بالأمر‘ أضاف باول ’إنه مستورد. يستورد ويصدر الحاجات الأساسية للسكان، بشكل خاص إلى أمريكا الجنوبية. المذاييع، والكاميرات، والمجاهر، وآلات التسجيل وما شابه‘.
حدق تشيلدان إلى الأسفل بالورقة.
’إنه يعقد -بالطبع- صفقات بكميات هائلة‘ قال باول ’ربما عشرات الآلاف من كل قطعة. تسيطر شركته على شركات متنوعة تقوم بالتصنيع له بتكاليف منخفضة، كلها تقع في الشرق حيث يد عاملة رخيصة‘.
’لماذا يريـ‘ بدأ تشيلدان.
قال باول ’يمكن أن يكون...‘ رفع باول الدبوس مجددا، لوهلة، وأغلق الغطاء، وأعاد العلبة إلى تشيلدان ’... إنتاج هذا النوع من القطع ضخما، من المعدن أو البلاستيك ومن أي قالب. وبأي كمية مرغوبة‘.
قال تشيلدان بعد مدة ’ماذا عن ألـ وو؟ هل ستبقى في القطع؟‘.
لم ينبس باول بشيء.
’هل تنصحني بأن أراه؟‘ سأل تشيلدان.
’نعم‘ أجاب باول.
’لماذا؟‘.
’التمائم‘ قال باول.
حدّق تشيلدان.
’تمائم الحظ السعيد. يلبسها الأناس الفقراء تقريبا. سلسلة من التمائم ستلقى رواجا عبر أمريكا اللاتينية والشرق. ما زال معظم الناس يؤمنون بالسحر، تعرف هذا، التعاويذ، وجرعات شافية. قيل لي إنها تجارة كبيرة‘. كان وجهه صارما وصوته بلا نبرة.
’يبدو‘ قال تشيلدان ببطء ’ستكون صفقة مالية جيدة‘.
أومأ باول.
’هل كانت هذه فكرتك؟‘ قال تشيلدان.
’لا‘ قال باول، الذي صمتَ بعدها.
موظِّفُكَ، فكر تشيلدان. أريت القطعة إلى رئيسك، الذي يعرف هذا المستورد. تواصل رئيسك -أو شخص مؤثر أعلى منك، شخص يملك سلطة عليك، شخص غني وكبير- مع هذا المستورد.

لهذا السبب أرجعتها إلي، فهم تشيلدان. لا تريد شريكا في هذا. لكنك تعرف ما أعرف: سأذهب إلى هذا العنوان وأرى هذا الرجل. عليَّ فعلها. ليس لدي أي خيار آخر. سأستأجر التصاميم أو أبيعها بنسبة جيدة، صفقة ما ستُعقد بيني وهذه الزمرة.
بعيدا عن متناول يدك. بالكامل. عار عليكم أن تفترضوا بأن توقفوني أو تجادلوني.
’الفرصة متاحة لك‘ قال باول ’لتصبح غنيا جدا‘. واستمر بالنظر برزانة قُبالته.
’خضَّتني هذه الفكرة بشكل عجيب‘ قال تشيلدان ’صناعة تمائم الحظ السعيد من هذه القطع الفنية، لا يمكنني تصور هذا‘.
’لأنه ليس ميدان أعمالك، فأنت مخلص لذوق بواطن الأشياء، أنا نفسي، مثلك. وكذلك أولئك الأفراد الذين سيزورون متجرك قريبا، أولئك الذين ذكرتهم‘.
قال تشيلدان ’ما الذي ستفعله لو كنت في مكاني‘.
’لا تقلل من قيمة الفرص التي يقترحها المستورد الرفيع. إنه شخصية حصيفة. أنا وأنت- ليس لدينا أي معرفة عن العدد الهائل من الأشخاص غير المتعلمين الذين يبتهجون -بسبب قطع متطابقة ومنتجة في قوالب- بهجة نحن أنفسنا ننكرها. يجب أن نضمن امتلاكنا النوع الوحيد من هذه أو في الأقل شيئا ما نادر، يملكه القلة. وبالطبع شيء أصليٌ حقا. ليس طرازا أو نسخة مطابقة للأصل‘ استمر يحدق إلى الفراغ متجاوزا تشيلدان ’شيء لا يصنعه عشرات الآلاف‘.
هل تعذّر عليه فهم الفكرة الصحيحة، تساءل تشيلدان، هل القطع التاريخية في متاجر كمتجري (ناهيك عن ذكر العديد من القطع في مجموعته الشخصية) مقلدة؟ يبدو أن هناك تلميحا ضئيلا في كلماته، كما لو أنه يخبرني بنبرة ساخرة رسالة مختلفة تماما عما يظهره. غموض، كما يحدث مع شخص يجد مصادفة في المُستخار... كما يقولون سمة العقل الشرقي.
فكّر تشيلدان. هو في الواقع يقول: أيهما أنت، روبرت؟ من يسميه المُستخار "الرجل الوضيع" أو ذاك الذي تقصده كل النصائح الحَسَنة؟ يجب أن تقرر، هنا. يجب أن تخبب في هذا الطريق أو ذاك لا كليهما. لحظة الاختيار الآن.
وأي طريق سيمضي فيه الرجل الرفيع؟ سأل روبرت تشيلدان نفسه. في الأقل كما يرى باول كاسورا، والأمر المعروض أمامنا هنا ليس في كتاب الحكم

السماوية المُلهمة البالغ من العمر عدة آلاف من السنين إنما مجرد رأي رجل فانٍ- رجل أعمال ياباني شاب.
مع ذلك هناك جوهر في داخلها. وو، كما يقول. ألـ وو الخاص بهذا الوضع هو: بغض النظر عما لا يعجبنا شخصيا، فإن الحقيقة -بلا شك- تكمن في اتجاه المستورد. لم يحالفنا الحظ لما كنا نرمي إليه؛ يجب أن نتكيف، كما يقرر المُستخار.
بعد كل شيء، من الممكن بيع القطع الأصلية في محلي إلى أولئك الخبراء، على سبيل المثال أصدقاء باول.
’أنت تتصارع نفسك‘ لاحظ باول ’بالتأكيد في وضع مثل هذا يفضل المرء أن يكون وحيدا‘. واتجه نحو باب المكتب.
’لقد أخذت قراري سلفا‘
لمعت عينا باول.
انحنى تشيلدان وقال ’سأتبع نصيحتك. سأغادر الآن لزيارة المستورد‘. ورفع قصاصة الورق المطوية.
بدا باول غير مسرور بشكل غريب، نخر فحسب وعاد إلى طاولة مكتبه. إنهم يلجمون عواطفهم إلى النهاية، فكر تشيلدان.
’شكرا جزيلا لمساعدتك التجارية‘ قال تشيلدان وهو يستعد للمغادرة. ’يوما ما سأرد لك الجميل بالمثل إن سنحت الفرصة. لن أنسى‘.
لكن الشاب الياباني ما زال لا يظهر أي ردة فعل، صحيح جدا، فكر تشيلدان، ما اعتدنا أن نقوله: إنهم مبهمون.
رافقه باول إلى الباب وبدا غارقا في تفكيره. وبادره فجأة ’صنع الفنانون الأمريكيون هذه القطع يدا بيد، صحيح؟ شغل أجسادهم شخصيا‘.
’نعم، من التصميم الأولي إلى التلميع النهائي‘.
’سيدي، هل سيمضي هؤلاء الفنانون إلى آخر المشوار؟ أود أن أتخيل أنهم حلموا بطريقة مختلفة لعملهم‘.
’سأجازف وأقول إنهم قد يكونون مقتنعين‘. قال تشيلدان، بدت له المشكلة هيِّنة.
’نعم‘ قال باول ’أفترض هذا‘.
شيء ما في نبرته جعل باول يلتقط ملاحظة مفاجئة. ثمَّ تأكيد ضبابي وغريب، يكتسحه بعدها. شطر تشيلدان وبدون تردد الغموض- لقد رأى.

بالطبع. المسألة بأكلمها أمام ناظريه محض رفض ملتوٍ لجهود الأمريكيين. الكلبية معاذ الله، لقد ابتلع الخطّاف والخيط وغطّاس السنارة. جعلني أوافق، خطوة تلو خطوة، قادني على طول طريق الجنة إلى هذا الاستنتاج: لا تصلح منتوجات الأمريكيين لشيء سوى أن تكون نماذج تمائم الحظ السعيد التافهة.
هكذا حكم اليابانيون، لا بجلافة بل بحذاقة، وبراعة، ومكر سرمدي.
رباه! نحن همجيون إذا ما قُوبلنا بهم، أدرك تشيلدان. لسنا سوى حمقى إزاء منطق معدوم الشفقة كهذا. لم يقل باول -لم يخبرني- بأن فننا لا قيمة له بل جعلني أقولها له. والسخرية الأخيرة، تأسفَ على كلامي، وأظهر إيماءة باهتة ومهذبة حين سمع الحقيقة تخرج مني.
لقد كسرني، كاد تشيلدان يقولها بصوت عالٍ، ولحسن الحظ تمكن من إبقائها فكرة فقط كما السابق، احتفظ بها في عالمه الداخلي، معزولة بعيدا وسرية، لنفسه وحده. أهانني وعِرقي، وأنا عاجز. لا يوجد انتقام لهذا! لقد هزمنا وهزيمتنا مثل هذه، هشة جدا، وحرجة جدا، لذا فبالكاد نستطيع أن نفهمهم. في الواقع، علينا أن نُصلح الثلم في تطورنا لنعرف ما حدث بشكل أفضل من أي وقت مضى.
أي برهان أكبر يمكن أن يُوجد مثل كفاءة اليابانيين في الحكم؟ شعر برغبة بالضحك، وربما بإجلال. نعم، فكّر، هذا ما يحصل عندما يسمع المرء طُرفة الخيار. عليَّ أن أتذكرها، وأشعر بمذاقها لاحقا أو حتى أحكيها، لكن لمن؟ المشكلة هنا. شخصية جدا لتُروى. كانت سلة مهملات في زاوية مكتب باول. أقذفها إليها!
قال روبرت تشيلدان لنفسه، قطعة المجوهرات هذه ذات تركيبة ألـ وو. هل بإمكاني فعلها؟ أقذفها بعيدا؟ أنهي هذا الموقف أمام عيني باول؟ لا يمكنني حتى قذفها بعيدا، أدرك هذا حين قبض على القطعة. لا يجب فعل هذا إن كنت تتوقع مواجهة رفيقك الياباني مجددا.
اللعنة عليهم، لا يمكن أن أحرر نفسي من تأثيرهم، لا يمكن الاستسلام للاندفاع. تحطمت كل العفوية... أمعن باول النظر فيه، ليس بحاجة أن يقول شيئا فحضوره الذي يملأ المكان يكفي. تمكن من اصطياد طويتي، واستلَّ خيطا غير مرئي من هذه القطعة في يدي صاعدا به إلى ذراعي ونافذا إلى روحي. أعتقد أني عشت وسطهم مدة طويلة جدا، لقد فات الأوان للهروب، والعودة إلى البيض وحياة البيض.

قال روبرت تشيلدان ’باول-‘ لاحظ أن صوته نَعبَ في هروب بائس، بلا سيطرة أو انضباط.
’نعم روبرت‘.
’باول، أ... نا... أُهنت‘.
اضطربت الغرفة.
’بسبب ماذا، روبرت؟‘ بنبرة اهتمام لكن متحررة من الاشتباك.
’باول، لحظة‘ لمس بأصابعه جزءا من قطعة المجوهرات وأصبحت دبقة بسبب العرق ’أنا فخور بهذا العمل. ليس هناك أي فائدة من تمائم الحظ السعيد السخيفة تلك. أنا أرفض‘.
لم يستطع مرة أخرى أن يسبر غور ردة فعل الشاب الياباني، أذناه تنصتان فقط، والوعي المجرد.
’شكرا على أي حال‘ قال روبرت تشيلدان.
انحنى باول.
انحنى روبرت تشيلدان.
’الرجال الذين صنعوا هذه‘ قال تشيلدان ’فنانون أمريكيون نفخر بهم، وأنا أيضا. أن تقترح تمائم الحظ السعيد السخيفة فأنت بهذا تهيننا وأسألك الاعتذار‘.
صمت طويل لا يُطاق.
تفحّص باول تشيلدان. رفع أحد حاجبيه بخفة وارتعشت شفتاه الرفيعتان. ابتسامة؟
’أطالبك به‘ قال تشيلدان. كان هذا كل شيء، لم يمكنه التحمل أكثر. وانتظر الآن بتجرد.
لم يحدث شيء.
أرجوك، فكّر، ساعدني.
قال باول ’اغفر لي أسلوب فرض الرأي المتعجرف‘ ومدَّ يده.
’لا بأس‘ قال روبرت تشيلدان.
تصافح الرجلان.
نزلت السكينة على قلب تشيلدان. لقد عشت هذه اللحظة وتجاوزتها، عرف هذا. انتهى كل شيء. نعمة من الله فقد وُجِد في اللحظة المناسبة لأجلي. مرة أخرى- بطريقة مختلفة. هل يمكنني أن أتجاسر مرة أخرى، أضغط على زر حظي؟ من المحتمل لا.

شعر بحزن. للحظة وجيزة كما لو أني ارتقيت إلى السطح ورأيتُ كل شيء غير مترابط.

الحياة قصيرة، فكّر. الفن أو ما شابه ليس بحياة، إنه طويل ويمتد بعيدا إلى ما لا نهاية مثل شريط الأسفلت، مستوٍ، وأبيض ومصقول لأي مارٍ أو عابر. هنا أقف لكن ليس طويلا. أخذ العلبة الصغيرة، ووضع قطعة مجوهرات إدفرانك في جوف جيب معطفه.

12

قال السيد رامزي ’سيد تاغومي هذا هو السيد ياتابي‘. ابتعد رامزي إلى زاوية المكتب في حين تقدم العجوز المحترم النحيف إلى الأمام. مدَّ السيد تاغومي يده وقال ’سعيد بلقائك شخصيا سيدي‘. أطبق اليد الرقيقة والخفيفة على يده، وصافحه بدون ضغطٍ ثم أطلقها في الحال. عسى إنها لم تُكسر، فكّر. تفحص سمات العجوز المحترم ووجد نفسه مسرورا. روح قوية ومتماسكة، ولا تظاهر بالحذاقة. بالتأكيد وافى بوضوح كل الأعراف القديمة الراسخة بأفضل سمة يمكن لمسن أن يمثلها... واكتشف بعدها أنه يواجه الجنرال تيديكي، رئيس أركان الحرب الإمبراطوري السابق.

انحنى السيد تاغومي.

’جنرال‘ قال.

’أين الطرف الثالث‘ سأل الجنرال تيديكي.

’سيصل على الفور‘ قال السيد تاغومي ’أعلمته بنفسي وهو في غرفة الفندق‘ تشوش عقله بالكامل، وتراجع بعض خطوات إلى الخلف وهو في حالة الانحناء، بالكاد كان قادرا على استعادة وضع الانتصاب. قعد الجنرال من نفسه. ما زال السيد رامزي من دون شك يجهل هوية الرجل المسن، وساعده أثناء الجلوس دون أن يظهر أي تبجيل خاص. أخذ السيد تاغومي بتردد كرسيا في مواجهته.

’تلكأنا‘ قال الجنرال ’لسوء الحظ لم يمكننا تجنب هذا‘.

’فعلا‘ قال السيد تاغومي.

مرت عشر دقائق، ولم يتحدث أي رجل.

’اسمح لي سيدي‘ قال السيد رامزي في الأخير متململا ’سأغادر إن لم يكن هناك حاجة إلي‘.

أومأ السيد تاغومي وغادر السيد رامزي.

’شاي، جنرال؟‘ سأل السيد تاغومي.

’لا، سيدي‘.

’سيدي‘ قال السيد تاغومي ’أخشى القول بأني أحس أن في هذا اللقاء شيئا مريبا‘.

أمال الجنرال رأسه.

’السيد باينز، الشخص الذي قابلته‘ قال السيد تاغومي ’وأدخلته إلى بيتي، قدم نفسه على أنه سويدي. وبعد اطّلاع حثيث أدركت بأنه في الحقيقة ألماني ذو رتبة عالية بمنصب ما. أقول هذا لأنه-‘.

’أكمل رجاء‘.

’شكرا جنرال، هيجانه المتعلق بهذا اللقاء جعلني أستنتج بأنه على صلة بالاضطرابات السياسية في الرايخ‘ ولم يذكر السيد تاغومي أي حقيقة أخرى لإدراكه بفشل الجنرال في أن يظهر في الوقت المتوقع.

قال الجنرال ’سيدي، أنت الآن لا تعلمني بل تتصيد‘. طرفت عيناه الرماديتان بطريقة أبوية من دون خبث. تقبل السيد تاغومي التوبيخ. ’سيدي هل حضوري في هذا الاجتماع هو شكلي فقط لخداع العيون النازية؟‘.

’بالطبع‘ قال الجنرال ’فنحن مهتمون بالمحافظة على قصة خيالية محبوكة. السيد باينز مندوب لمصانع ستوكهولم، تور-آم، رجل أعمال خالص. وأنا شينجيرو ياتابي‘.

فكر السيد تاغومي، وأنا السيد تاغومي، دوري هذا.

’بدون شك لقد راقب النازيون ذهاب السيد باينز وإيابه‘ قال الجنرال ثم أرخى يديه على ركبتيه وقعد مستقيما... كما لو، فكر السيد تاغومي، أنه كان يشم رائحة بعيدة لشاي لحم البقر.

’لكن لنسف هذه القصة فهم مطالبون للقيام بالإجراءات القانونية. وهذا إجراء حقيقي لا لخداعهم بل لطلب الشكليات في حالة اكتشاف الأمر. وأنت ترى على سبيل المثال لو قبضوا على السيد باينز فعليهم فعل ما هو أكثر من مجرد إرادته... وبإمكانهم فعلها لو أنه سافر- حسنا، لو سافر من دون اسمه الذي يحميه.

’نعم‘ قال السيد تاغومي. يبدو الأمر كلعبة، جزم هذا، لكنهم يعرفون العقلية النازية لذا فأعتقد أن الأمر ذو فائدة.

طن صوت جهاز اتصال المكتب الداخلي، وجاء صوت السيد رامزي ’سيدي، السيد باينز هنا. هل أسمح له بالدخول؟‘.

’نعم**!**‘ صرخ السيد تاغومي.

فُتح الباب وظهر السيد باينز بهندامه الأملس، كانت ملابسه جميعا مشدودة ومخيّطة بمهارة، وبدت سماته هادئة.

نهض الجنرال تيديكي على قدميه، وكذلك فعل السيد تاغومي. وانحنى الرجال الثلاثة.
’سيدي‘ قال السيد باينز للجنرال ’أنا الكابتن ر. فيجينير من الاستخبارات الرايخ البحرية المضادة. وكما هو مفهوم فأنا أمثل نفسي وبعض الشخصيات الموثوقة الخاصة غير المعروفة، ولا أمثل أي نوع من أقسام أو مكاتب حكومة الرايخ‘.
قال الجنرال ’سيد فيجينير، أدرك بأنك لا تمثل أي جهة رسمية مزعومة لأي فرع في حكومة الرايخ. وأنا هنا بصفتي شريك غير رسمي خاص بفضل قوة منصبي السابق في جيش الإمبراطورية وحزت إمكانية الوصول إلى أوساط في طوكيو يرغبون بسماع أيا ما تود قوله‘.
حديث غريب، فكر السيد تاغومي، لكنه ليس بكريه، وقريب بجودته من الموسيقى، وباعث للراحة في الحقيقة.
قعدوا.
’بدون تمهيد‘ قال السيد باينز ’أرغب أن أعلمك -وأولئك الذين تتواصل معهم- بأنه هناك مرحلة متقدمة في برنامج الرايخ تسمى Lowenzahn. الهندباء‘.
’نعم‘ قال الجنرال مومئا كما لو أنه سمع هذا من قبل، فكر السيد تاغومي، وبدا حريصا تماما من أجل أن يتابع السيد باينز حديثه.
قال السيد باينز ’تتضمن الهندباء حادثا يقع ما بين حدود ولايات الروكي مونتن والولايات المتحدة‘.
أومأ الجنرال، مبتسما قليلا.
’ستُهاجم قوات الولايات المتحدة وسترد بعبورها الحدود والالتحام مع القوات ولايات الروكي ماونتن النظامية المتمركزة بالقرب من هناك. تملك قوات الولايات المتحدة خرائط تفصيلية توضح منشآت جيش الغرب الأوسط. هذه الخطوة الأولى. تتضمن الخطوة الثانية إعلانا من الجانب الألماني بخصوص الصراع. وسترسل كتيبة مظليين متطوعة من القوات العسكرية النازية لمساعدة الولايات المتحدة. وعلى أي حال، كل هذا زيادة في التمويه‘.
’نعم‘ قال السيد تاغومي منصتا.
’الغرض الأساسي من عملية الهندباء‘ قال السيد باينز ’هو هجوم نووي هائل على جزر الأرخبيل الياباني، من دون تحذير سابق من أي نوع‘ ثم صمت بعدها.

’من أجل إفناء العائلة الملكية، وجيش الدفاع الوطني، وأغلب القوات البحرية، والسكان المدنيين، والمصانع، والمصادر‘ قال الجنرال تيديكي ’ومخلّفين أراضي ما وراء البحار ليستحوذ عليها الرايخ‘.

لم يقل السيد باينز شيئا.

’ماذا بعد؟‘ قال الجنرال.

بدا السيد باينز في حيرة.

’التاريخ سيدي‘ قال الجنرال.

’تغير كل شيء‘ قال السيد باينز ’بسبب موت م. بورمان، في الأقل كما أفترض. ولست على اتصال بالآبفير الآن‘.

قال الجنرال فورا ’استمر سيد فيجينير‘.

’ما نوصي به هو أن تتدخل الحكومة اليابانية في شأن الرايخ الداخلي، أو في الأقل، هذا ما حملني على القدوم إلى هنا لأوصي به. تعمل مجاميع متأكد منها في الرايخ لصالح عملية الهندباء، ومجاميع أخرى ضدها. كان يُؤمل أن يتمكن الطرف المعارض من الوصول إلى السلطة بعد موت المستشار بورمان‘.

’لكن حينما كنت هنا‘ قال الجنرال ’مات بورمان وأخذ الوضع السياسي سياقه الخاص. والدكتور غوبلز هو مستشار الرايخ الآن. والانقلاب انتهى‘. توقفَ ’ما رأي تلك العصبة بعملية الهندباء‘.

قال السيد باينز ’إنَّ الدكتور غوبلز من المدافعين عن الهندباء‘.

أغلق السيد تاغومي عينيه من دون أن يلاحظا.

’ومن يقف ضد العملية؟‘ سأل الجنرال تيديكي.

جاء صوت السيد باينز إلى مسامع السيد تاغومي ’جنرال قوات الحماية هيدريش‘.

’لقد تفاجأت‘ قال الجنرال تيديكي ’أشك بهذا. أهذه معلومات أكيدة أم إنها مجرد وجهة نظر تتبناها أنت وزملاؤك؟‘.

قال السيد باينز ’ستكون إدارة الشرق -المنطقة الخاضعة لسلطة اليابان الآن- بيد مكتب الخارجية، أتباع روزنبرغ يعملون مباشرة مع مكتب المستشار. كانت هذه قضية متنازع عليها بمرارة في عديد الجلسات بين المديرين في السنة الماضية. قمت بعمل نسخ فوسفاتية للجلسات. طالبت الشرطة بالسلطة لكن رُفضوا، ويسعون لإدارة استعمار الفضاء، المريخ والقمر والزهرة، وليكون هذا ميدانهم.

وعندما يستقر تقسيم السلطة تضع الشرطة كامل ثقلها لمساندة برنامج الفضاء ومعارضة الهندباء'.

'منافسة' قال الجنرال تيديكي 'فريق يلعب ضد الآخر، بواسطة القائد. لذا فهو لا يُتحدى أبدا'.

'صحيح' قال السيد باينز 'ولأجل هذا أُرسلت إلى هنا لأتضرعَ لأجل تدخلكم. ما زال هناك إمكانية للتدخل؛ فالوضع لا يزال مائعا. سيكون لدينا شهورا قبل أن يتمكن الدكتور غوبلز من تولي منصبه. سيتوجب عليه إيقاف الشرطة، وربما سيُعدم هيدريش وقادة الصف الأول من قوات الحماية وجهاز الأمن. عندما يحدث-'.

'علينا دعم جهاز الأمن؟ قال الجنرال تيديكي مقاطعا 'الجزء الأخبث من المجتمع الألماني؟'.

قال السيد باينز 'هذا صحيح'.

'لن يتسامح الإمبراطور مع تلك السياسة' قال الجنرال تيديكي 'هو يرى أجهزة نخبة الرايخ العليا حيثما يرتدون الزي الأسود- رأس الموت، ونظام القلعة- جميعا على أنهم شر محض'.

شر، فكر السيد تاغومي. نعم، الأمر كذلك. ونحن نساعد الشر ليحظى بالسلطة من أجل أن ينقذ حياتنا؟ هل هذه المفارقة لوضعنا الأرضي؟

لا يمكنني مواجهة هذه المعضلة، قال السيد تاغومي لنفسه. يجب على ذلك الرجل أن ينفذها بغموض أخلاقي. لا حلا في هذا؛ كل شيء مشوش. فوضى في النور والظلام، في الظل والجوهر.

'الفيرماخت' قال السيد بانيز 'القوات العسكرية هي صاحبة السلطة الوحيدة في الرايخ على القنبلة الهيدروجينية، حيث استخدمتها جماعة القمصان السوداء*، فعلوا ذلك تحت إمرة القوات العسكرية. لم تسمح حكومة بورمان قط أن تذهب الأسلحة النووية إلى الشرطة. سينفذ كل ما يرتبط بعملية الهندباء من قبل O.K.W قيادة الجيش العليا'.

'لدي علم بهذا' قال الجنرال تيديكي.

'تجاوزت الممارسات الأخلاقية لجماعة القمصان السوداء بضراوتها تلك التي

---

* ميليشيا تابعة للحزب النازي.

ارتكبتها القوات العسكرية، لكن قوتهم أقل. يجب أن نهتم بأرض الواقع فحسب، بالقوة الفعلية لا النوايا الأخلاقية'.
'نعم، يجب أن نكون واقعيين' قال السيد تاغومي بصوت عالٍ.
حدق كلا من السيد باينز والجنرال تيديكي إليه.
قال الجنرال تيديكي للسيد باينز 'ما الذي تقترحه تحديدا؟ أن نتواصل مع جهاز الأمن هنا في ولايات المحيط الهادئ؟ أن نتفاوض مباشرة مع -لا أعرف اسم رئيس جهاز الأمن هنا- شخصية كريهة كما أتصورها؟'.
'لا يعلم جهاز الأمن المحلي شيئا'. قال السيد باينز 'رئيسهم هنا هو برونو كروز فوم ميري، كاتب في الحزب منذ زمن طويل، ورفيق حزبي قديم. أبله، ولا أحد في برلين يفكر بإخباره أي شيء، هو بالكاد ينفذ المهام الاعتيادية'.
'ماذا إذن؟' بدا الجنرال غاضبا 'القنصل هنا، أو سفير الرايخ في طوكيو؟'.
سيبوء هذا الحديث بالفشل، فكر السيد تاغومي، بغض النظر عما يكون على المحك. لا يمكننا الولوج إلى مستنقع الانفصام البشع للتآمر. النازي المميت. لا يمكن لعقولنا أن تتأقلم معه.
'يجب التعامل معه بدقة' قال السيد باينز 'عبر سلسلة من الوسطاء. شخص ما قريب من هيدريش الذي يستقر خارج منطقة الرايخ، في بلد محايد، أو شخص ما يمكنه السفر ذهابا وإيابا بين طوكيو وبرلين'.
'هل لديك شخص ما في عقلك؟'.
'وزير الخارجية الإيطالي، الكونت شانو. ذكي ويعتمد عليه، ورجل شجاع جدا، ومتكرّس بالكامل لفهم الأوضاع الدولية، وعلى أي حال، فاتصالاته مع جهاز الأمن النازي معدومة لكن قد يعمل عبر وسيط آخر في ألمانيا، جهة ذات مصالح اقتصادية مثل كروبز أو عبر مجموعة جنرال سبيديل أو ربما حتى مع شخصيات في وافين- إس. إس.*
وافين- إس. إس. أقل تعصبا، وأكثر مقبولية في التيار الاجتماعي الألماني'.
'مؤسستك، الآبفير - قد تكون ذا جدوى في محاولة الوصول إلى هيدريش عن طريقك'.

* فرع تابع لقوات الحماية النازية.

’تحتقرنا القمصان السوداء تماما. وسعوا دؤوبين خلال العشرين السنة الماضية للحصول على موافقة الحزب على تصفيتنا كليا‘.
’ألست شخصيا في خطر محدق من قبلهم؟‘ سأل الجنرال تيديكي ’إنهم نشطون هنا في ساحل المحيط، أدرك هذا‘.
’نشطون لكن غير كفوئين‘. قال السيد باينز ’رجل المكتب الخارجي، ريس، ماهر لكنه معارض لجهاز الأمن النازي‘ وهزَّ كتفيه.
قال الجنرال تيديكي ’أرغب بنسخك الفوسفاتية لأرسلها إلى حكومتي. وأي مواد متعلقة بهذه النقاشات في ألمانيا و-‘ تأمل ’دليل ذي طبيعة موضوعية‘.
’بالتأكيد‘ قال باينز ومدَّ يده إلى جيب معطفه وأخرج علبة سجائر مسطحة ’ستجد في كل سيجارة حاويا مجوّفا لفلم مصغر‘ وسلّم العلبة إلى الجنرال تيديكي.
’ماذا بشأن العلبة نفسها؟‘ قال الجنرال متفحصا إياها. ’تبدو ثمينة جدا لتمنح هكذا‘ وبدأ يخرج السجائر من العلبة.
قال السيد باينز ’والعلبة أيضا‘.
’شكرا لك‘ قال الجنرال ووضع العلبة في جيب معطفه العلوي.
طن جهاز الاتصال الداخلي للمكتب. ضغط السيد تاغومي على الزر. جاء صوت السيد رامزي ’سيدي، هناك مجموعة رجال من جهاز الأمن النازي في ردهة الطابق السفلي يحاولون السيطرة على المبنى. حراس التايمز يشتبكون معهم‘. ضوضاء صفارة إنذار على مسافة- خارج البناية من الشارع الذي تطل عليه نافذة السيد تاغومي. ’الشرطة العسكرية للولايات المتحدة في طريقها إلى هنا، كذلك جهاز الاستخبارات الياباني في سان فرانسيسكو‘.
’شكرا لك سيد رامزي‘ قال السيد تاغومي ’أنجزت عملا مشرفا في إبلاغك بهدوء‘ كان السيد باينز والجنرال تيديكي ينصتان جامدين ’سادتي‘ قال السيد تاغومي لهما
’سنقتل بلا شك سفاحي جهاز الأمن النازي قبل أن يصلوا إلى هذا الطابق‘ وقال للسيد رامزي ’اقطع الطاقة عن المصاعد‘.
’نعم سيد تاغومي‘ وقطع السيد رامزي الاتصال.
قال السيد تاغومي ’سننتظر‘. وفتح جرار طاولة مكتبه ورفع صندوقا من خشب الساج وفتحه ثم أخرج مسدس كولت 44. محفوظ بعناية شديدة من الحرب الأهلية الأمريكية لعام 1860، قطعة تعد بمثابة كنز لجامع. أخرج من الصندوق

علبة المسحوق، وكرة، وذخيرة سلاح مفصّل التلقيم' وبدأ بتلقيم المسدس. راقبه السيد باينز والجنرال تيديكي بأعين مفتوحة على سعتها. 'جزء من مجموعة شخصية' قال السيد تاغومي 'كثيرا ما أتسلى بممارسة سرعة السحب والإطلاق، في ساعات فراغي. وأقرُّ بتفوقه عند عمل مقابلة أفضلية في أوقات التنافس مع متحمسين آخرين لكن تأخر استخدامه حتى الآن' حمل السلاح بهيئة صحيحة ووجهه نحو باب المكتب وقعد ينتظر.

***

قعد فرانك فرينك بالقرب من محور العجلة عند مصطبة ورشة العمل في القبو. أمسك بقرط أذن فضي نصف كامل تُجاه آلة التلميع القطنية الدوارة الصاخبة، وتناثرت قطع خشنة صغيرة على نظارته وسوّدت أظافره ويديه. سَخُنَ قرطُ الأذن حلزوني الشكل بفعل الاحتكاك لكن فرانك متجهما أمعن بضربه لأسفل أكثر.

'لا تجعله لامعا جدا' قال إد مكّارثي 'اضرب النقاط العليا فحسب، وبإمكانك ترك الأجزاء السفلية كما هي تماما'.

نخر فرانك فرينك.

'هناك سوق أفضل لقطع الفضة غير المبالغ في تلميعها' قال إد 'يجب أن تحظى قطع الفضة بمظهر عتيق'.

سوق، فكر فرينك.

لم يبيعا شيئا باستثناء ما أودعاه عند متجر التحف اليدوية الفنية الأمريكية، لم يأخذ أحد شيئا، وقد زارا خمسة متاجر بيع بالمفرد في المجمل.

لا نجني أي مالٍ، قال فرينك لنفسه. نصنع الكثير والكثير من المجوهرات ونكوّمها حولنا فقط. علق اللولب الخلفي لقرط الأذن بالعجلة وانتزعت القطعة من يدي فرينك وطارت باتجاه درع آلة التلميع ثم سقطت على الأرض. أطفأ المحرك.

'لا تترك هذه القطع تذهب سدى' قال مكّارثي عند شعلة اللحيم.

'رباه، إنها بحجم حبة بازلاء. ولا سبيل لإمساكها'.

'حسنا، التقطها بأي طريقة'.

اللعنة على كل شيء، فكر فرينك.

’ما الخطب؟‘ قال مكّارثي عندما رآه لم يقم بأي خطوة لالتقاط القرط.
قال فرينك ’حسنا، نضخ المال لأجل لا شيء‘.
’لا يمكننا البيع ما لم نصنع‘.
’لا يمكننا بيع أي شيء‘ قال فرينك ’صنعنا أو لم نصنع‘.
’خمسة متاجر، ليست إلا قطرة في بحر‘.
’لكن النتيجة‘ قال فرينك ’كافية لنعرف‘.
’لا تخدع نفسك‘.
قال فرينك ’لا أخدع نفسي‘.
’ماذا تعني؟‘.
’أعني أن الوقت قد حان للبحث عن سوق الخردة‘.
’حسنا‘ قال مكّارثي ’انسحب إذن‘.
’انسحبت‘.
’سأستمر وحدي‘ وأشعل مكّارثي الشعلة مجددا.
’كيف سنقتسم المواد؟‘.
’لا أعلم، لكن سنجد طريقة‘.
’اشترِ حصتي‘ قال فرينك.
’تبا، لا‘.
حسبها فرينك ’ادفع لي ستمئة دولار‘.
’لا، خذ نصف كل شيء‘.
’نصف المحرك؟‘.
ثم صمت الاثنان.
’ما يزال هناك ثلاثة متاجر‘ قال مكّارثي ’سنتحدث عن هذا فيما بعد‘. أنزل قناعه وبدأ بتثبيت قطعة من النحاس الأصفر في سوار معصم.
خطا فرانك فرينك خارجا من المسطبة، وجد قرط الأذن الحلزوني ووضعه في علبة ورق مقوى للقطع غير المكتملة. ’أنا خارج لأدخن‘ قال ومشى قاطعا القبو باتجاه السلالم.
كان يقف بعد لحظات فوق الرصيف في الخارج وسيجارة تين-لاي بين أصابعه. كل شيء انتهى، قال لنفسه. لا أحتاج المُستخَار ليخبرني، أدرك ما معنى هذه اللحظة. الرائحة هنا، رائحة الهزيمة. ومن الصعب حقا معرفة السبب. ربما،

نظريا، بإمكاننا الاستمرار، متجر تلو آخر، ومدن أخرى، لكن- ثَمَّ شيء خطأ، وكل الجهد والبراعة لن يغيّراه.
أود أن أعرف السبب فقط، فكَّر.
لكني لن أعرف أبدا.
ماذا كان يتوجب علينا فعله؟ ماذا كنا سنصنع بدلا من هذا؟ لقد خالفنا اللحظة. خالفنا التاو. وسُحبنا عكس التيار نحو الجهة الخطأ. والآن، الاضمحلال والتدهور.
تغلب علينا اليين، أعرض عنا الضوء، وذهب إلى مكان آخر.
بإمكاننا أن نذعن له فحسب.
بينما كان واقفا تحت طَنْف البناية وآخذًا نَفَس مخدرات يسير من سيجارة الماريجوانا ويراقب ببلادة حركة المرور المستمرة، مشى الهوينى إليه رجل أبيض بمظهر عادي وفي منتصف العمر.
’السيد فرانك؟ فرانك فرينك؟‘.
’هو ذاته‘. أجاب فرانك.
أخرج الرجل وثيقة مطوية وكشف عن هويته ’أعمل في قسم شرطة سان فرانسيسكو. ولدي مذكرة لاعتقالك‘. وكان قد أمسك ذراع فرانك؛ وانتهى الأمر قبل أن يبدأ.
’بأي تهمة؟‘ استعلم فرينك.
’الاحتيال على السيد تشيلدان، التحف اليدوية الفنية الأمريكية‘. قاده الشرطة بقوة على طول الرصيف، ثم ظهر شرطي آخر بملابس مدنية، وأصبح عن يمين وشمال فرانك شرطي. واقتادوه باتجاه سيارة تويوبيت مركونة مجهولة الهوية.
هذا ما كان ينقصنا في هذا الوقت، فكر فرانك عندما دفع إلى مقعد السيارة يتوسط الشرطيين. أغلق باب السيارة التي قيدت من طرف شرطي ثالث يرتدي ملابسَ رسمية، وانطلقت السيارة عبر الزحام. يجب أن نخضع لأبناء العاهرات هؤلاء.
’ألديك محامٍ؟‘ سأل أحد الشُرطيين.
’لا‘ قال.
’سيعطونك قائمة ببعض الأسماء في المركز‘.
’شكرا‘ قال فرانك.

’ما الذي فعلته بالنقود؟‘ سأل أحد الشُرط عندما كانوا يركنون السيارة في مرآب مركز الشرطة في شارع كيرني.
’صرفتها‘ قال فرانك.
’كلها‘.
لم يجب.
هزَّ أحد الشرط رأسه وضحك.
عندما نزلوا من السيارة سأله أحد الشرط ’هل فرانك اسمك الحقيقي؟‘.
ارتعب فرانك.
’فينك‘ كرر الشرطي ’أنت يهودي‘. وعرض ملفا رماديا كبيرا ’لاجئ من أوروبا‘.
’لقد ولدت في نيويورك‘. قال فرانك فرينك.
’أنت هارب من النازيين‘ قال الشرطي ’هل تعرف ماذا يعني هذا؟‘.
تخلص فرانك فرينك منهم وركض عبر المرآب. صرخ به الثلاثة، وعند باب المدخل وجد نفسه بحضرة سيارة شرطة وشرطي مسلح بملابس غير رسمية قاطعا طريقه.
ابتسمت الشرطة له. تقدم الشرطي الذي يحمل بندقية، وأحكم الصفد حول رسغ فرانك. ونتيجة لشده من رسغه جرح المعدن الرفيع لحمه ووصل إلى العظم، واقتاده الشرطي في ذات الطريق الذي أتى منه.
’عُدْ إلى ألمانيا‘ قال أحد الشُرط ينظر إليه نظرة فاحصة.
’أنا أمريكي‘ قال فرانك فرينك.
’أنت يهودي‘ قال الشرطي.
وأثناء أخذه صاعدا السلالم، قال أحد الشُرط ’هل سيحتجز هنا؟‘.
’لا‘ قال آخر ’سنسلمه إلى القنصل الألماني. يريدون أن يحاكموه وفقا للقانون الألماني‘.
ليس هناك قائمة محامين بعد كل هذا.
***
بقي السيد تاغومي عشرين دقيقة دون حركة في مكتبه حاملا مسدسه الموجه نحو الباب، في حين كان السيد باينز يذرع المكتب. رفع الجنرال المسن بعد تفكير يسير الهاتف ليتصل بالسفارة اليابانية في سان فرانسيسكو. على أي حال، لم يكن

قادرا على الاتصال بالبارون كايليماكولا، السفير، فقد أخبره الموظف الحكومي بأنه خارج المدينة. حاول الجنرال بعدها إجراء اتصال عابر للمحيط إلى طوكيو.
’سأتشاور مع الكلية الحربية‘ أوضح للسيد باينز ’سيتواصلون مع القوات العسكرية الإمبراطورية المتمركزة بالقرب منا‘ ولم يبدُ عليه القلق.
إذن سنتحرر في غضون ساعات، قال السيد تاغومي لنفسه، ربما بفضل القوات البحرية اليابانية التي تنزل من ناقلة مسلحين ببنادق الرشاشة ومدافع الهاون.
العملية التي تجري عبر القنوات الرسمية ستكون ذات كفاءة عالية فيما يتعلق بالنتيجة النهائية... لكن هناك فارق زمني يدعو للأسف. السفاحون ذوو القمصان السوداء في الأسفل مشغولون بضرب موظفي الاستعلامات والآخرين. على أي حال، ليس هناك الكثير الذي يستطيع فعله شخصيا.
’أتساءل لو أن الأمر يستحق محاولة التواصل مع القنصل الألماني‘ قال السيد باينز.
كان للسيد تاغومي وجهة نظر باستدعاء الآنسة إفريكيان بآلة التسجيل خاصتها لتأخذ إملاءات احتجاج طارئ إلى السيد ريس.
’بإمكاني الاتصال بالسيد ريس‘ قال السيد تاغومي ’على خط آخر‘.
ضغط السيد تاغومي على زر فوق طاولته وما زال يحمل مسدسه الكولت 44. قطعة جامع التحف، فخرج خط اتصال هاتفي غير مسجّل، مثّبت خصيصا لأجل اتصالات مقصورة على فئات محددة. اتصل على رقم القنصلية الألمانية.
’طاب يومك، من يحدثني؟‘. نبرة صوت موظف مفعم بالحياة. بالتأكيد مساعده.
قال السيد تاغومي ’سعادة السيد ريس من فضلك. الأمر طارئ. أنا السيد تاغومي من أعلى مكتب في البعثة التجارية الإمبراطورية‘ بذل جهده ليكون صوته جادا وثابتا.
’نعم سيدي، لحظة لو سمحت‘. لحظة طويلة، ثم لم يصدر أي صوت، ولا حتى نقرات. إنه يقف هناك مع الهاتف فقط، جزم السيد تاغومي، مماطلة وفقا للخداع الشمالي المثالي.
قال السيد تاغومي للجنرال تيديكي الذي كان ينتظر عند الهاتف الآخر، والسيد باينز الذي كان يذرع المكتب ماشيا ’إنهم يبطئون الرد عليَّ لا محالة‘.
جاء صوت الموظف أخيرا ’آسف لإبقائك منتظرا سيد تاغومي‘.
’لا بأس‘.

’القنصل في اجتماع الآن-‘.
أنهى السيد تاغومي الاتصال.
’تبديد للجهد أقل ما يقال‘ قال شاعرا بالإحباط. بمن أتصل أيضا؟ أعلمت توكوكا سابقا، وكذلك وحدات الشرطة العسكرية في الموانئ المائية، ولا فائدة من الاتصال بهم.
اتصل مباشرة ببرلين؟ بمستشار الرايخ غوبلز؟ بالقوات العسكرية الجوية الإمبراطورية طالبا منها تأمين حماية جوية؟
’سأتصل برئيس جهاز الأمن النازي السيد كروز فوم ميري‘ قرر بصوت عالٍ ’وأشتكي بمرارة وأتشدق وأصرخ قادحا‘. وبدأ بالاتصال على الرقم الرسمي المُدرج -تمويهًا- في كتاب أرقام هواتف سان فرانسيسكو باسم "مفرزة حماية الشحنات الخاصة في محطة مطار لوفتهانزا" عندما رنَّ الهاتف قال ’أقدح بهلع هستيري عالي النبرة‘.
’قدم أفضل ما لديك‘ قال الجنرال تيديكي مبتسما. رنَّ صوت ألماني في أذن السيد تاغومي ’من معي؟‘ صوت جاد أكثر من صوتي، فكّر السيد تاغومي، لكنه اعتزم الاستمرار.
’بسرعة‘ طلب الصوت.
صرخ السيد تاغومي ’آمر باعتقال ومحاكمة عصبتك المجرمة والمنحطّة التي تعيث في الأرض فسادا مثل وحوش شُقُر مستنفرة، يُعجز حتى وصفها! هل تعرفني، kerl*؟ أنا تاغومي، مستشار حكومة الإمبراطورية. خمس ثوانٍ أو تتنازل عن شرعيتك وتجعل وحدة قوات المارينز تُحدث مجزرة بقنابل الفسفور اللهب المقذوفة. عار على الحضارة‘.
كان إمعّة جهاز الأمن في الطرف الآخر يصدر طقطقة بقلق.
غمز السيد تاغومي للسيد باينز
’... لا نعلم شيئا عن هذا‘ كان الإمعة يقول.
’كاذب!‘ صرخ السيد تاغومي. ’إذن ليس لدينا خيار‘ وأطبق المُستَقْبِل. ’الأمر لا يعدو عن كونه تلميحا‘ قال السيد تاغومي للسيد باينز والجنرال تيديكي ’لكنه لا

* أيها الرجل.

يحدث ضررا، لا تقلقا. وفي كل الأحوال، يخلق الاحتمال الضعيف دائما عاملا اضطرابيا حتى لدى جهاز الأمن النازي'.
بدأ الجنرال تيديكي يتحدث لكن ثمَّة جلبة هائلة أمام باب المكتب؛ فتوقف. اهتزَّ الباب منفتحا.
ظهر رجلان أبيضان ضخما الجثة يحمل كلاهما مسدسا ثُبِّتَ عليه كاتم، عرفا السيد باينز'.
'Da ist er*' قال أحدهم ثم اتجها نحوه.
صوّب السيد تاغومي من طاولة مكتبه مسدسه كولت 44. قطعة جامع تحف عتيقة وضغط على الزناد. سقط أحد عناصر جهاز الأمن على الأرضية.
رفع الآخر سلاحه ذو الكاتم تجاه السيد تاغومي وأطلق النار. لم يسمع السيد تاغومي شيئا رأى خيط دخان رفيع فحسب يخرج من المسدس ثم سمع أزيز عيار ناري يمرُّ بقربه. وبسرعة الضوء ضغط على مِطرَق المسدس الكولت ذي الإطلاقة الواحدة، وأطلق النار مرارا وتكرار.
انفجر فك رجل جهاز الأمن، وتطايرت قطع من عظام ولحم ومزق أسنان في الهواء. أصبت فكه، أدرك السيد تاغومي. إصابة مريعة لا سيما إذا اتجهت الرصاصة إلى الأعلى. ما زالت عينا رجل جهاز الأمن عديم الفك تعيان الحياة، أو شيئا منها. ما زال يبصرني، فكّر السيد تاغومي. ثم فقدت العينان بريقهما وسقط رجل جهاز الأمن صريعا ملقيا مسدسه ومصدرا ضوضاء غرغرة غير بشرية.
'مقزز' قال السيد تاغومي.
لم يظهر رجال جهاز الأمن غيرهم عند باب مدخل المكتب.
'انتهى الأمر' قال الجنرال تيديكي بعد صمت قصير.
قضى السيد تاغومي مهمة مملة استغرقت ثلاث دقائق لتلقيم سلاحه. توقف وضغط على زر جهاز الاتصال الداخلي للمكتب 'اجلب الإسعافات الطبية الأولية' ووضح 'سفاح مصاب بجروح بليغة هنا'.
لا جواب، همهمة فقط.

---

* هذا هو.

التقط السيد باينز منحنيا كلا المسدسين الألمانيين، ومرر أحدهما إلى الجنرال، واحتفظ بالآخر لنفسه.
’سنقوم بحصدهم الآن‘ قال السيد تاغومي وعاد جالسا مع مسدسه الكولت 44. كما السابق، وقال ’ثلاثي عظيم في هذا المكتب‘.
نادى صوت من الرواق ’أيها السفاحون الألمان استسلموا‘.
’لقد تدبرنا أمرهم‘ أجاب السيد تاغومي ’مستلقون إما أمواتا وإما يحتضرون، تقدم وتحقق من هذا بنفسك‘.
ظهر جزء من موظفي نيبون تايمز بحذر شديد بعضهم يحمل أسلحة أعمال الشغب كالسواطير والبنادق وقنابل مسيلة للدموع.
’قضية جماهيرية‘ قال السيد تاغومي ’حكومة ولايات المحيط الهادئ الأمريكية في ساكرامنتو ستعلن الحرب على الرايخ دون تردد‘ فتح مسدسه من مِقبضه ’على أي حال، أمر منتهٍ‘.
’سينكرون تورطهم‘ قال السيد باينز ’أسلوب مثالي، استُخدم لمرات غير معدودة‘.
ألقى المسدس ذا الكاتم على طاولة مكتب السيد تاغومي وقال ’صنع في اليابان‘.
لم يكن يمزح، الأمر صحيح ومسدس التصويب ياباني ذو جودة ممتازة. تفحصه السيد تاغومي.
’وليسوا مواطنين ألمان قال السيد باينز وقد أخذ محفظة الرجل الميت الأبيض ’مواطن من و.م.أ، يسكن في سان خوسيه. لا شيء يربطه بجهاز الأمن النازي. اسمه جاكساندرس‘ ثم رمى المحفظة أرضا.
’حادثة سطو‘ قال السيد تاغومي ’والدافع: سرداب الخزينة المقفل؛ لا توجد جوانب سياسية‘ ونهض على قدميه متزعزعا.
بغض النظر عن كل هذا، محاولة الاغتيال أو الخطف التي أديرت عبر جهاز الأمن- باءت بالفشل، في الأقل، هذا ما حدث مع الأولى، لكن من الجلي أنهم يعرفون هوية السيد باينز، وبلا شك لماذا جاء إلى هنا.
’التوقعات قاتمة‘ قال السيد تاغومي.
تساءل فيما إذا كان المُستخار ذا نفع في هذه اللحظة. ربما كان بإمكانه حمايتهم، أو تحذيرهم، أو وقايتهم بنصيحة.
ما زال متزعزعا تماما، وبدأ يخرج أعواد اليارو التسعة والأربعين. الموقف بأكمله مُربك وغريب، جزم هذا. لا يمكن لأي ذكاء إنساني أن يفك لغزه، فقط

العقل الجماعي لخمس آلاف سنة يمكنه هذا. يجمع المجتمع الشمولي الألماني بعضا من أشكال الحياة المغلوطة، أسوأ من الشكل الطبيعي. سيئ في كل إضافاته- مزيج من العبث.
هنا، فكّر، يعمل جهاز الأمن النازي المحلي أداة لسياسة تعارض كلي مع الرأس برلين. أين يمكن أن يكون المنطق في هذا التركيب؟ من ألمانيا فعليا؟ ومن كانت حتى؟ يبدو الأمر تقريبا مثل تفسير كابوس محاكاة ساخرة لمشاكل حياة اليقظة التي واجهناها. سيقطع المستخار الشك باليقين. بمقدور ألـ I ching أن يفهم حتى سلالة القطط الشبيهة بألمانيا النازية.
رأى السيد باينز السيد تاغومي يتلاعب متحيرا بحفنة من الأعواد النباتية، وأدرك عمق القلق الذي كان الرجل فيه. فكّر السيد بانيز، لقد اضطّره هذا الحدث على قتل هذين الرجلين والتمثيل بهما، أمر ليس مريعا فحسب بل ولا يمكن تفسيره.
ما الذي يمكنني قوله لأواسيه؟ لقد أطلق النار لأجلي، المسؤولية الأخلاقية لحياة هذين الرجلين في عهدتي الآن وأقبل بها. أرى الأمر من هذا المنظور.
أتى الجنرال تيديكي إلى جانب السيد باينز وقال بصوت ناعم 'أنت شاهد على قنوط هذا الرجل، لقد نشأ -كما ترى- وبلا شك نشأة بوذيّة، حتى لو لم يمكن ذلك رسميا لكن تأثيرها موجود. ثقافة إن حياة لا يجب أن تُسلب مهما كانت؛ كل الحيوات مقدسة'.
أومأ السيد باينز.
'سيسترد توازنه' استمر الجنرال تيديكي 'بمرور الوقت. لا يملك الآن موضع استشراف يمكنه من فوقه الرؤية وإدراك فعله. سيساعده ذاك الكتاب، إنه يزود بمناط إسناد خارجي'.
'نعم' قال السيد باينز وفكر في مناط إسناد آخر قد يساعده ويكمن في عقيدة الخطيئة الأصلية. أتساءل فيما إن كان سمع بها من قبل. نحن جميعا محكومون بارتكاب أفعال قاسية أو عنيفة أو شريرة، إنه قدرنا بسبب العناصر القديمة. الكارما خاصتنا*.
اضطر السيد تاغومي لأنقاذ حياة واحدة أن يسلب اثنتين. لا يمكن للعقل المتوازن والمنطقي أن يفهم مغزى ذلك. يمكن لرجل لطيف مثل السيد تاغومي أن يصبح مجنونا بسبب لزوميات واقع كهذا. ومع ذلك فكّر السيد باينز، لا تقع النقطة المفصلية في الحاضر، ولا حتى في موتي أو موت عنصري جهاز الأمن بل تقع

-افتراضيا- في المستقبل. ما حدث هنا قد يبرر أو لا يبرر بما سيحدث لاحقا. هل يمكننا إنقاذ حياة الملايين، وكل اليابان في الواقع؟
لكن الرجل الذي يتلاعب بالأعواد النباتية لم يستطع التفكير بذلك الحاضر والحقيقة. كلاهما واقعي جدا، الألماني الميت والآخر اللافظ أنفاسه فوق أرضية المكتب.
لقد كان الجنرال تيديكي محقا- سيمنح الزمن السيد تاغومي وجهة نظر، إما أن يحدث هذا وإما إنه سيتقهقر إلى ظل المرض العقلي، ويجانبه بصره إلى الأبد بسبب التعقيد الميؤوس منه.
ونحن في الحقيقة لسنا مختلفين عنه، فكّر السيد باينز، نواجه الإرباكات نفسها لذلك -ولسوء الحظ- لا يمكننا مساعدة السيد تاغومي. لا يسعنا سوى الانتظار آملين في النهاية أن يتعافى ولا يهلك.

---

* كارما: تعني الفعل أو الحدث أو التصرف وتشير أيضا إلى المبادئ الروحانية للأسباب والنتيجة، إذ النية والأفعال الصالحة تساعد في حصولنا على كارما جيدة وسعادة أكبر، والنية والأفعال الطالحة تساعد في حصولنا على كارما سيئة وتعاسة.

13

وجدا في دنفر متاجرَ عصرية وأنيقة. كانت أسعار الملابس مُذهلة، فكّرت جوليانا، لكن جو لم يبدُ عليه إنه مهتمٌ أو حتى لاحظها، كان يدفع ببساطة لكل ما اختارته، ليسرعا بعدها إلى متجر آخر.

اقتنت في نهاية اليوم أهم مشترياتها -بعد الكثير من تجريب الأثواب والرفض المطوّل والمتعمد- ثوبا أزرقَ سماوي إيطاليَ المنشأ بأكمام قصيرة ورقيقة وبفتحة جِيد عريضة. شاهدت عارضة ملابس ترتدي ثوبا مشابها في مجلة الأزياء الأوروبية، وكان قد عُدَّ أجمل أزياء السنة، وكلّف جو قرابة مئتي دولار. كانت بحاجة إلى ثلاثة أزواج من الأحذية، إضافة إلى جوارب نايلون، وعديد القبعات، وحقيبة جلدية سوداء جديدة مصنوعة باليد لتكتمل طلتها معه. واكتشفت أن فتحة جيد الثوب الإيطالي بحاجة إلى حمالات جديدة تُغطي الجزء السفلي من كل ثدي فحسب. شعرت وهي تستعرض نفسها تُجاه المرآة الطويلة في محل الملابس بأن الثوب متعرٍ بإفراط وشعرت بعدم الارتياح عند انحنائها إلى الأمام، لكن البائعة أكدت لها أن حمالة الصدر النصفية ستبقى ثابتة في مكانها حتى مع عدم وجود حزام ماسك.

يغطي الحلمة فحسب، فكّرت جوليانا عندما أمعنت النظر في نفسها في غرفة تبديل الملابس الخاصة، ولا يوجد حتى مليمتر واحد إضافي. كلفت الحمالات الشيء الكثير تقريبا، مستوردة أيضا، وضّحت البائعة، وكذلك صناعة يدوية. عرضت البائعة الملابس الرياضية، والسراويل القصيرة، وطُقم ملابس الاستحمام، ورداء الشاطئ الوبري لكنَّ جو أصبح فجأة مهتاجا، لذا غادر.

قالت في اللحظة التي وضع جو الأكياس والرزم داخل السيارة ’ألا تعتقد أني سأبدو استثنائية؟‘.

’نعم‘ أجاب بصوت شارد ’لا سيما الثوب الأزرق، ارتديه حين نذهب إلى هناك، إلى أبندسن. تفهمين؟‘ نطق الكلمة الأخيرة بحدة كما لو كان أمرا؛ أذهلتها النبرة.

’قياسي اثنتا عشرة أو أربع عشرة‘ قالت حين دخلا إلى محل الملابس الآخر. ابتسمت البائعة بلطف ورافقتهما إلى رفوف الثياب. ما الذي تحتاجه أيضا؟ تساءلت جوليانا. من الأفضل أن تأخذ كل ما يمكنها اقتناءه بأقصى حد ممكن، جالت عيناها في كل مكان في لحظة، البلوزات، والتنانير، والسترات، والبناطيل،

والمعاطف. نعم معطف ’جو‘ قالت ’عليَّ أن آخذ معطفا طويلا لكن لا أريده من القماش‘.
توصلا إلى حل وسط بأخذ واحد من معاطف الألياف الاصطناعية ألماني المنشأ، كان ذا متانة أكثر من الفرو الطبيعي وأقل كلفة، إلا أنها شعرت بخيبة أمل. ولتبهج نفسها بدأت بتفحص المجوهرات لكنها كانت أطقم خردة كئيبة بدون إبداع أو أصالة.
’لا بد أن أقتني بعض المجوهرات‘. أوضحت لجو ’أقراط أذن في الأقل أو دبوس يتلائم مع الثوب الأزرق‘. قادته في الممر إلى متجر المجوهرات ’وملابسك‘ تذكرت شاعرة بالذنب ’علينا أن نتبضّع لك أيضا‘.
حينما كانت تبحث عن متجر المجوهرات، توقف جو عند صالون حلاقة لأجل تسريحة شعره، وتفاجأت عندما ظهر بعد نصف ساعة، لم يقصر شعره إلى أقصى درجة بل وصبغه أيضا. بالكاد استطاعت أن تميزه فقد أصبح أشقرَ الآن. رباه، فكّرت محدقة إليه. لماذا؟ قال جو هازا كتفه ’سأمتُ من كوني إيطاليا‘. هذا كل ما رغب بقوله، ورفض أن يناقش عندما دخلا إلى متجر الملابس الرجالية وبدآ بالتبضّع له.
اشتريا له سترة مفصّلة بشكل جميل مصنوعة من شركة Duponts للألياف الاصطناعية- البولي إيثيلين، وجواربَ جديدة، وملابسَ داخلية، وزوجين من حذاء أنيق بمقدمة مدببة. والآن ماذا؟ فكّرت جوليانا. قصمان وربطات عنق، التقطت والموظف قميصين أبيضين بأزرار كم فرنسية، وعديد ربطات العنق المصنوعة في فرنسا، وزوجين من أزرار أكمام فضية خارجية مُثبتة. استغرق الأمر. أربعين دقيقة لتبضّع كل. ما. يحتاجه؛ كانت. متعجبة لإيجادها. الأمر. سهلا جدا على النقيض من التبضّع لنفسها.
يجب أن تُغيّر سترته، فكّرت، لكن جو اهتاج مجددا، ودفع الفاتورة بالأوراق النقدية لمصرف الرايخ التي حملها. أعرف شيئا آخر، أدركت جوليانا. محفظة جيب جديدة، لذا فقد اختارت له مع الموظف محفظة جيب جلد تمساح سوداء، وهذا كل شيء. غادرا المتجر وعادا إلى السيارة، كانت الساعة الرابعة والنصف والتبضّع -في الأقل على حد علم جو- انتهى.
سألت جو في اللحظة التي بدأ يقود خارجا من زحام وسط مدينة دنفر ’ألا ترغب في تخصير سترتك-‘.

’لا‘. أجفلها صوته الفظ واللا أبالي.
’ما الخطب؟ هل اشتريت أكثر مما يجب؟‘ أعلم أن هذا هو السبب، قالت لنفسها أنفقت الكثير جدا. ’بإمكاني أن أرجع بعض التنانير‘.
’لنتناول العشاء‘ قال جو.
’رباه‘ هتفت ’عرفت ما الذي لم أشتره. قمصان النوم‘. حدق إليها بشراسة.
’ألا تريدني أن أحظى ببعض البيجامات الجميلة الجديدة؟‘ قالت ’لذا سأكون نضرة بالكامل و-‘.
’لا‘ هزَّ رأسه. ’انسيها. ابحثي عن مكان لنأكل‘.
قالت جوليانا بصوت حازم ’سنذهب للحجز في الفندق أولا ليكون بإمكاننا تبديل ملابسنا بعدها سنتناول الطعام‘. ومن الأفضل أن يكون فندقا جيدا حقا، فكّرت، وإلا سيذهب كل شيء سدى.
وسنسألهم في الفندق عن أفضل مكان في دنفر لنتناول فيه الطعام، وعن اسم ملهى جيد حيث يمكن أن نرى فيه عرْضا لمرة واحدة في العمر، لا بعض المواهب المحلية بل لبعض الأسماء الكبيرة من أوروبا مثل إيلانور أو بيريز أو ويلي بيك. أعرف نجوم يو. إف. أي.* العِظام أمثال الذين يأتون إلى دنفر لأني رأيت الإعلانات. ولن أرضى بأي شيء أقل منه.
بقيت جوليانا محدقة إلى الرجل بجانبها عندما كانا يبحثان عن مطعم لائق. لم يبدُ الشخص نفسه بشعره الأشقر القصير، وملابسه الجيدة، فكّرت. هل يعجبني أكثر بهذه الهيئة؟ من الصعب معرفة هذا. وسنبدو شخصين مختلفين تقريبا عندما أتمكن من إنهاء تسريحة شعري. خُلقنا من العدم أو بالأصح، من المال، يجب عليَّ أن أصفف شعري، قالت لنفسها.
وجدا فندقا فخما في وسط مدينة دنفر يقف أمامه بواب بزي رسمي وظيفته ركن السيارات. هذا ما كانت ترغب به. أتى صبي الفندق مسرعا -في الحقيقة كان رجلا بالغا يرتدي زيا كستنائي اللون- وحمل أكياسهم ورزمهم، وتركهم لا يقومون بشيء سوى صعود الدرجات العريضة التي يغطيها السجاد تحت مظلة المدخل، ومرّا عابرين بأبواب الزجاج وخشب الماهوغاني نحو الردهة.
محلات صغيرة على كلا جانبي الردهة، محلات زهور، وهدايا، وحلوى، ومحل

---

* شركة ألمانية لإنتاج الأفلام وبرامج التلفاز، تأسست في سنة 1917.

تليغراف، ومنضدة لحجوزات الطيران، وصخب الضيوف عند المنضدة والمصاعد، ونباتات في مزهريات عملاقة، وتحت أقدامهما سجاد ناعم وثخين... كان بإمكانها شم رائحة الفندق، وعديد الناس، والحيوية. أشارت علامات النيون نحو اتجاه مطعم الفندق، وبار الاستراحة، ومطعم الوجبات الخفيفة، هنا يقع. استطاعت بالكاد ملاحظة كل هذا عندما عبرا الردهة ووصلا في الأخير إلى منضدة الحجوزات.

كان هناك حتى متجر كتب.

عندما كان جو يوقع الحجز الفندقي، استأذنت وأسرعت نحو متجر الكتب لترى ما إذا كانوا يبيعون الجندب. نعم، لقد كان هناك، نسخ براقة مرصوفة في الحقيقة، مع لوحة عرض تذكر مدى شعبية وأهمية الكتاب، وبالطبع إنه محظور في مناطق تحت إدارة الرايخ. انتظرتها امرأة مبتسمة في منتصف العمر، ولطيفة جدا بما للجدات من لطف. وبدت الأربعة دولارات، سعر الكتاب، لجوليانا غاليا جدا لكنها دفعته بأوراق مصرف الرايخ النقدية ساحبة إياها من محفظة نقودها الجديدة وانسلت عائدة إلى جو.

قدم صبي الفندق حاملا أكياسهما إلى المصعد وصعد بهما إلى الطابق الثاني ثم على طول

الممر -الصامت والدافئ والمفروش- نحو غرفتهما الرائعة والحابسة للأنفاس. فتح صبي الفندق باب الغرفة لهما، وحمل كل شيء إلى الداخل، وضبط النافذة والأضواء؛ منحه جو بقشيشا ثم غادر مغلقا الباب وراءه.

بدا كل شيء بالضبط كما أرادت.

’كم سنمكث في دنفر؟‘ سألت جو الذي بدأ بفتح الأكياس فوق السرير ’قبل أن ننطلق إلى تشيني؟‘.

لم يجبها، وأصبح مشغولا بمحتويات حقيبة سفره.

’يومان أم ثلاثة؟‘ سألت جو فور خلعها معطفها ’ألا تعتقد أن بإمكاننا أن نبقى ثلاثة؟‘.

أجابها جو رافعا رأسه ’سنمضي الليلة‘.

لم تفهم في البداية، وعندما فهمته لم يكن بإمكانها أن تصدقه. حدّقت إليه وبادلها التحديق بتجهم وبتعبير ساخر تقريبا. تقلّص وجهه بتوتر هائل أكثر من أي إنسان

آخر رأته في حياتها سابقا. لم يتحرك، بدا كأنه مشلول هناك بيديه الممتلئتين بالملابس من حقيبة السفر، وانحنى جسده.
’بعد أن نتناول الطعام‘ أضاف.
لم تستطع التفكير بأي شيء لتقوله.
’لذا ارتدي ذاك الثوب الأزرق الذي كلّف باهظا‘ قال ’الثوب الذي أعجبك، الثوب الجيد حقا- أتفهمين؟‘ وبدأ بفك أزرار قميصه الآن ’أنا ذاهب لأحلق وآخذ حماما ساخنا‘. كان صوته بنبرة آلية كما لو أنه كان يتكلم من على بعد أميال عبر أداة ما، ثم اتجه ماشيا نحو الحمام بخطوات صلبة ومتشنجة.
تمكنت من القول بصعوبة ’لقد تأخر الوقت كثيرا الليلة‘.
’لا. سنكون على مائدة العشاء قرابة الخامسة والنصف أو السادسة في الأكثر، ويمكننا أن نصل إلى تشيني في ساعتين أو ساعتين ونصف، أي سنكون هناك قرابة الثامنة والنصف فحسب، قولي في التاسعة في الأغلب. نستطيع أن نتصل من هنا، ونخبر أبندسن بأننا قادمون، اشرحي له الوضع. سيترك هذا انطباعا، اتصال من مسافة بعيدة. قولي هذا- إننا مسافرون جوا إلى الساحل الغربي، وسنمكث في دنفر هذه الليلة فقط، لكننا متحمسون بشأن كتابه وسننطلق بالسيارة إلى تشيني ونرجع الليلة أيضا، فقط من أجل فرصة لـ-‘.
قاطعته ’لماذا؟‘.
بدأت عيناها تغرورق بالدموع، وألفت نفسها تشد قبضتيها وإبهاميها إلى الداخل مثلما كانت تفعل وهي طفلة وشعرت بفكها يرتعش، وعندما تحدثت كان صوتها بالكاد يُسمع. ’لا أريد الذهاب ورؤيته الليلة، لست بذاهبة. لا أريد هذا إطلاقا حتى في الغد. أريد أن أرى المعالم هنا فحسب مثلما وعدتني‘. وفور تحدثها ظهر ذاك الفزع مجددا واستقر في صدرها، الخوف الأعمى الغريب الذي بالكاد اختفى، حتى في تلك اللحظات الطيبة برفقته. غمرها حتى قمتها وهيمن عليها، وشعرت به يرتجف في وجهها بوضوح لذا كان يمكنه بسهولة ملاحظته.
قال جو ’سنمضي بسرعة إلى هناك وبعد أن نعود- سنتجول في الأرجاء هنا‘ تكلم بعقلانية لكنه ما زال بذاك اللا تجاوب الصارم كما لو أنه يتلو عن ظهر قلب.
’لا‘ قالت.
’ارتدي ذاك الثوب الأزرق‘ فتّش حوله في الرزم حتى وجده في أكبر علبة. أزال الشريط بعناية وأخرج الثوب، وألقاه على السرير برزانة، لم يتعجل. ’حسنا؟

ستكونين فائقة الجمال، انصتي، سنشتري زجاجة سكوتش باهظة ونأخذها معنا. نوع فات 69‘.
فرانك، فكّرت، ساعدني فأنا متورطة في شيء لا أفهمه.
’إنها تبعد كثيرا‘ أجابت ’أبعد مما تدرك. لقد نظرت في الخارطة. سيكون الوقت متأخرا حقا عندما نصل هناك، متجاوزة الحادية عشرة أو بعد منتصف الليل‘.
قال ’ارتدي الثوب أو سأقتلك‘.
أغلقت عينيها وقهقهت. تدريبي، فكّرت كان صائبا بعد كل هذا، سنرى الآن. هل يمكنه قتلي أو أستطيع أن أقبض على عصب ظهره وأشلّه مدى الحياة؟ لكنه قاتل القوات الخاصة البريطانية، لقد مرَّ بهذا سابقا، منذ سنوات عديدة.
’أعلم أنه قد تستطيعين طرحي أرضا‘ قال جو ’أو ربما لا يمكنك‘.
’ليس طرحك أرضا‘ قالت ’بل أصيبك بعاهة مستديمة. وأستطيع حقا فعلها. لقد عشت في الساحل الغربي، وعلمني اليابانيون هناك في سياتل. اذهب إلى تشيني إن أردت واتركني هنا. لا تحاول إجباري. أنا خائفة منك وسأحاول-‘ تكسَّرَ صوتها ’سأحاول أن أوذيك بشدة إن حاولت التقرب مني‘.
’هيّا- ارتدي الثوب اللعين، لأجل ماذا كل هذا؟ لا بد أنك مجنونة، تتحدثين عن القتل والإصابة بعاهة فقط لأني أريدك أن تصعدي السيارة بعد العشاء وقيادتها في الطريق السريع برفقتك لنرى صاحب الكتاب الذي-‘.
ثمَّ طرق على الباب.
مشى جو إليه وفتحه. قال ولد بزي رسمي في الممر ’خدمة الغرف. لقد طلبتها عند منضدة الحجز، سيدي‘.
’أوه، نعم‘ قال جو وخطا بسرعة نحو السرير، وجمع القمصان البيضاء الجديدة التي اشتراها وحملها إلى صبي الفندق. ’هل بإمكانك أن تعيدها بعد نصف ساعة؟‘.
’كي الطيّات فحسب‘ قال الولد متفحصا إياها ’بدون غسيل. نعم، أنا متأكد أنه بإمكانهم هذا سيدي‘.
عندما أغلق جو الباب قالت جوليانا ’كيف علمت أن القمصان البيضاء لا يمكن أن تُلبس حتى تكوى؟‘.
لم يجب وهزَّ كتفيه.

’لقد نسيت‘ قالت جوليانا ’والمرأة يجب أن تعلم... عندما تنزع عنهم السيلوفان سيتجعدون بالكامل‘.
’عندما كنت يافعا اعتدت أن أتهندم وأخرج كثيرا‘.
’كيف عرفت أنه يوجد في الفندق خدمة غرف؟ لم أعلم بها. هل حقا قمت بقص شعرك وصبغه، أعتقد أن شعرك أشقر دائما، وبأنك كنت ترتدي شعرا مستعارا، أليس كذلك‘.
هزَّ كتفه أيضا.
’لا بد أنك عنصر من جهاز الأمن النازي‘ قالت ’تتظاهر بأنك سائق شاحنة إيطالي. ولم تقاتل قط في شمال إفريقيا، حقا ها؟ ومن المفترض قدومك إلى هنا لقتل أبندسن، أليست مهمتك هذه؟ أعلم أن الأمر هكذا. أعتقد أني غبية جدا‘.
شعرتْ بإحباط وقنوط.
بعد صمت، قال جو ’بالتأكيد قاتلت في شمال إفريقيا. ربما ليس في وحدة بطارية المدفع بقيادة باردي لكن مع ألـ Brandenburgers‘ وأضاف ’القوات العسكرية الألمانية الخاصة. تسللنا إلى مقرات الجيش البريطاني. لا أرى بأن هذا يحدث فرقا، لقد واجهنا الكثير من الأحداث. كنت في القاهرة ونلت ميدالية، وإشادة معركة، ورتبة عريف‘.
’هل قلم الحبر ذاك سلاح؟‘.
لم يجبها.
’قنبلة‘. أدركت فجأة، وصرخت ’قنبلة موقوتة، نوع من القنابل السلكية التي تنفجر حين يلمسها شخص ما‘.
’لا‘ قال ’ما رأيته عبارة عن آلة إرسال واستقبال بقدرة 2-واط لأجل أن أبقى على اتصال لا سلكي، في حالة كان هناك تغييرا في الخطة بشكل متزامن يومي مع الوضع السياسي في برلين‘.
’تتحقق منهم قبيل التنفيذ لتتأكد‘.
أومأ.
’أنت لست إيطاليًا؛ بل ألمانيًا‘.
’سويسري‘.
قالت ’زوجي يهودي‘.

’لا أكترث بشأن زوجك. كل ما أريده منك هو أن ترتدي ذاك الثوب وتهيئي نفسك لكي نستطيع الذهاب لتناول العشاء. صففي شعرك بوسيلة ما، تمنيتُ لو كان باستطاعتكِ تصفيف شعرك. ربما ما يزال صالون تجميل الفندق مفتوحا. بإمكانك أن تقومي بهذا في حين أنتظر قمصاني وآخذ حماما سريعا‘.

’كيف ستقتله؟‘.

قال جو ’ارتدي ثوبك الجديد رجاءً، جوليانا. سأتصل بهم وأسألهم عن مصففة الشعر‘. ثم مشى باتجاه الهاتف في الغرفة.

’لماذا تريدني أن أمضي معك؟‘.

أدخل جو رقم الهاتف، وقال ’لدينا ملف عن أبندسن ويبدو أنه ينجذب إلى نوع معين من الفتيات السمر المثيرات من منطقة الشرق الأوسط أو البحر المتوسط‘.

عندما كان جو يتكلم مع موظفي الفندق ذهبت جوليانا إلى السرير واستلقت عليه. أغلقت عينيها وظللت وجهها بذراعيها.

’لديهم مصففة شعر‘ قال جو عندما أغلق الهاتف ’وبإمكانها الاعتناء بك فورا. انزلي إلى الصالون، إنه الطابق الأوسط‘. وضع بيدها شيئا ما، فتحت عينيها ورأت المزيد من أوراق مصرف الرايخ النقدية. ’ادفعي لها‘.

’اتركني مستلقية هنا. رجاءً؟‘.

نظر إليها بفضول بالغ واهتمام.

’كان يمكن لسياتل أن تكون مثل سان فرانسيسكو‘ قالت ’لو لم يقع حريق الغريت فاير*، ولم توجد البنايات الخشبية القديمة ذات قطع القرميد ولا التلال، مثل سان فرانسيسكو التي أعادها اليابانيون إلى زمن بعيدٍ قبل الحرب. لقد استحوذوا على قطّاع الأعمال بأكمله، والمنازل والمتاجر وكل شيء، مدة طويلة. لأجل الميناء. علمني ذلك الياباني المسن الضئيل مينورو إتشوياسو- ذهبت إلى هناك برفقة تاجر بحري، وعندما كنت هناك بدأت بتلقي الدروس. كان مينورو يرتدي سترة وحزام، ومدورا مثل يو-يو. درَّسَ في الطابق العلوي لمكتب بناية يابانية، وكان على باب مكتبه كتابة ذهبية ذات طراز قديم، وغرفة انتظار مثل مكتب طبيب الإنسان مع مجلة ناشيونال جيوغرافيك.

---

* حريق وقع سنة 1889 في سياتل.

انحنى جو فوقها وأمسك ذراعها ورفعها في وضعية جلوس، وساعدها ثم أسندها. ’ما خطبك؟ تبدين كما لو أنك مريضة‘. أمعن النظر في وجهها متفحصا سماتها.
’أنا أحتضر‘ قالت.
’إنها مجرد نوبة قلق. ألا تعانين منها طوال الوقت؟‘ يمكنني أن أجلب لك مسكّنا من صيدلية الفندق. ماذا عن الفينوباربيتال؟ ولم نأكل شيئا منذ العاشرة صباحا. ستكونين بخير. عندما نذهب إلى أبندسن لن تضطري لفعل شيء، ققي فقط معي؛ سأدير الحوار. ابتسمي فقط واستأنسي برفقتنا لكي يبقى معنا ولا يتركنا ذاهبا إلى مكان ما. عندما يراكِ، أنا متأكد أنه سيسمح لنا بالدخول لا سيما مع ثوبكِ الإيطالي ذي الفتحة كما لو أنه مفصّل لكِ. سأدعك تدخلين بنفسي لو كنت مكانه‘.
’دعني أذهب إلى الحمام‘ قالت ’أنا مريضة، أرجوك‘ تحررت منه بصعوبة ’أنا أمرضُ-
دعني أذهب‘.
تركها فسلكت طريقها عبر الغرفة باتجاه الحمام وأغلقت بابه خلفها.
بإمكاني فعلها، فكّرت. فتحت الإنارة فأبهرتها وأغمضت جفنيها نصف إغماضة. بإمكاني إيجاده. في خزانة الدواء علبةُ شفرات حلاقة جميلة، وصابون، ومعجون أسنان. فتحت علبة الشفرات الصغيرة، واحدة حادّة، نعم. فضّت غلاف الشفرة الزرقاء المسودة الملساء.
أدارت صنبور ماء الحمام، وخَطَتْ تحته- يا إلهي، دخلت بملابسها. منهارة. التصق ثوبها وسال شعرها. تعثرت مرعوبة، وتلمست مترنحة دربها لتخرج. يقطر الماء من جوربيها... وشرعت بالبكاء.
وجدها جو ثابتة قرب المرحاض قد خلعت ثوبها المبلل والمخرّب، وقفت عارية تسند نفسها بذراع واحدة مائلة ومسترخية. ’رباه‘ قالت له عندما أحسّت بوجوده ’لا أعرف ماذا أفعل. خرَبَ قميصي إنه من الصوف‘. أشارت والتفت إلى كومة الملابس المبللة.
قال بهدوء -لكن وجهه مكروب- ’حسنا، لن ترتديه في أي حال‘. جففها بمنشفة الفندق البيضاء الزغبية، وأخرجها من الحمام وعاد بها إلى الغرفة الرئيسة المفروشة الدافئة.
’البسي سروالك الداخلي- البسي شيئا ما. سأجعل مصففة الشعر تصعد إلى هنا. لا بد أن تأتي، هذا كل ما في الأمر‘. التقط الهاتف واتصل مجددا.

’ماذا أعطيتني مع الحبوب؟‘ سألته عندما أنهى الاتصال.
’نسيت. سأتصل بالصيدلية. لا، انتظري. لدي شيء ما، نيمبوتال أو دواء لعين ما‘ أسرعَ إلى حقيبة سفره وبدأ بالبحث.
قالت له عندما أخرج كبسولتين صفراوين ومنحها إياهما ’هل سيدمراني؟‘ وأخذتهما بطيش.
’ماذا؟‘ قال ووجهه متشنج.
ينخر جزئي السفلي، فكّرت، يُجدب أُرْبيَّتي. ’أقصد‘ قالت بحذر ’يضعف تركيزي؟‘.
’لا- إنه مجرد أي. جي. منتج كيماوي أعطوني إياه في الوطن. أستعمله حين لا أقدر على النوم. سأجلب لك كأس ماء‘. وركض ذاهبا.
الشفرة، فكرة. لقد ابتلعتها؛ ستقطّع الآن حَقْوي إلى الأبد. عقابٌ لزواجي من يهودي وإقامتي مع قاتل غيستابو. وشعرت بالدموع تسخنُ في عينيها. على كل ما ارتكبته. محطمة. ’دعنا نذهب‘ قالت ونهضت على قدميها ’مصففة الشعر‘.
’أنت عارية‘. قادها ثم أقعدها، وحاول أن يلبسها سروالها الداخلي دون نجاح‘.
’لا بد أن يُصفف شعركِ‘.
قال بصوت يائس ’أين تلك العاهرة، تلك المرأة؟‘.
قالت. متحدثة. ببطء وعناء ’الشَعْر يخلق عناءً يستر مواضع. عُري، مُخبِّئا، لا اختباء من التعلّق بسنارة. سنارة من الرب‘. تعاطي الحبوب جعلها تهذي ’هِير، هيير، هِر‘*. من المحتمل أنه حامض تربنتين، اجتمع الكل عليَّ وقرر، خَطِر وأشد مذيب يسبب تآكلي إلى
الأبد. شحب جو محدقا إليها، لا بد أنه يقرأني، فكّرت، قرأ عقلي بآلته، على الرغم من أني لا أستطيع إيجادها.
’هذه الحبوب‘ قالت ’تُربك وتُشوّش‘.
قال ’لم تتناوليهم‘ وأشار إلى كفها المقبوضة، اكتشفت أنها ما زالت تحملها، ’أنت مريضة عقليا‘ قال، وأصبح ثقيلا وبطيئا مثل كتلة هامدة ’أنت مريضة. لا يمكننا الذهاب‘.

Hair, hear, Hur *. شعر، سمع، عاهرة. تلفظت جوليانا بهذه الكلمات هاذية والكلمات تدل على الهذيان والجناس ما بين الكلمات التي تفكر بها وسمعتها من جو.

’لا حاجة لطبيب‘ قالت ’سأكون بخير‘. وحاولت أن تبتسم، وراقبت وجهه لتعرف فيما لو ابتسمت. تفطّنَ لأفكاري باستبصار من دماغه.
’لا يمكنني أخذك إلى آل أبندسن‘ قال ’ليس الآن، على أي حال. غدا، ربما ستتحسنين. سنحاول غدا، علينا هذا‘.
’هل يمكنني الذهاب إلى الحمام ثانية؟‘.
أومأ، يتفاعل وجهه كما لو بالكاد يسمعها، لذا فقد رجعت إلى الحمام وأغلقت الباب مجددا.
أخذت من الخزانة شفرة أخرى بيدها اليمنى وخرجت مرة أخرى.
’باي-باي‘ قالت.
صرخ عندما فتحت باب الممر وأسرع إليها وجن جنونه.
أمسكها بحركة خاطفة ’أمر مروع‘ قالت ’إنهم ينتهكون الحرمات. كان يجب أن أعرف‘.
مستعد لمواجهة سارق المحفظات، متصيدي الليل المتنوعين، يمكنني التعامل معهم بالتأكيد. أين. حدث هذا مرة؟ ضربت. عنقه ووثبتْ. ’دعني أمر.‘ قالت. ’لا تعترض طريقي ما لم تُرد أن ألقنك درسا. على أي حال، فإنه للنساء فقط‘. التقطت الشفرة وذهبت لتفتح الباب. تجندل جو، ويديه تضغطان على جانب حنجرته بهيئة مصاب بسفعة شمس. ’وداعا‘ قالت وأغلقت الباب خلفها، والممر المفروش الدافئ.
كانت امرأة ترتدي ثوبا أبيض تطنطن أو تغني، تدفع عربة تتقدم وتحدق ببلاهة إلى أرقام الأبواب، ووصلت قبالة جوليانا؛ رفعت المرأة رأسها وجحظت عيناها واتسع فمها.
’أوه، عزيزتي‘ قالت ’أنت ثملة حقا وبحاجة إلى أكثر من مصففة شعر. ادخلي إلى غرفتك الآن وارتدي ثيابك قبل أن يرموكِ خارج الفندق. يا إلهي‘. فتحت الباب خلف جوليانا ’هل أفقدك زوجكِ صوابكِ. سأتصل بغرفة الخدمة ليبعثوا بكوب قهوة ساخن، أرجوك ادخلي إلى غرفتك الآن‘. دفعت جوليانا إلى داخل الغرفة وضربت الباب غالقة إياه خلفها وتلاشى صوت عربتها.
مصففة شعر محترمة، أدركت جوليانا. نظرت إلى الأسفل ورأت أنها لم تك تلبس شيئا، لقد كانت المرأة محقة.
’جو‘ قالت ’لن يدعونني‘ وجدت السرير، وحقيبة السفر، فتحتها وأخرجت ثيابا.

ملابس داخلية ثم بلوزة زرقاء وتنورة... وزوجا حذاء قصير الكعب. ’أرْجَعوني‘ قالت.
وجدت مشطا ومشطت شعرها بسرعة ثم سرحته بالفرشاة. ’يا لها من تجربة. كانت المرأة في الخارج تفصلها طرقة باب‘. نهضت وذهبت لإيجاد المرآة. ’هل هذا أفضل؟‘ مرآة في باب الخزانة فاستدارت فاحصة نفسها، والتفتت واقفة على رؤوس أصابعها.
’أنا محرجة‘ قالت محدقة في المكان تجاه جو ’بالكاد أعرف ما الذي أفعله. لا بد أنك أعطيتني شيئا ما، أيا كان فقد أمرضني بدل أن يساعدني‘.
ما يزال مجندلا على الأرضية قابضا على جانب عنقه، قال جو ’انصتي، أنتِ جيدة جدا. لقد قطعتِ الأورطي، شريان في عنقي‘. وضعت يدها على فمها مقهقهة ’أوه رباه- يا لك من غريب. أقصد أنك ترص الكلمات بشكل خاطئ. الشريان الأورطي في صدرك، تقصد الشريان السباتي‘.
’إذا أبعدت يدي‘ قال ’سأنزف كل دمي في غضون دقيقتين. تعلمين هذا، لذا اجلبي بعض المساعدة، اجلبي طبيبا أو سيارة إسعاف. تفهميني؟ هل ستفعلينها؟ حالا. حسنا- ستتصلين أو تجلبين شخصا ما؟‘.
قالت بعد تأمل ’كنت أنوي‘.
’حسنا‘ قال ’بأي حال، اجلبيهم لي، لأجلي‘.
’اذهب بنفسك‘.
’لا أستطيع سده بالكامل‘ كان الدم يتسرب من بين أصابعه، شاهدته، نازلا إلى رسغه. بركة على الأرضية. ’لا أجرؤ على الحركة، يجب أن أبقى هنا‘.
ارتدت معطفها الجديد، وأخذت محفظتها الجلدية الجديدة المصنوعة باليد، ثم التقطت حقيبة سفرها وأكثر عدد ممكن من الرزم التي يمكن أن تضعها ولا سيما الصندوق الكبير الذي حرصت على أخذه وطوت الثوب الإيطالي الأزرق بعناية بداخله. نظرت إليه في الخلف عندما فتحت باب الممر ’ربما أستطيع أن أخبرهم في المكتب‘ قالت ’في الطابق الأرضي‘.
’نعم‘ قال.
’حسنا‘ قالت ’سأخبرهم. لا تبحث عني في شقتي في كانون سيتي لأني لن أعود إلى هناك، وأخذت معظم الأوراق النقدية لمصرف الرايخ، لذا أنا في حال جيد

بالرغم من كل شيء. وداعا، أنا آسفة‘. أغلقت الباب وأسرعت على طول الممر بأقصى سرعة استطاعتها ممسكة بحقيبة السفر والرزم.
كان يقف عند المصعد رجل أعمال مسن حَسَن الهندام مع زوجته، حملا عنها الرزم وفي الطابق الأرضي عند الردهة أعطوا الرزم إلى صبي الفندق.
’شكرا لكما‘ قالت جوليانا لهما.
حمل صبي الفندق بعدها حقيبة سفرها والرزم عبر الردهة وخارجا باتجاه الرصيف الأمامي، ووجدت موظف الفندق الذي شرح لها كيف تستعيد سيارتها.
كانت بعدها بقليل في المرآب الأسمنتي البارد أسفل الفندق تنتظر في حين جلب المرافق السيارة الستيدي بيكر. وجدت في محفظتها كل أنواع الفكة، منحت المرافق بقشيشا وأدركت أنها كانت تقود مرتقية الطريق المنحدر المُعلَّمَ بالأصفر ثم نحو الشارع المظلم بمصابيحه، وسياراته ولافتات إعلانات النيون.
حمّل بواب الفندق بزيه الرسمي بنفسه الأكياس والرزم إلى صندوق سيارتها مبتسما بتشجيع نابع من القلب فأعطته بقشيشا كثيرا قبل أن تقود مغادرة. لم يحاول أي أحد إيقافها وهذا ما أدهشها، حتى إنهم لم يرفعوا حاجبا. أعتقد أنهم يعرفون أنه سيدفع، جزمت هذا. أو ربما دفع سلفا عندما حجز لنا.
حينما كانت تقف بسيارتها مع السيارات الأخرى بانتظار تغير ضوء إشارة المرور تذكرت بأنها لم تخبرهم في المكتب عن جو المجندل فوق أرضية الغرفة وهو بحاجة إلى طبيب.
سيبقى ينتظر هناك من الآن حتى نهاية العالم أو حتى تظهر النساء المنظفات غدا في وقت ما. من الأفضل أن أعود، قررت، أو أتصل. أتوقف في حجرة هاتف.
إنَّ هذا تصرف أخرقُ جدا، فكرت حين كانت تبحث عن مكان تركن فيه السيارة وتتصل. من كان سيفكر منذ ساعة؟ عندما حجزنا، عندما تسوقنا... كنا في الأغلب سنستمر، نلبس ثيابنا ونخرج لتناول العشاء، وربما سنخرج إلى النادي الليلي. وشرعت مجددا بالبكاء، واكتشفت أن الدموع تقطر من أنفها، باتجاه البلوزة، وهي تقود. سيئ جدا أني لم أشاور المُستخار؛ كان يمكن أن يعلم ويحذرني. لماذا لم أشاوره؟ يمكنني أن أسأل في أي وقت، في أي مكان في الرحلة أو حتى قبل أن أغادر. بدأت تنوح بشكل لا إرادي، وصدر من الأنف عويل لم تسمعه من قبل، أرعبها، لكنّها لم تستطع أن تكبحه حتى بإطباق أسنانها معا. علت من أنفها ترنيمة مروعة، وصفير، ونحيب.

ركنت السيارة وأبقت المحرك يشتغل، وهي مرتجفة ويديها في جيبي معطفها. رباه، قالت لنفسها بتعاسة. حسنا، أعتقد أن هذا نوع من الأشياء التي تحدث. خرجت من السيارة وجرّت حقيبة سفرها من صندوق السيارة، وفتحتها في المقعد الخلفي وفتّشت بين الثياب والأحذية حتى أمسكت بمجلدين أسودين من كتاب المُستخار. هناك في المقعد الخلفي للسيارة والمحرك يشتغل، بدأت بتحريك العملات النقدية الثلاث لولايات الروكي ماونتن، مستعينة بوهج نافذة قسم المتجر لترى بواسطته. ما الذي سأفعله؟ سألته. أخبرني ماذا أفعل، أرجوك.
السداسية الثانية والأربعون، زيادة، بخطوط متحركة في الموضع الثاني والثالث والرابع والأعلى، لذلك تغيرت إلى السداسية الثالثة والأربعين، اقتحام. فحصت النص بنهم، حافظة المراحل المتوالية للمعنى في عقلها، ورابطة إياه ومدركته، رباه، إنه يصف الوضع كما هو- معجزة مرة أخرى. حدث كل هذا، أمام عينيها، يذكر المخطط التفصيلي والتمثيلي:

حريٌ بالمرء أن
يتعهد شيئا ما
حري بالمرء أن يقطع المياه العظيمة.

رحلة، للذهاب وفعل شيء مهم، لا المكوث هنا. الآن الخطوط. تحركت شفتاها باحثة...
الآن السِّت في الموضع الثالث، تقرأ وأصيبت بدوار:

يغنى المرء خلال أحداث مؤسفة.
لا لوم. إذا كنت مخلصا
وتسير في المنتصف،
وتبلغ الأمير بعلامة.

الأمير... إنه يقصد أبندسن. العلامة، النسخة الجديدة من الكتاب. الأحداث المؤسفة- يعرف المُستخار ما الذي وقع لها، الفزع مع جو أو أيا كان هو. قرأت السِّت في الموضع الرابع:

إذا تمشيت في المنتصف
وأبلغت الأمير،
سيتبعك.

لا بد أن أذهب إلى هناك، أدركت، حتى لو لحقني جو، التهمت الخط المتحرك الأخير، التسع في الموضع الأعلى:

لا يجلبُ نماءً لأحد.
في الواقع، حتى لو ضربه شخص ما.
لا يحافظ على قلبه حازما دائما،
سوء طالع.

يا الله، فكرت، إنه يقصد القاتل، جماعة غيستابو- يخبرني بأن جو أو شخصا مثله أو شخص آخر سيذهب إلى هناك ويقتل أبندسن. قلبت بسرعة نحو السداسية الثالثة والأربعين. الحُكم:

على المرء أن يوضح المسألة بحزم في بلاط الملك.
يجب أن يُحذِّر بصدق تام. خَطَر.
من الضروري أن يعُلم مدينته.
لا يجدي اللجوء إلى الأسلحة.
يجدي المرء أن يقوم بشيء ما.

إذن لا فائدة من الرجوع إلى الفندق والتأكد من أمره، فعل ميئوس منه؛ سيُرسلُ آخرون إلى هناك. يقول المُستخار مرة أخرى وبشكل قاطع: اذهبي إلى تشيني وحذّري أبندسن مهما كان الخطر المُحدِقَ بي، يجب أن أبلغه الحقيقة.

أغلقت المجلد، وعادت إلى مقعدها خلف مقود السيارة وتراجعت عائدة إلى الطريق المرور. وجدت في وقت قصير طريقها إلى وسط مدينة دنفر ثم نحو الطريق السريع باتجاه الشمال. قادت بأقصى سرعة يمكن للسيارة أن تصلها، أصدر المحرك ضوضاء ارتجاجية غريبة خضّت المقود والمقعد وجعلت كل شيء في صندوق التابلوه يقعقع. شكرا لله على نعمة دكتور تودت وطرقه السريعة، قالت لنفسها وهي تشق الظلام بسرعة لا ترى سوى مصابيح سيارتها الأمامية والخطوط التي تُعلِّم الطُرُق.

لم تصل إلى تشيني عند العاشرة من تلك الليلة بسبب مشكلة في الإطار، لذا لم يكن أمامها عدا أن تنحرف من الطريق وتبحث عن مكان تقضي فيه الليلة.

قرأت علامة مخرج في الطريق السريع قُبالتها- مدينة غريلي خمسة أميال. سأخرج مجددا غدا صباحا، أخبرت نفسها وهي تقود ببطء بعد دقائق قليلة على طول الشارع الرئيس لغريلي. رأت بعض النُزُل بعلامات مضيئة لأماكن شاغرة، لذا فلم يكن هناك مشكلة. ما يجب فعله، قررت، أن أتصل بأبندسن الليلة وأخبره أني قادمة.

عندما ركنت السيارة خرجت بضجر منها، ثم استرخت لتكون قادرة على مد ساقيها. كل اليوم في الطريق، منذ الثامنة صباحا وهي مستمرة. يمكنها رؤية صيدلية ليلية لا تبعد كثيرا عن الرصيف. تمشت في ذلك الطريق ويديها في جيبي معطفها، وبعدها بقليل أغلقت خلفها حجرة الهاتف الخاصة سائلة عامل الهاتف عن معلومات مدينة تشيني.

كان هاتفهم -الحمد لله- مُسجلا. أدخلت عملات نقدية وبدأ الهاتف يرن.

’مرحبا‘ قال صوت نسائي في الحال، مفعم بالحيوية، ومبتهج نوعا ما، امرأة بلا شك في ذات سنها.

’السيدة أبندسن؟‘ قالت جوليانا ’هل يمكنني أن أتحدث مع السيد أبندسن؟‘.

’من معي، رجاء؟‘.

قالت جوليانا ’قرأت كتابه وقدت اليوم بأكمله من كانون سيتي، كولورادو، وأنا الآن في غريلي. اعتقدتُ أنَّ بإمكاني الوصول إلى مكانكم الليلة، لكني لا أستطيع لذا أود أن أعرف إذا كان بمقدوري رؤيته غدا في وقت ما‘.
بعد صمت يسير، قالت السيدة أبندسن بصوت ما زال يحتفظ بابتهاجه ’نعم، لقد تأخر الوقت كثيرا الآن؛ نذهب إلى الفراش مبكرا جدا. هل هناك أي- سبب خاص تودين لأجله أن تري زوجي؟ إنه منهمك في عمله حاليا‘.
’أود الحديث معه‘ قالت. بدا وقع صوتها في أذنيها رتيبا ومتبلدا، حدقت إلى جدار حجرة الهاتف غير قادرة على قول أي شيء إضافي- آلمها جسدها وشعرت بفهما جافا ومليئا بمذاقات فاسدة. كان باستطاعتها أن ترى من خلف حجرة الهاتف الصيدلاني وهو يخفق الحليب من أمام آلة المياه الغازية ويقدمها لأربعة مراهقين. تاقت أن تكون هناك وبالكاد انتبهت عندما أجابت السيدة أبندسن. تاقت إلى شراب طازج وبادر وشيئا مثل شطيرة دجاج مع السلطة لكي تلتهمه.
’هاوثرون يعمل بشكل غير منتظم‘. كانت السيدة أبندسن تتحدث بصوتها المرح والنشط.
’إذا وصلتِ إلى هنا غدا فلا أعدك بأي شيء لأنه قد ينشغل اليوم بطوله. لكن لو استطعتِ معرفة هذا قبل أن تبدأي رحلتكِ-‘.
’نعم‘ قاطعتها.
’أعلم أنه سيكون سعيدا بمحادثتك لدقائق قليلة إذا استطاع‘. استمرت السيدة أبندسن ’لكن رجاء لا تشعري بخيبة أمل إن لم يستطع أن يمنحك وقتا طويلا بما فيه الكفاية للحديث معك أو حتى رؤيتك‘.
’قرأنا كتابه وأعجبنا‘ قالت جوليانا ’الكتاب معي‘.
’أفهم‘ قالت السيدة أبندسن بودٍ على طبيعتها.
’توقفنا في دنفر وتسوقنا، لذا فقد أضعنا الكثير من الوقت‘. لا، فكرت، لقد تغيّر كل شيء، اختلف كل شيء. ’اسمعي‘ قالت ’أخبرني المُستخار بأن آتي إلى تشيني‘.
’أوه رباه‘ قالت السيدة أبندسن وبدت كما لو أنها تعرف المُستخار ورغم هذا لم تأخذ الأمر على محمل الجد.
’سأعطيك الخطوط‘ كانت قد جلبت كتاب المُستخار معها إلى حجرة الهاتف، وأسندت المجلدات فوق الرف أسفل الهاتف، وقلّبت الصفحات بمشقة. ’ثانية فقط‘

وجدت الصفحة وقرأت الحُكم الأول ثم الخطوط للسيدة أبندسن. وعندما أخبرتها بحصولها على تسع نقاط في الخط الأعلى- سمعت صرخت السيدة أبندسن.
’عفوا؟‘ قالت جوليانا متوقفة.
’استمري‘ قالت السيدة أبندسن. نبرتها، فكرت جوليانا، أصبحت ذات طبيعة أكثر تيقظًا وحدّة الآن.
بعد قرأت جوليانا الحُكم الخاص بالسداسية الثالثة والأربعين، وكلمة الخطر في النص، ثمَّة صمت، لم تقل السيدة أبندسن شيئا وكذلك جوليانا.
’حسنا، نتطلع لرؤيتك غدا، إذن‘. قالت السيدة أبندسن في الختام ’هل ترغبين بإعطائي اسمك، رجاءً؟‘.
’جوليانا فرينك‘ قالت ’شكرا جزيلا سيدة أبندسن‘. قاطعها الآن عامل الهاتف معلنا أن وقت المكالمة على وشك النفاد، لذا فقد أغلقت جوليانا الهاتف، وأخذت محفظتها ومجلدي كتاب المُستخار وغادرت حجرة الهاتف وتمشت باتجاه مأكولات الصيدلية.
قعدت تدخن سيجارة وتسترخي بعد أن طلبت شطيرة دجاج وكولا، أدركت بنوبة ذعر مهول بأنها لم تخبر السيدة أبندسن أي شيء بخصوص رجل غيستابو أو رجل جهاز الأمن النازي أو أيا كانت هُويته، جو تشينياديلا ذاك الذي تركته في غرفة الفندق في دنفر. لم تستطع أن تصدق هذا ببساطة. نسيتُ! قالت لنفسها. انسلَّ من عقلي تماما. كيف أمكن هذا؟ لا بد أنني خرقاء، لا بد أنني مريضة جدا وغبية وخرقاء.
تلمست للحظة محفظتها محاولةً إيجاد فكّة لاتصال آخر. لا، قررت عندما قامت من الكرسي. لا يمكنني أن أتصل بهم مجددا الليلة، سأتغاضى عن هذا- تأخر الوقت كثيرا. أنا متعبة ومن المحتمل أنهم نائمون الآن.
أكلت شطيرة الدجاج والسلطة، وشربت الكولا، وبعدها قادت إلى أقرب نُزل، اكترت غرفة وزحفت مرتعشة إلى السرير.

14

فكّر السيد نوبوسوكي تاغومي، ليس ثمَّة جواب، ولا فهم، حتى عند المُستخار. مع ذلك يجب عليَّ العيش كل يومٍ بيومه. سأذهب وآنس بالقليل. أعيش غير مرئي بأي درجة حتى وقت لاحق متى ما- على أي حال، لقد ودّع زوجته وغادر المنزل لكنه لم يذهب اليوم إلى مبنى نيبون تايمز كما العادة. ماذا عن الاسترخاء؟ أذهب إلى متنزه غولدن غايت ذي حديقة الحيوانات والأسماك؟ أزور مكانا حيث الأشياء تدفع للتمتع لا التفكير.

الوقت. إنها رحلة طويلة رفقة البيدي كاب، وتمنحني الوقت للإدراك، إذا أمكن قول هذا.

لكن الأشجار وحديقة الحيوانات ليستا بالأشياء الذاتية. يجب أن أتشبث بحياة آدمية. لقد جعلني هذا طفلا، مع أنه يمكن أن يكون جيدا، فبإمكاني أن أجعله جيدا.

أسرع سائق البيدي كاب طوال شارع كيرني باتجاه وسط مدينة سان فرانسيسكو. جولة بعربة قطار. فكر السيد تاغومي فجأة. رحلة مهيّجة للمشاعر، السعادة في أجلى شيء كان من المفترض أن يختفي في بداية القرن العشرين لكنه وللعجب ما يزال موجودا.

صرف سائق البيدي كاب، ومشى على طول الرصيف باتجاه أقرب مسار لعربة قطار.

ربما، فكّر، لا يمكن أن أعود أبدا إلى مبنى نيبون تايمز مع رائحة الموت المنتنة. انتهت مسيرتي، لعل ذلك أفضل، بإمكان مجلس نشاطات البعثة التجارية أن يجدا بديلا. لكن السيد تاغومي ما زال يمشي، موجودا، يتذكر كل التفاصيل. ليس ثمة ما يمكن إنجازه.

على أي حال، الحرب، عملية الهندباء، ستجرفنا بعيدا جميعا. ولا يهم ما الذي نقوم به حينئذ. وعدونا من قاتلنا بجانبه في الحرب الأخيرة. ما الحسنة التي أدوها لأجلنا؟ كان علينا أن نقاتلهم، ربما. أو نسمح بهزيمتهم، نساعد أعداءهم، الولايات المتحدة، وبريطانيا، وروسيا.

اليأس في كل مكان ينظر إليه المرء.

المُستخار مُبهم. ربما انعزل عن عالم الرجل الحزين. مغادرة الحكماء.

لقد دخلنا لحظة أصبحنا فيها وحدنا. لا يمكننا أن نحظى بمساعدة كما السابق. حسنا، فكّر، السيد تاغومي، ربما هذا جيد أيضا، أو يمكن جعله جيدا. على المرء أن يستمر في محاولة إيجاد الحل.

استقلته عجلة قطار شارع كاليفورنيا، وبقي راكبا إلى نهاية الطريق، حتى إنه قفز خارجا وساعد في تدوير عجلة القطار فوق المسار الخشبي الدوار. كان لذلك -من بين كل ما جربه في المدينة- أبلغ معنًى في نفسه. وذبل التأثير الآن، شعر بشدة أكبر بالفراغ الذي تسبب بإفساد كل الأمكنة هنا. ركب عائدا بطبيعة الحال. لكن... بتصرف شكلي، أدرك هذا عندما كان يراقب الشوارع والبنايات وحركة المرور في الطريق المعاكس.

نهض بالقرب من ستوكتون للمغادرة، لكن عندما همَّ بالنزول عند الموقف ناداه قاطع التذاكر ’حقيبتك سيدي‘.

’شكرا لك‘. كان قد تركها في عربة القطار، وعاد لأخذها، ثم انحنى في اللحظة التي قعقعت عربة القطار متحركة. حقيبة بمحتويات ثمينة جدا، فكّر، يحمل بداخلها مسدس كولت 44. لا يقدر بثمن، قطعة جامع تحف نادرة. أبقيته الآن معي ليسهل الوصول إليه دائما في حالة حاول السفاحون المنتقمون لجهاز الأمن النازي ردَّ الدين لي بمفردي. لا يُعلم الغيب أبدا. وشعر السيد تاغومي أن هذا الإجراء الجديد على الرغم من كل ما حدث كان عُصابيا.

لا يجب أن أستسلم لهذا، أخبر نفسه عندما بدأ المشي مجددا حاملا حقيبته. رهاب الوسواس القهري، لكن لم يستطع تحرير نفسه.

إنه في قبضتي، وأنا في قبضته، فكّر.

هل فقدت بعدها سلوكي المَرِحة؟ سأل نفسه. هل ارتدّت الغرائز جميعا بسبب ذكرى ما فعلته؟ هل تَلَفَتْ كل تجميعاتي لا مجردَ سلوكي تجاه هذه القطعة فحسب؟ عِماد حياتي، ومجالي... يا للحسرة، حيث عشت بمتعة لا مثيل لها.

أوقف البيدي كاب، وجّه السائق إلى شارع مونتغومري ومتجر روبرت تشيلدان. دعنا نكتشفه، الخيط الوحيد المتبقي الذي يربطني بالطوعيّة. لعل بإمكاني التحكم بميولي القلقة عبر الحيلة: أقايض قطعة السلاح بأخرى أكبر قيمة تاريخية موثّقة. هذا المسدس -بالنسبة لي- يحوي تاريخا فعليا كبيرا جدا... كل أنواع الممارسات الخاطئة لكن ذلك ينتهي عندي، لا يمكن لامرئ آخر أن يذوق ذات التجربة من هذا المسدس. في أسبار روحي أنا فقط.

أحرر نفسي، قرر بحماس. عندما يختفي المسدس؛ سيمضي كل شيء، سحابة الماضي. لأجل هذا فإنه ليس في أسبار روحي وحسب، بل -وكما قيل دائما في نظرية التاريخية- وفي ذاتِ المسدس أيضا. معادلة فيما بيننا!

وصل إلى المتجر. حيث تعاملت كثيرا، انتبه لهذا عندما دفع للسائق، في المجال العملي والشخصي. دخلَ المتجر بسرعة حاملا حقيبته.

هناك عند ماكينة النقود، كان السيد تشيلدان يلمع بالقماش بعض القطع الفنية.

’سيد تاغومي‘ قال تشيلدان بانحناءة.

’سيد تشيلدان‘ قال أيضا بانحناءة.

’يا لها من مفاجئة، أنا مأخوذ بها‘. وضع السيد تشيلدان القطعة والقماش، وقَدِم من حول زاوية المنضدة. طقوس معتادة، التحيّة، إلخ. وشعر السيد تاغومي على الرغم من ذلك أن الرجل اليوم مختلف. كتوم نوعا ما. تَحَسُّنْ، جزم هذا. دائما ما كان ذا صوت صاخب حاد متخطيا حدود التحمّس لكنَّ قد يكون هذا فألا سيئا.

’سيد تشيلدان‘ قال السيد تاغومي واضعا حقيبته على المنضدة وفاتحا إياها، ’أرغب بأن أتاجر بقطعة اشتريتها منذ سنوات عديدة خلت. أذكر أنك تقوم بهذا‘.

’نعم‘ قال السيد تشيلدان ’اعتمادا على الحالة، على سبيل المثال‘. وراقب بتيقّظ.

’مسدس كولت 44.‘ قال السيد تاغومي.

صمت كلاهما، أبصارهما معلّقة بالمسدس الموضوع في صندوق خشب الساج المفتوح مع علبة ذخيرة مستهلكة جزئيا. مسحة برود عند السيد تشيلدان. آه، أدرك السيد تاغومي. حسنا ليكن هذا. ’لستَ مهتما‘ قال السيد تاغومي.

’لا، سيدي‘ قال السيد تشيلدان بصوت حازم.

’لن أضغط عليك‘ لم يشعر بأي قوة. أنا أستسلم، البين، المتأقلم والمتقبّل، يتسلط بداخلي، أخشى...

’سامحني سيد تاغومي‘.

انحنى السيد تاغومي، ووضع المسدس والذخيرة والصندوق في حقيبته. قدري أن أحتفظ بهذا الشيء.

’تبدو محبطا تماما‘ قال السيد تشيلدان.

’لاحظتَ هذا‘ كان مرتبكا، أسمحَ لعالمه الداخلي أن يخرج بما يسمح للجميع بالرؤية؟ استهجن، من المؤكد أن الأمر كذلك.

’هل هناك سبب خاص يجعلك تتاجر بهذه القطعة؟‘ سأل السيد تشيلدان.

’لا‘ قال، محاولا إخفاء عالمه الشخصي كما يجب.
تردد السيد تشيلدان ثم قال ’أتساءل إن كان هذا المسدس قد خرج من متجري. لا أملك هذه القطعة‘.
’متأكد من هذا‘ قال السيد تاغومي ’لكن لا يهم ، أقبل قرارك؛ لم أُهَن‘.
’سيدي‘ قال تشيلدان ’اسمح لي أن أريك ما الذي أملكه في الداخل. هل تملك متسعا من الوقت؟‘.
شعر السيد تاغومي بالحماس القديم في داخله ’شيء ما بأهمية غير عادية‘.
’تعال، سيدي‘ قاده تشيلدان عبر المتجر وتبعه السيد تاغومي.
داخل منضدة عرض زجاجية مقفلة، فوقها أطباق مخملية سوداء، عليها قطع معدنية ملتوية، أشكال من النادر أن يكون لمحها في أي مكان سابق. منحت السيد تاغومي شعورا غريبا حين وقف ليدرسها.
’أعرضها وبلا هوادة على كل زبائني‘ قال السيد تشيلدان ’سيدي هل تعرف ما هذه القطع؟‘.
’مجوهرات، كما تبدو‘ قال السيد تاغومي ملاحظا دبوسا.
’إنها صناعة أمريكية. نعم بالطبع. لكن سيدي، هذه القطع ليست قديمة‘.
نظر إليها السيد تاغومي نظرة خاطفة.
’سيدي، إنها جديدة‘ كانت سمات السيد تشيلدان البيضاء الباهتة بعض الشيء- مربوكة بالشغف. ’هذه الحياة الجديدة لوطني، سيدي. البداية في شكل بذراتٍ صغيرة خالدة من الجمال‘.
باهتمام بالغ، استغرق السيد تاغومي وقتا يفحص بيده عديد القطع. نعم، ثمَّة شيء جديد يبعث الحياة فيها، جزم هذا. يتجلى قانون التاو هنا، حيث ينبثق اليين في كل مكان، تسطع تباشير الضوء فجأة في أحلك الأعماق... مألوف لنا جميعا لقد رأيناه يحدث سابقا كما أراه هنا الآن. وعلى الرغم من ذلك فإني أراها مجرد خرداوات. لا أستطيع أن أكون جذلا مثل السيد تشيلدان، هنا. أمر مؤسف لكلينا، لكن هذا هو الواقع.
’رائعة جدا‘ تمتم واضعا القطع.
قال السيد تشيلدان بصوت هادر ’سيدي، لا يمكن أن تسبرها في مرة واحدة‘.
’عفوا‘
’الرؤية الجديدة في قلبك‘.

’لقد تغيّرتَ‘ قال السيد تاغومي ’أتمنى لو أستطيع، لكن لا يمكنني‘ وانحنى.
’في وقت آخر‘ قال السيد تشيلدان مرافقا إياه إلى مدخل المتجر، لم يُبدِ أي محاولة لعرض القطع البديلة، لاحظ السيد تاغومي.
’يقينك ذو وضع مريب‘ قال السيد تاغومي ’يبدو أنه يضغطك بشكل معاكس‘.
لم يتملّق السيد تشيلدان ’اغفر لي‘ قال ’لكني على صواب. وأشعر بدقة أن في هذه القطع بذرة المستقبل المنكمشة‘.
’ليكن ذلك‘ قال السيد تاغومي ’لكن تعصبك الإنجلوسكسوني لم يعجبني‘. ومع ذلك فقد شعر السيد تاغومي بتجدد أمل مؤكد، أمله الخاص، داخل نفسه. ’طاب يومك‘ وانحنى ’سأراك مجددا في هذه الأيام. بإمكاننا أن نتيقن من نبوءتك‘.
انحنى السيد تشيلدان ولم يقل شيئا.
غادر السيد تاغومي حاملا معه حقيبته وبداخلها مسدس كولت 44. خرجت كما دخلت، قال لنفسه، باحثا. خالي الوفاض مما أحتاجه للعودة إلى العالم.
ماذا لو اشتريتُ واحدة من تلك القطع الغريبة والغامضة؟ احتفظت بها وأعدت فحصها، وتأملها... هل يمكن بعدها أن أجد طريق عودتي؟ أشك في ذلك.
هذه القطع لأجله لا لأجلي.
ومع ذلك، حتى لو تمكن شخص من إيجاد طريقه... ذلك يعني أن هناك طريقا. حتى لو أنني شخصيا فشلت بالوصول إليه.
أحسده.
مستديرا، عاد السيد تاغومي باتجاه المتجر، هناك في المدخل، وقف السيد تشيلدان ينظر إليه. لم يرجع إلى الداخل بعد.
’سيدي‘ قال السيد تاغومي ’أريد واحدة من تلك القطع، أيا ما تختاره. لا إيمان لي لكنني حاليا أتعلّق بقشة‘. تبع السيد تشيلدان عبر المتجر مرة أخرى، إلى منضدة العرض الزجاجية. ’لا أومن بها. سأحملها معي وأنظر إليها في أوقات منتظمة ما بين يوم وآخر، على سبيل المثال. بعد شهرين إذا لم أرَ-‘.
’بإمكانك أن تعيدها لتسترد ما دفعته كاملا‘. قال السيد تشيلدان.
’شكرا لك‘ قال السيد تاغومي، وانتابه شعور حسن. على المرء بعض الأحيان أن يجرب أي شيء. ليس عيبا. على النقيض من هذا، إنها أمارة حكمة، وإدراك للوضع.

’هذه ستهدئك‘ قال السيد تشيلدان، ووضع قطعة فضية مثلثة مزيّنة بقطرات مجوفة، سوداء من الداخل، وبيضاء مشرقة من الأعلى.
’شكرا لك‘ قال السيد تاغومي.
رحل السيد تاغومي بواسطة البيدي كاب إلى ساحة بورتسماوث، متنزه عام صغير نوعا ما على منحدر فوق شارع كيرني يطل على مركز الشرطة. قعد فوق مقعد في الشمس. تمشّى الحمام على طول الممرات المرصوفة بحثا عن طعام، وعلى مقاعد أخرى مسنون يقرأون الصحف أو غافون، ويستلقي آخرون هنا وهناك فوق العشب شبه نائمين.
أخرج من جيبه الكيس الورقي المُعلَّم باسم متجر السيد تشيلدان، قعد السيد تاغومي قابضا على الكيس بكلتا يديه، ومدفئا نفسه. فتح الكيس بعدها، ورفع غرضه الجديد ليفحصه في العزلة، هنا في المتنزه ذي العشب القصير وممشى لكبار السن.
أمسك القطعة الفضية ذات الشكل المتمايل، ينظر إليها تحت شمس الظهيرة مثل مرآة جاك أرمسترونغ* المكبّرة التي تربح عبر البوكس توب لعلب رقائق الذرة. أو -حدق إليها خافضا بصره- أوم** كما يقول البراهمة. بقعة منقبضة تلتقط كل شيء. كلاهُما، في الأقل بلمحة، الشكلُ والحجمُ. واستمر يتفحصها كما يجب.
هل ستتحقق كما تنبأ السيد تشيلدان؟ خمس دقائق، عشر دقائق. ألبدُ أطول مدة يمكنني بقاءها. يجعلنا الزمن -وللأسف- نبخس قيمته، ما الذي أحمله في حين ما يزال هنالك وقت؟
سامحني، فكّر السيد تاغومي وهو ينظر باتجاه القطعة ذات الشكل المتمايل. يُثقل الجهد كاهلنا في صعود ونزول. وبأسف همَّ بإرجاع الشيء في كيسه.

---

* سلسلة مغامرات راديو شهيرة انطلقت منذ عام 1933 إلى عام 1951 في الولايات المتحدة الأمريكية.
** Om: مقطع لفظي يعد أقدس تعويذة في الهندوسية والبوذية التبتية.

نظرة أمل أخيرة- دقق النظر إليها بكل ما يملك في داخله. مثل طفل على ساحل البحر، أخبر نفسه محاكيا البراءة والإيمان، يضغط بعشوائية صَدَفة وجدها إلى رأسه سامعا في بقبقتها حكمة البحر.
في حالته تحلُّ العينُ بدل الأذن. تسبر غوري وتطّلع على ما حصل، وما يعني، والسبب. يتركّز الإدراك في داخل القطعة الملتوية الفانية.
أسألُ كثيرا، ولا أحظى بشيء.
'انصتي' خاطب القطعة الملتوية بصوت مبحوح 'وعدَ ضمان المبيعات بالكثير'.
لو أني هززتها بعنف، مثل ساعة قديمة معطّلة. هزَّها، إلى الأعلى والأسفل. أو مثل النَرد في لعبة عصيبة. أوقظ الإله في داخلها، ربما نائم. أو إنه في رحلة، مستثارا بسخرية شديدة من النبي إيليا. أو أنه في مسعاه. هزَّ السيد تاغومي القطعة الفضية ذات الشكل الملتوي مرة أخرى بعنف إلى الأعلى والأسفل داخل قبضته المضمومة.
ناداها بصوت أعلى، وحدقها ببصره مجددا.
أنتِ شيء ضئيل، أنتِ فارغة، فكّر.
العنها، قال لنفسه. أرعبها.
'بدأ صبري ينفد' قال بهمس.
وماذا بعد؟ أقذفك في المزراب؟ تنفس عليها. هزّها، تنفس عليها. ربّحيني اللعبة.
ضحك، انهماك غبي، هنا في دفء ضوء الشمس. على مرأى كل من يمر، اختلس نظرة شاعرا بالذنب، الآن، لكن أحدا لم يرَ. هناك مسنون يغطون في النوم، دليل راحة.
حاول كل شيء، أدرك هذا، لقد تضرّعَ، وتأمّلَ، وهدَّدَ، وتفلسَفَ، بإسهاب، أي شيء آخر يمكن فعله؟
هل يمكنني إلا أن أبقى هنا. إنها تنكرني. ربما تتاح الفرصة مجددا، ورغم ذلك كما يقول دبليو. إس. جيلبرت، الفرصة الثمينة لا تتكرر. هل هذا صحيح؟ أشعر أنها ستكون كذلك.
عندما كنت طفلا فكرت مثل طفل، لكن الآن ابتعدت عن التصرفات الصبيانية. لا بد أن أبحث في ممالك أخرى، يجب أن أسعى وراء حثِّ هذا الشيء بوسائلَ جديدة.

يجب أن أكون علميا -فأنا مرهقٌ من التحليلات المنطقية في كل موضوع- بالمنهجية ذات الأسلوب الأرسطي الكلاسيكي المختبري. وضع إصبعه في أذنه اليمنى ليصمها عن ضوضاء سير المرور وكل الإزعاجات المشتِتة. وأمسك بشدة بعدها المثلث الفضي، محارة حكيمة، ورفعها إلى أذنه اليسرى.
لا صوت. لا هدير المحيط الزائف، في الواقع لم يسمع حتى الضوضاء الداخلية لحركة الدم. أي حاسة أخرى إذًا يمكنها أن تعي اللغز؟ السمع -من الواضح- لا يجدي نفعا. أغلق السيد تاغومي عينيه وبدأ يتلمس بإصبعه كل جزء من سطح القطعة. واللمس كذلك، لم تخبره أصابعه بأي شيء. الشم. قرّبَ القطعة من أنفه واستنشقَ. رائحة معدنية خفيفة، لكنها لا توحي بأي معنى. التذوق. فتح فمه وأدخلها فيه وبرزت من داخله مثل بسكوتة، لكن بالطبع امتنع عن مضغها. لا معنى سوى الشيء البارد المر الصلب.
أمسكها مجددا في راحة يده.
عاد لحاسة النظر أخيرا. أعلى مراتب الحواس: وفقا للمقياس الإغريقي للأولوية. قلّب المثلث الفضي في كل الاتجاهات ونظر إليها من كل زاوية إضافية ممكنة.
ماذا أرى؟ سأل نفسه، وفقا للدراسة الطويلة الصابرة والمثابرة. ما دليل الحقيقة التي تواجهني في هذه القطعة؟ استسلم، أخبر المثلث الفضي. اِسْعُلْ السر الغامض.
مثل ضفدع قفزَ من الأعماق، فكّر. قابضا عليها داخل راحته، وآمرًا أن توّضح ماذا يوجد في القاع داخل الهوة المائية، لكنَّ الضفدع هنا لم يهزأ حتى إنه يختنق بصمت ويتحول إلى حجر أو طين أو معدن. خمد، رجع إلى الجوهر الصلب المألوف في عالم ضريحه.
المعدن من الأرض، فكّر عندما دقق النظر فيها. من الأسفل: من هذه المملكة السفلى، الأشد كثافة. أرض الأقزام والكهوف، الرطبة والمظلمة دائما. عالم اليين، في أكثر جوانبه سوداوية. عالم من جثث، تتعفن وتتهاوى، ومن الفضلات. وكل الذين ماتوا، ينزلقون وينحلون إلى الأسفل طبقة فوق أخرى.
العالم الشيطاني للثوابت غير قابلة للتغيير، الماضي الذي كان.
وبعد ذلك، في ضوء الشمس، لمع المثلث الفضي. إنه يعكس الضوء. النار، فكّر السيد تاغومي. ليست قطعة رطبة ولا مظلمة على الإطلاق، وليست مُجهدة ولا مُسئمة لكنها نابضة بالحياة. المملكة العالية، جانب اليانغ: سماوي وأثيري، كما

يليق بالعمل الفني. نعم، إنها وظيفة الفنان: يأخذ الصخرة المعدنية من الأرض الصامتة المظلمة ويحولها إلى شيء عاكس للضوء من السماء.
جلب الميت إلى الحياة. تحولت الجثة إلى عرض ناري، سُحب الماضي إلى المستقبل.
أيما أنت؟ سأل القطعة الفضية ذات الشكل المتمايل. البين الميت المظلم أو اليانغ الحي البرّاق؟ في داخل راحته، تراقصت القطعة الفضية وأعمت بصره؛ حول عينه، رائيا الآن تقافز اللهب فحسب.
جسد البين وروح اليانغ. اتحاد النار والمعدن. الداخل والخارج؛ كون مصغر في راحته.
ما الفضاء الذي تنتمي إليه هذه؟ صعود سماوي إلى السماوات. ولأي زمن؟ إلى العالم الضوئي للمتغيرات. نعم، لفظت هذه روحها: الضوء. وتركيزي راسخ؛ لا يمكنني أن أبعدَ نظري. مشدوه بالسطح المتلألئ الفاتن الذي لا يمكنني السيطرة عليه أكثر، ولا التحرر لأرفضه.
تحدث الآن، أخبره. الآن يا من اصطدتني. أريد أن أسمع صوتك يعلو من الضوء الأبيض النقي المُعمي، كما نتوقع أن نرى الحياة الآخرة في الباردو تودول* فحسب. لكني لا يجب أن أنتظر حتى الموت، حتى تتحلل روحي المسيطِرة في جولانها بحثا عن رحم جديد. سنتجنب كل آلهة العذاب والرحمة، والأضواء الدخانية أيضا، وكل الأزواج في وضع الجماع. كل شيء باستثناء الضوء، وأنا مستعد لمواجهته من دون خوف. لاحظ أنا لا أشحب.
أشعر برياح الكارما الحارّة تقودني، ومع ذلك ما زلتُ هنا. تدريبي كان صحيحا، لا يجب أن أتملص من الضوء الأبيض النقي، ولأنني إذا فعلتها، سأدخل مجددا إلى دورة الولادة والموت، ولن أعرف الحرية، ولن أحظى بالانعتاق أبدا. سيسقط حجاب المايا مرة أخرى إذا-
اختفى الضوء.
كان يحمل المثلث الفضي البليد فقط، قطعَ ظلُّ الشمسَ؛ حدق السيد تاغومي إلى الأعلى.
وقف رجل شرطة طويل يرتدي سترة زرقاء مبتسما.

---

* كتاب موتى التبت. والأسطر التي تلته تتحدث عن أحداث هذا العالم.

’إهْ‘ قال السيد تاغومي جافلا.
’كنت أراقب عملك بهذه الأحجية‘ بدأ الشرطي واقفا فوق الممر.
’أحجية‘ كرر السيد تاغومي ’ليست أحجية‘.
’أليست من تلك الأحاجي الصغيرة التي تتجزأ؟ يملك طفلي الكثير منهن. وبعضها صعب‘. قال الشرطي ومضى.

فكّر السيد تاغومي، أفسد فرصتي للوصول إلى نرفانا. ذهبت. قُوطعت من قبل أمريكي همجي أبيض من النياندرتال. افترض ذاك الإنسان البدائي أني منهمك في دمية طفل صبيانية.

نهض من فوق المقعد وتمشى خطوات غير متزنة. يجب أن أهدأ. دوافع متعصب قومي وعنصري من الطبقة السفلى، لا أستحق هذا.
تعتلج في صدري رغبات مقيدة عجيبة، واتخذَّ طريقه عبر المتنزه، استمر في في الحركة، أخبر نفسه، التنفيس في الحركة. وصل إلى الحد الخارجي للمتنزه. الرصيف، وشارع كيرني، وضوضاء الزحام الشديدة، صعد السيد تاغومي على الرصيف.
لا توجد عربات البيدي كاب. مشى على طول الرصيف عوضا عن ذلك وانضم إلى الزحام، لا يجد المرءُ واحدا حين يحتاجه.

رباه، ما هذا؟ توقّفَ فاغرا فاه باتجاه الشيء البشع المشوه في الأفق. يشبه كابوس تعطل لعبة عربة الموت، تحجب الرؤية. بناء هائل من المعدن والأسمنت في الهواء.

التفت السيد تاغومي إلى أحد المارة، رجل نحيف بسترة مجعدة، ’ما هذا؟‘. استعلمَ مشيرا.
ابتسم الرجل. ’مريع أليس كذلك؟‘ إنه طريق إيمباركاديرو* السريع. يعتقد كثير من الناس أنه يشوّه المنظر.

---

* Embarcadero.

’لم أره من قبل قط‘ قال السيد تاغومي
’أنت محظوظ‘ قال الرجل ومضى.
حلم مجنون، فكّر السيد تاغومي. يجب أن أستيقظ. أين عربات البيدي كاب اليوم؟ بدأ يمشي أسرع. أعتمَ الأفق بأكمله، ودَخَنَ. انبثق عالم جهنمي*. رائحة احتراق. بهتت البنايات الرمادية، والرصيف، والناس في إيقاع حركي صلب وغريب. وما زالت عربات البيدي كاب غير موجودة.
’كاب‘ صرخَ وهو يسرع على امتداد الرصيف.
يائس. السيارات والباصات فقط. تبدو السيارات مثل سواحق وحشية كبيرة، وجميعها ذات أشكال غير مألوفة. تجنّبَ النظر إليها وأبقى عينيه مثبتتين إلى الأمام. تشويه لإدراكي البصري وخاصة طبيعة النظر الشرّانية. اضطراب مؤثر في حاسة إدراكي المكانية. التفَّ الأفق. خارجا عن مستواه، مثل الإصابة باللا بؤرية** القاتل دون سابق إنذار. يجب أن أرتاح. مضى قدما باتجاه مطعم وجبات سريعة. أناس بيض فقط في الداخل، والجميع يحتسون. دفع السيد تاغومي فاتحا دفتي الباب الخشبي المتأرجح. رائحة قهوة. آلة فونوغراف غريبة تبثُّ في الزاوية؛ جفل وشقَّ طريقه باتجاه المنضدة. كل الكراسي مشغولة من قبل البيض. صاح السيد تاغومي. ارتفعت إليه عديد الأعين. لكن لم يغادر أحد مكانه. ولم يسحبوا كراسيهم لأجله. استأنفوا شرابهم ببساطة.
’أنا أصرُّ‘ صاح السيد تاغومي بالأبيض الأول صارخا في أذنه.
أنزل الرجل كوب قهوته وقال ’احذر توجو‘. نظر السيد تاغومي إلى البيض الآخرين؛ تطلّع إليه الجميع بنظرات عدائية، ولم يتحرك أحد.

---

* Tomb-world. يعد هذا العالم من المفاهيم المهمة جدا لدى شخصيات فيليب ديك، ويعني به عالم غريب وأحيانا مملكة جهنمية ترتبط بحياة ما بعد الموت "كتاب موتى التبت" أو بحقيقة غريبة للمعاناة. وإذا تحدثنا عن الكلمة بمعناها الحرفي، نحصل على مملكة، أو حالة من الوجود البشري المرتبط بالموت والاحتضار والعملية الحيوية لتحلل ما بعد الموت، التقرّب من منطقة أو مملكة الموت. جون نيوتن.

** اللا بؤرية (الإستجماتيزم): عيب انكساري يتسبب في تشوه في تركيز الأجسام على الشبكية، مما ينعكس سلبا على الرؤية عن قرب وعن بعد. المصدر: Instituto de microciruga ocular.

عالم باردو تودول، فكّر السيد تاغومي. تدفعني رياح ساخنة من يعلم إلى أين. إنها رؤية- ماذا؟ هل بإمكان العقل أن يتحمل هذا؟ نعم، يُهيئنا كتاب الموتى: نبدو بعد الموت قادرين على أن نلمح الآخرين، لكن جميعهم يظهرون عدائيين تجاهنا. يقف المرء منعزلا. بلا عون إينما اتجه. الرحلة المرعبة ودائما مملكة المعاناة، والولادة من جديد، والاستعداد لتلقي الروح المعنوية الشعورية. الأوهام.

حثَّ خطاه خارجا من مطعم الوجبات السريعة. تأرجحت دفتي الباب معا من خلفه، وقف مجددا فوق الرصيف. أين أنا؟ خارج من عالمي، ومن مكاني وزماني.

أخرجني المثلث الفضي عن سويتي. أقلعت عن مرساي والآن أقف على اللا شيء. كثيرٌ جدا على مسعاي، ودروس أتلقنها إلى الأبد. يبحث المرء عن مخالفة مداركه- لماذا؟ حتى يهيم على وجهه تائها تماما، بدون إشارات طريق أو دليل؟ إنها حالة تنويمية. تضاءلت أعضاء الإدراك لذا فحالة الشفق تنالُ عالما مرئيا محضا في مظهر رمزي بدائي، ومشوشا بالكامل بمادة اللا واعي. تنويم مغناطيسي مثالي يتضمن المشي أثناء النوم. يجب أن أوقف هذا المنزلق المريع بين الظلال، وأستعيد تركيزي ثم أسترد مركز الأنا.

تحسس وجود المثلث الفضي في جيبيه. اختفى. ترك الشيء فوق مقعد المتنزه مع حقيبته. مصيبة.

متذمرا، ركض عائدا فوق الرصيف إلى المتنزه.

نظر إليه متسكعون غافون مندهشين من سرعته فوق الممر. هناك، حقيبته ما زالت مائلة على المقعد. لا أثر للمثلث الفضي. فتّش عنه. نعم. سقط بين العشب، بدا مخفيّا بعض الشيء حيث ألقاه بغضب.

قعد وهو يتنفس لاهثا.

ركّزْ على المثلث الفضي مرة أخرى، أخبر نفسه حين استطاع التحكم بتنفسه. حدّقْ إليه بصرامة واحسب، وعند العشرة، انطقْ مصدرا ضوضاء. استيقظ على سبيل المثال.

حلم يقظة أبله ذو طابع متسلسل، فكّر. محاكاة أكثر مظاهر القلق لسن المراهقة عوضا عن البراءة الفطرية والنقية للطفولة الحقيقية. ما أستحقه على أي حال.

كل هذا ذنبي، لا ذنب السيد روبرت تشيلدان ولا الفنانين، طمعي مَنْ يجب أن يلقى الملامة. لا يمكن للمرء أن يجبر نفسه على الفهم. عدَّ ببطء وصوت مرتفع، ووثب على قدميه. ’اللعنة على الغباء‘ قال بحدة.
اختفى الضباب؟
اختلس نظرة حوله. سَكَن البَعثُ في كل الاحتمالات. الآن يثمّن المرء اختيار القديس باول الثاقب للكلمات... مرئي عبر زجاج مظلم* وليس مجازا بل إشارة ذكية للتشويه البصري. نحن نرى فعلا من منظور إستجماتيزمي، وفي الحاسة الأساسية: مكاننا وزماننا مخلوقا ذواتنا الشخصية، وعندما يتداعيان للحظات كما في الاضطراب الحاد للأذن الوسطى، نحصي بين حين وآخر اختفاء توازن كل حواسنا بشكل غير معتاد**.
قعد ووضع القطعة الفضية في جيب معطفه، وضع الحقيبة ممسكا بها في حضنه. ما يجب أن أفعله الآن، قال لنفسه، هو أن أذهب وأرى فيما إذا كان البناء الخبيث -ماذا أطلق عليه الرجل؟ طريق إيمباركاديرو السريع- ما زال واضحا.
لكنه خشي فعل هذا.
وبعدها، فكّر، لا يمكنني مجرد الجلوس هنا. لدي أثقال لا بد أن أرفعها وكما عبّر عن هذا الأمريكيون القدماء "وظائف يجب أن تَتِمْ".
معضلة. أتى ولدان صينيان صغيران مسرعين ومصدرين ضجة على طول الممر. رفرف سرب حمام محلقّا؛ توقف الصبيان.
ناداهما السيد تاغومي ’أنتما، أيها الصغيران‘ ونقر على جيبه ’تعالا‘.
تقدم الولدان إليه على استحياء.
’هاكما "دايم"***‘ قذف السيد تاغومي الدايم فتدافع الولدان عليه. ’اذهبا إلى شارع كيرني وانظرا إن كان هناك أي عربة بيدي كاب، ثم عودا وأخبراني‘.

---

* إنجيل كورنثوس 13:16. وللكاتب رواية بعنوان A scanner darkly.
** عقولنا كما كل كتابات الحكمة القديمة تخدعنا، ونواجه مشكلة حقائق معرفية عصبية لن تناسب مخطوطاتنا، وخططنا، وأوهام الرضا الذاتي. وبالنسبة للصوت الأمريكي فإنه لن يسمح لنا بالابتعاد عن كلمات الكتاب المقدس في هذه القضايا لتكون مجرد مجاز أو "قضية إيمان" ابتدائية، فيليب يحاول هنا أن يسلينا بمستوى وعي عالٍ. الإنجيل وفقا لأمريكا - ديفد دارك.
*** دايم: عملة نقدية تساوي عشرة سنتات.

’هل ستعطينا "دايم" آخر؟‘ سأل أحد الولدين ’عندما نعود؟‘.
’نعم‘ أجاب السيد تاغومي ’لكن أخبراني الصدق‘.
تسابق الولدان على طول الممر.
إذا لم يجدا شيئا، فكّر، سيكون من الأفضل أن أذهب إلى مكان منعزل وأقتل نفسي. أمسك بحقيبته. ما زلت أملك المسدس ولن أواجه صعابا هناك.
اندفع الولدان عائدين ’ست‘ صاح أحدهما ’عددتُ ستًا‘.
’عددت خمسًا‘ قال الآخر لاهثا.
قال السيد تاغومي ’هل أنتما متأكدان بأن هناك عربات البيدي كاب؟ رأيتما السائقين يتجولون بوضوح؟‘.
’نعم سيدي‘ قال الولدان معا.
منح كل منهما "دايم". شكراه وركضا مبتعدين.
أعود إلى المكتب والوظيفة، فكّر السيد تاغومي. نهض على قدميه قابضا على يد حقيبته. الواجب ينادي. ويوم معتاد مجددا.
مشى نازلا فوق الممر مرة أخرى باتجاه الرصيف.
’كاب‘ نادى.
ظهرت البيدي كاب من بين الزحام، تباطأ السائق ليتوقف بمحاذاة الرصيف، بوجهه الأسمر الضامر المتلألئ، وصدره المنتفخ. ’نعم سيدي‘.
’خذني إلى بناية نيبون تايمز‘. أمر السيد تاغومي. وصعد إلى المقعد وأخذ راحته.
انطلقَ سائق البيدي كاب بنشاط وخرج من بين عربات البيدي كاب الأخريات والسيارات.

كان الوقت قبيل الظهيرة حين وصل السيد تاغومي إلى بناية نيبون تايمز. طلب في الردهة الرئيسة من موظف الاتصالات أن يوصله بالسيد رامزي في الطابق العلوي.
’تاغومي هنا‘ قال، عندما تمَّ الاتصال.
’صباح الخير سيدي. لقد ارتحت. لم أرك فاتصلت قلقا على البيت عند العاشرة صباحا لكن زوجتك أخبرتني بأنك غادرت في وقت غير معلوم‘.
قال السيد تاغومي ’هل نُظِّفت الفوضى؟‘.

’لم يتبقَ أثرٌ‘.
’متأكد؟‘.
’أمنحك كلمتي، سيدي‘.
أنهى السيد تاغومي الاتصال راضيا وذهب ليأخذ المصعد. في الطابق العلوي، سمح لنفسه أن يلقي نظرة في اللحظة التي دخل فيها مكتبه. أجال بصره. لا أثر، كما وعد. شعر بالارتياح. لا يمكن لامرئ أن يعرف شيئا لم يره. أُلصقت التاريخية بقرميدة النايلون في الأرضية...
قابل السيد رامزي في الداخل. ’شجاعتك موضوع يُشيد الجميع به في الأسفل داخل بناية التايمز‘. بدأ ’مقالة وصفت-‘ جعلته تعابير السيد تاغومي يقطع كلامه.
’أجب على المسائل المتعلقة بالصحافة‘. قال السيد تاغومي ’الجنرال تيديكي؟ ذاك الذي كان السيد ياتابي سابقا؟‘
’عاد برحلة طيران مجهولة بحذر إلى طوكيو. نثرت الرنجات الحمراء هنا وهناك*‘ شبك السيد رامزي أصابعه رامزًا إلى أملهم.
’حدثني رجاء عن السيد باينز‘.
’لا أعلم. ظهر أثناء غيابك لبرهة على نحو متملص لكنه لم يتحدث‘. تردد السيد رامزي ’ربما عاد إلى ألمانيا‘.
’الأفضل له العودة إلى جزر الأرخبيل‘ قال السيد تاغومي كأنه يحدث نفسه. في أي حال، فقد كان الجنرال المسن يعي السجية المهمة للاحتراز الذي يجب اتخاذه. الأمر الذي تجاوز استيعابي له، فكّر السيد تاغومي. أنا ومكتبي، لقد استخدمونا هنا، إذ كنا بطبيعة الحال جيدَين وملائمَين. لقد كنتُ- ماذا أعدُّ؟ غطاؤهم.
أنا قناع، أخبئ الحقيقة. أخفيها ورائي، وفي الواقع أستمرُّ في إبقائها بأمان عن الأعين المحدّقة.
غريب، فكّر، يكون العنصر الفعّال في بعض الأحيان مجرد واجهة من الورق المقوّى، مثل علبة ورقية. قليل من اليقظة هناك، لو أمكنني أن أحظى بها لاستطعنا سبر غور الغرض من الجدول الوهمي بالكامل. لكن كما في قانون الاقتصاد لا يضيع شيء. حتى لو كان غير حقيقي. أيُّ رفعةٍ كانت للعملية!

* الرنجة الحمراء: مغالطة منطقية لتشتيت الانتباه.

ظهرت الآنسة إيفريكيان، بأسلوبها المنفعل ’سيد تاغومي، أرسلني قسم الاتصالات‘.

’اهدأي يا آنسة‘. قال السيد تاغومي. يحثُّنا الوقت الجاري على الدوام، فكّر.

’سيدي، القنصل الألماني هنا. يريد أن يتحدث معك‘ رفعت نظرها منه إلى السيد رامزي وإلى الخلف، وشحب وجهها بصورة غير طبيعية. ’يقولون إنه كان في البناية منذ وقت مبكر، لكنّهم، أيضا، يعرفون بأنك-‘.

لوّح لها السيد تاغومي لتسكت ’سيد رامزي ذكّرني رجاءً باسم القنصل‘.

’السيد هوغو ريس، سيدي‘.

’تذكرته الآن‘. حسنًا، فكّر، في الأخير لقد أسدى إلي السيد تشيلدان معروفا بعد كل شيء برفضه استعادة المسدس.

غادر المكتب حاملا حقيبته ومشى باتجاه الممر.

وقف هناك جسدٌ معتدل، أبيض البشرة ومهندم جيدا، بقصة شعر قصيرة، وسترة جلدية أوربية سوداء لامعة من أكسفورد، وذو قوام منتصب، وبين أصابعه سيجارة عاجية مخنّثة. لا شكَّ بأنه هو.

’السيد هوغو ريس؟‘ قال السيد تاغومي.

انحنى الألماني.

’أصبح الأمر واقعا‘ قال السيد تاغومي ’أنا وأنت اللذان أجريا أعمالا لمرات في الماضي عبر البريد، والهاتف، وإلخ، لم نلتقِ قط حتى جاءت هذه اللحظة وجها لوجه‘.

’إنه لشرفٌ‘ قال السيد ريس متقدما تجاهه ’حتى لو نظرنا بعين الاعتبار إلى الظروف المقلقة بشكل مزعج‘.

’أنا متعجب‘ قال السيد تاغومي.

رفع الألماني أحد حاجبيه.

’اعذرني‘ قال السيد تاغومي ’معرفتي مضببة فيما يخص هذه الظروف المقصودة. هشاشة الجوهر الصلصالي، يمكن للواحد أن يستنتج‘.

’شنيع‘ قال السيد ريس وهزَّ رأسه ’عندما كنت-‘.

قال السيد تاغومي ’قبل أن تبدأ ابتهالك، دعني أتكلم‘.

’بالتأكيد‘.

’أطلقت النارَ شخصيا على رَجُلَيْكَ من جهاز الأمن‘. قال السيد تاغومي.

’استدعاني قسم شرطة سان فرانسيسكو‘ قال السيد ريس نافثا دخان سيجارته بطريقة مهينة حولهما ’لأربع ساعات كنت في أسفل مركز شرطة شارع كيرني- داخل المشرحة، وبعدها قرأت كل إفادات رجالك التي أعطوها لتحريّ شرطة التحقيق. قطعا، هذا الأمر مريع، من البداية إلى النهاية‘.
لم يقل السيد تاغومي شيئا.
’على أي حال‘ استمر السيد ريس ’الخلاف بخصوص القتلة هو إنَّ اتصالاتهم مع الرايخ لم يعترف به قانونيا. حسب ما أرى فالأمر برمته جنون، وأنا واثق من أنك تصرفت بالطريقة اللائقة بدون شك، سيد تاغوري‘.
’تاغومي‘.
’هاك يدي‘ قال القنصل ومدَّ يده ’دعنا نتصافح باتفاق رجال أعمال ونتجاوز المسألة. فهي لا تستحق، ولا سيما في هذه الأوقات العصيبة إذ أي إعلان غبي كفيل بأن يلهبَّ الجماهير
بما يضر بمصالح كلا وطنينا‘.
’يقع الذنب. مع. ذلك. على عاتق. روحي.‘ قال السيد تا.غومي. ’الدم، سيد ريس.، لا يمكن أن يمحى أبدا كالحبر‘.
بدا القنصل متحيرا.
’أنا أتوقُ إلى الغفران‘ قال السيد تاغومي ’وأنت لا يمكنك أن تمنحني إياه، ربما لا أحد يستطيع. أنوي أن أقرأ مذكرات مشهورة لغودمان سي. ماثير، قديس قديم من ماساتشوستس.. كتابات، أُخبرت أنها، تتناول موضوع الذنب ونار الجحيم وما شابه‘.
دخّن القنصل سيجارته بسرعة، وتطلّع باهتمام فاحصا السيد تاغومي.
’اسمح لي أن أُعلمك‘ قال السيد تاغومي ’بأن دولتك في حالة انحدار إلى وضاعة أعظم من ذي قبل. هل تعرف سداسية الهاوية*؟ أتحدث بشكل شخصي لا ممثل بيروقراطية اليابان،
أعلن: قلب ملتاعٌ بالرعب، حمام الدم القادم لا يضاهيه شيء. حتى لو كنت الآن تتضور جوعا إلى ربح ضئيل لذاتك أو هدف، تحتال على زمرة منافسة، جهاز الأمن، ها؟ في حين ألقيت السيد كروز فوم ميري في مأزق-‘ لم يستطع أن

* السداسية التاسعة والعشرون.

يستمر، أصبح صدره مقبوضا. مثل الطفولة، فكّر، الربو حين تغضب من السيدة المسنة. ’أنا أعاني‘ أخبر السيد ريس الذي أطفأ سيجارته ’من مرض ينمو طوال هذه السنوات لكنه دخل في طور خبيث في اليوم الذي سمعت -عاجزا- عن مجازفات قادتك الطائشة. على أي حال، احتمالية العلاج صفر. وأقول لك أيضا، سيدي. وبكلمات غودمان سي. ماثير إن تذكرتها بشكل صحيح: ’تُبْ‘.

قال القنصل الألماني ببحة ’تذكرتها‘ أوماً، وأشعل سيجارة جديدة بأصابعه المرتعشة.

ظهر السيد رامزي من مكتبه حاملا حزمة من الاستمارات والأوراق. وقال للسيد تاغومي الذي وقف بصمت محاولا التقاط نفسٍ مريح ’بما أنه هنا، فهناك مسائل يومية بحاجة ليؤديها وفقا لصلاحياته‘.

أخذ السيد تاغومي الاستمارات المقدمة إليه غريزيا. حدَّق إليها، استمارة رقم 50-20 طلبٌ من ممثلية الرايخ في ولايات المحيط الهادئ الأمريكية، والقنصل السيد هوغو ريس، بشأن الحبس الاحتياطي لجانٍ محبوس الآن في مركز شرطة سان فرانسيسكو. يهودي اسمه فرانك فينك، مواطن ألماني وفقا لقانون الرايخ، العائد إلى شهر حزيران لعام 1960. وهو في الحبس الوقائي تحت قانون الرايخ، إلخ. فحصها مرة أخرى.

’قلم، سيدي‘ قال السيد رامزي ’هذا يختتم الأعمال التجارية مع الحكومة الألمانية المحددة في هذا التاريخ‘. حدج القنصل بنظرة كراهية حين سلّم القلم إلى السيد تاغومي.

’لا‘ قال السيد تاغومي، وأعاد الاستمارة رقم 50-20 إلى السيد رامزي. ثم أعاد إمساكها وكتب بسرعة في الأسفل، يطلق سراحه، البعثة التجارية السامية، سلطات س. ف. عُوينت وفقا للبروتوكولات العسكرية لعام 1947. تاغومي. سلّم نسخة كربونية إلى القنصل الألماني، وأعطى الأخريات إلى السيد رامزي من بينها النسخة الأصلية.

’طاب يومك، سيد ريس‘ وانحنى.

انحنى القنصل الألماني أيضا. لم يكلف نفسه عناء النظر إلى الورقة.

’رجاء، لنجرِ الأعمال التجارية المستقبلية عبر الآلية الفورية كالبريد والتليفون والبرقية‘ قال السيد تاغومي ’لا شخصيا‘.

قال السيد ريس ’أنت تحملني مسؤوليةً لحالات عامة تفوق سلطتي‘

’هراء‘ قال السيد تاغومي ’أقولها بوضوح‘.
’هذا ليس بأسلوب يدير به الأفراد المتحضرون أعمالهم‘ قال القنصل ’أنت تجعل الأمر في كليته عنيفا وانتقاميا، في الوقت الذي يجب أن تكون مجرد رسميات بدون شخصنة‘. قذف سيجارته باتجاه أرضية الممر، واستدار مغادرا بخطوات عريضة.
’خذ سيجارتك القذرة والنتنة معك‘ قال السيد تاغومي بضعف لكن القنصل كان قد تجاوز الركن. ’سلوك طفولية‘ قال السيد تاغومي للسيد رامزي ’أنت شاهدٌ على تصرفه الطفولي الكريه‘. واتخذ طريقه بغير اتزان عائدا إلى مكتبه. لم يعد هناك أي نَفَسٍ، الآن. تدّفقَ ألمٌ نازلا في ذراعه الأيسر، وفي اللحظة نفسها فتح راحة يده على مداها وثبتها ضاغطا على أضلاعه. أوف، قال، لم يكن يرى سجادا قبالته، بل وابلا من شرار أحمر يرتفع.
ساعدني، سيد رامزي، قال. لكن بلا صوت. رجاءً. تقدّم، فتعثّر. لا يوجد أي شيء ليمسكه.
قبض أثناء سقوطه على الشيء المثلث الفضي في معطفه الذي حثَّه عليه السيد تشيلدان. لم تنقذني، فكّر، لم تساعدني، طوال مسعاي.
ارتطم جسده بالأرضية، ويداه وركبتاه، لاهثا، ويلامس السجّاد أنفه. أسرع السيد رامزي يمأمئ. حافظ على توازنك، فكّر السيد تاغومي.
’أصابتني نوبة قلبية هينة‘ تمكن السيد تاغومي من القول.
دخل بضعة أشخاص، الآن، ونقلوه إلى الأريكة.
’اهدأ سيدي‘ كان أحدهم يخاطبه.
’أعلموا زوجتي، رجاءً‘. قال السيد تاغومي.
سمع في الحال صوت ضجة سيارة الإسعاف تعلو من الشارع، إضافة إلى صخب كبير. يدخل أناسٌ ويخرجون. وضعوا بطانية فوقه إلى أسفل إبطيه. فكّوا ربطة عنقه، وفتحوا ياقته.
’أفضل الآن‘ قال السيد تاغومي. استلقى مرتاحا ولم يحاول أن يتحرك. انتهت مسيرتي المهنية بكل الأحوال، جزم هذا. سيرفع القنصل الألماني من دون شك الأمر إلى الجهات العليا، ويشتكي من سوء الأدب. وهو محق بشأن هذه الشكوى، ربما. على أي حال، أديت عملي بقدر ما أستطيع من جهتي. والباقي متروك لطوكيو والزُمر في ألمانيا. صراع يتجاوز قدراتي.

اعتقدتُ أنـها مجرد مواد بلاستيكية، فكّر. مندوب نماذج حقن رفيع المستوى. خمّن المستخار ومنحني الدليل، لكن-
'اخلعوا قميصه' أمرَ صوت. بلا شك صوت طبيب البناية. نبرة سلطوية عُليا؛ ابتسم السيد تاغومي. النبرة كل شيء.
هل يمكن لهذا أن يكون جوابا؟ تساءل السيد تاغومي. لغز الجسد الحي، ومعرفته الذاتية. زمن الخروج، أو ربما زمن الخروج الجزئي. غاية، لا بد أن أذعن لها.
ماذا كان آخر ما قاله المُستخار؟ عن سؤاله في المكتب حين كان الرجلان ما بين ميْت ومحتضر. الحادية والستون. الحقيقة الداخلية. الأسماك والخنازير أقلُّ ذكاء من بين الجميع؛ من الصعب إقناعها. إنه أنا. الكتاب يعنيني. لن أحظى بفهم كاملٍ أبدا؛ إنها طبيعة مخلوقات كهذه. أو إن ما يحدث لي الآن حقيقة داخلية؟
سأنتظر. سأرى. أيهما كانت.
ربما كلتيهما.

***

ذلك المساء، وبعد وجبة العشاء بقليل، أتى ضابط الشرطة إلى زنزانة فرانك فرينك، فتح الباب وأخبره أن يذهب ويلتقط ممتلكاته من المكتب.
وجد نفسه بعدها ببرهة في الخارج فوق الرصيف قبالة مركز شرطة شارع كيرني- واقفا وسط العديد من مارة على عجالة من أمرهم، والحافلات وتزمير السيارات وزعيق سائقي البيدي كاب. كان الهواء باردا. وظلال طويلة ممتدة أمام كل بناية. وقف فرانك لحظة قبل أن ينضم تلقائيا إلى مجموعة أناس قاطعة الشارع من منطقة العبور.
أُعتقلت بلا سبب حقيقي، فكّر. ولا هدف. وبعدها يطلقون سراحي بذات الطريقة. لم يخبروني أي شيء، أرجعوا إلي ببساطة كيس ملابسي، ومحفظتي، وساعتي، ونظارتي، ووثائقي الشخصية، واتجهوا نحو عملهم الآتي. ظهر عجوز مخمور في الشارع.
معجزة، فكّر، إنهم تركوني أذهب. حظ من نوع ما. وبموجب القانون كان يجب أن أُرَحَّل على متن طائرة باتجاه ألمانيا لكي أباد.

لا يزال غير قادر على تصديق كلا الأمرين، اعتقاله والآن هذا. غير حقيقي. تمشّى بالقرب من المحلات الموشكة على الإغلاق، وخاطيا فوق بقايا نفايات جلبتها الريح.
حياة جديدة، فكّر، مثل أن تولد من جديد. مثل الجحيم.
من يجب أن أشكر؟ أصلي، ربما؟
أصلي لأي شيء؟
أتمنى لو فهمت، قال لنفسه وهو يتحرك على طول الرصيف المزدحم مساءً إلى جانب لافتات النيون، ومداخل بارات غرانت آفنيو الصاخبة. أراد أن يفهم. يجب أن أفهم.
لكنه علمَ أنه لن يكون بمقدوره أبدا.
كن سعيدا فقط، فكّر، واستمرَّ في المضي.
انقشعت غمامة عن جزء يسير من عقله؛ قرر بعدها عُدْ إلى إد. عليَّ أن أجد طريق العودة إلى ورشة العمل، وأنزل هناك في القبو. أكمل ما تركته، صناعة المجوهرات، واستخدام يدي. أعمل ولا أفكر، ولا أتطلع أو أحاول أن أفهم. يجب أن أبقى مشغولا، يجب أن أنتج القطع.
حثَّ الخطى في المدينة المظلمة متجاوزا عمارة تلو عمارة، ومجتهدا لأجل العودة بأسرع وقت ممكن نحو المكان الصحيح والمناسب الذي كان فيه.
عندما وصل وجدَ إد مكارثي هناك يقعد فوق المصطبة يتناول عشاءه. لُفيفتان، وترمس شاي، وموزة، وبعض قطع الحلوى. وقف فرانك فرينك عند المدخل لاهثا.
سمعَ إد مكارثي في الأخير والتفت حوله وقال ’انتابني انطباع بأنك ميْت‘. مضغ الطعام وبلعَه بإيقاع، وأخذ قضمة أخرى.
كان لدى إد بالقرب من المصطبة مدفأة كهربائية صغيرة تعمل، خطى فرانك باتجاهها وربض أمامها يُدفئ يديه.
’سعيد بعودتك‘ قال إد، وخبط على ظهر فرانك خبطتين، ثم عاد إلى لفيفته. لم يقل شيئا أكثر، ولا صوت سوى أزيز مروحة المدفأة ومضغ إد.
ألقى فرانك معطفه على الكرسي، ثم جمع حفنة من قطع فضة نصف مكتملة وحملها نحو العجلة. ركّب عجلة التلميع الصوفية على المغزل، ثم شغّل المحرك

ووضع مستحضر الكشط على العجلة، ثم ارتدى قناعا لوقاية عينيه، وقعد على كرسي وبدأ بإزالة آثار النار من القطع، واحدة تلو أخرى.

15

سافر النقيب رودولف فيجينير تحت اسم كونراد غولتز، تاجر مستلزمات طبية بالجُملة، نظر عبر نافذة المركبة الصاروخية لوفتهانزا ميغ-إي. أوروبا في الأمام. ما أسرعها، فكّر. سوف نهبط في أرض مطار تمبلهوفر بعد قرابة سبع دقائق.

أتساءل ما الذي أنجزته، فكّر عندما شاهد أرض الوطن تبرز. الأمر متروك إلى الجنرال تيديكي الآن، وما بإمكانه فعله في جزر الأرخبيل. لكن في الأقل أوصلنا المعلومات إليهم. فعلنا ما باستطاعتنا.

فكّر، لا يُوجدُ سببٌ لأكونَ متفائلا، فمن المحتمل ألا يستطيع اليابانيون فعل شيء لتغيير مسار السياسة الألمانية الداخلية. حكومة غوبلز في السلطة، وربما ستصمد بعد تآزرها، وستلتفت مجددا نحو عملية الهندباء. وسيُدمر جزء رئيس آخر من الكوكب، بناسه، لأجل هدف مختل ومتعصب. افترض أن النازيين سيدمرون الكوكب بأكمله في الأخير؟ ويخلفونه هشيما محتضرا؟ بإمكانهم فعلها، يملكون القنبلة الهيدروجينية. وبلا شك سيفعلونها فهم يتطلعون بتفكيرهم نحو الغوترداميغن*. ربما يتوقون إليها بشدة، يسعون خلفها بحيوية، الهولوكست الأخير للبشرية.

وما الذي سيخلفه ذاك، جنون الحرب العالمية الثالثة؟ أسيضع نهاية لحياة الجميع، لكل أشكال الحياة، وفي كل مكان؟ عندما يصبح كوكبنا كوكبا ميتا، بصنع أيدينا؟

لم يستطع تصديق هذا. حتى لو دُمرت الحياة تماما على كوكبنا، لا بد من وجود حياة أخرى في مكان ما نجهله. من المستحيل أن يكون عالمنا هو العالم الوحيد، لا بد. أن يكون هناك عالما تلو آخر. لا يمكننا رؤيته، في. منطقة ما. أو بُعْدٍ ما. لا ندركه ببساطة.

حتى إن لم أستطع إثباته، حتى إن لم يبدُ منطقيا لكني أومن به، قال لنفسه.

قال مضيف الطيران عبر مكبر الصوت 'سيداتي وسادتي، انتباه من فضلكم'. لقد وصلنا لحظة الهبوط، قال النقيب فيجينير لنفسه. ستُقابلني بالتأكيد عناصر جهاز

* وفقا الميثولوجيا النوردية فالغوتردامیغن تشير إلى الحرب بين البشر والآلهة والتي تنتهي بحرق الحياة على الكوكب وغمر العالم بالماء وتجديد الحياة.

الأمن. والسؤال هو: أي فصيل سياسي سيمثلون؟ أتباع غوبلز؟ أو هيدريش؟ بافتراض أن قائد قوات الحماية هيدريش ما زال حيًّا. في الوقت الذي كنت فيه على ظهر هذه المركبة كان من الممكن أن يكون قد حُوِّطَ وقُتل. الأشياء تحدث بسرعة أثناء المرحلة الانتقالية داخل المجتمع الشمولي فلقد كانت في ألمانيا النازية قوائم اغتيال ممزقة بأسماء قرأها الرجال سلفا.
بعد بضع دقائق، عندما هبطت المركبة الصاروخية، ألفى نفسه على قدميه ماشيا باتجاه المخرج ومعطفه فوق ذراعه. يستدبره مسافرون قلقون ويتقدمونه. لا وجود للفنان النازي الشاب هذه المرة، فكّر. لا يوجد لوتزه ليضايقني في الأخير بوجهة نظره الغبية.

لاحظ فيجينير موظفي خطوط الطيران بزيهم الرسمي الأنيق -مثل مارشال الرايخ نفسه- يساعدون الجميع واحدا تلو عند النزول في مدرج الطائرة باتجاه ساحة المطار. وقف عند منطقة التجمّع فصيل صغير من مليشيات القمصان السوداء. لأجلي؟ بدأ فيجينير يمشي ببطء من موقف المركبة الصاروخية. أمامه في منطقة أخرى رجال ونساء يلوحون وينادون... حتى بعض الأطفال.
خطا باتزان أحد عناصر القمصان السوداء، بوجهه الأشقر المتجهم، وعينيه المحدقتين، يرتدي شارة وحدة حماية فافين نحو فيجينير، وطرق كعبي جزمتيه العسكريتين ببعضهما وأدى التحية.
’أستميحك عذرا. هل أنت النقيب رودولف فيجينير التابع للآبفير؟‘.
’معذرة‘ أجاب فيجينير ’أنا كونراد غولتز. ممثل شركة شيميكالين للمستلزمات الطبية‘. وبدأ مُضيّهِ. قدم باتجاهه عنصران آخران من وحدة حماية فافين، وأصبح الثلاثة بجانبه، وعلى الرغم من ذلك فقد حافظ على سرعة مشيه نحو وجهته. كان مذهولا تماما ورهن الحبس فعليا. كان اثنان من وحدة حماية فافين يحملان بنادق رشاشة تحت معاطفهم.
’أنت فيجينير‘ قال أحدهم حين دخلوا البناية.
لم يقل شيئا.

’لدينا سيارة‘ استمر رجل وحدة حماية فافين ’طُلب منا مقابلة مركبتك الصاروخية، والتواصل معك، وأخذك مباشرة إلى قائد قوات الحماية هيدريش،

الذي ينتظر برفقة سيب ديتريش* في مقر القيادة العليا لقوات الجيش شعبة الحماية الخاصة. وغير مسموح لك تحديدا الوصول إلى شخصيات من الجيش أو الحزب'.

إذن، لن أُقتل، قال فيجينير لنفسه. هيدريش على قيد الحياة وفي مكان آمن، ويحاول تقوية منصبه ضدا من حكومة غوبلز.

ربما ستسقط حكومة غوبلز بعد كل هذا، فكّر في اللحظة التي قِيد فيها نحو سيارة دايملر التابعة لعناصر قوات الحماية التي كانت في الانتظار. أُستبدلت حماية استراحة مقر الاستشارية بعناصر منفصلة من وحدة حماية فافين فجأة في المناوبة الليلية. نشرت مراكز شرطة برلين فجأة رجال جهاز الأمن في كل اتجاه، وأُوقف بث محطات المذياع والطاقة، وأُغلق مطار تمبلهوف، ولعلعة الأسلحة الثقيلة في الظلام طوال الشوارع الرئيسة.

لكن ما الخطب؟ حتى لو خُلع الدكتور غوبلز وأُلغيت عملية الهندباء؟ سيبقون موجودين، القمصان السوداء، والحزب، ومخططاتهم إن لم تكن في الشرق ستكون في مكان آخر، على المريخ أو الزهرة.

لا غرابة في أن السيد تاغومي لم يستطع الاستمرار، فكّر. المعضلة الرهيبة لحياتنا. أيا كان ما حدث، فهو شر لا يُضاهى. لماذا نكافح إذن؟ لماذا نختار؟ إن كانت كل البدائل متشابهة...

في الأخير نستمر كما نفعل دائما. من يوم إلى آخر. نعمل في اللحظة ضد عملية الهندباء. وبعدها، في لحظة أخرى، نعمل لهزيمة الشرطة. لكن لا يمكننا فعل كل شيء دفعة واحدة؛ إنها متسلسلة. عملية متكشّفة. بإمكاننا السيطرة على النهاية فحسب عبر اتخاذ خيار عند كل خطوة.

فكّر، بمقدورنا أن نأمل فقط، ونحاول.

في عالم آخر، من المحتمل أن الوضع مختلف. أفضل. هناك بدائل خيّرة وشريرة. لا هذا المزيج الغامض، هذا الخليط الذي لا توجد أداة ملائمة لفك مكوناته.

لا نملك عالما مثاليا كالذي نرغب فيه، حيث الأخلاقية سهلة لأن الوعي سهل. حيث بإمكان المرء أن يفعل الصواب بلا جهد لأن بإمكانه معرفة الواضحات.

---

*سياسي ألماني وقائد في الحقبة النازية (1892-1966).

اشتغلت سيارة الدايملر، النقيب فيجينير في الخلف، وعناصر القمصان السوداء في جانبيه، والبنادق في الحضن. وعنصر آخر خلف المقود.
اِفْترِضْ أن كل هذا تضليل حتى اللحظة، فكّر فيجينر عندما تحركت السيارة بأقصى سرعتها عبر طرق مرور برلين. لا يأخذونني باتجاه قائد قوات الحماية هيدريش في شعبة الحماية الخاصة في قيادة الجيش العليا بل باتجاه زنازين الحزب، هناك ليعذبونني ثم يقتلوني في الأخير. لكن هذا ما اخترته؛ اخترت العودة إلى ألمانيا؛ اخترت المخاطرة بإلقاء القبض علي قبل أن أستطيع التواصل مع رجال آبفير والحماية.
الموت في كل لحظة، السبيل الوحيد الذي يُتاح لنا في كل موضع. ونختاره في الأخير رغم أنوفنا. أو نفقد الأمل ونسلكه متعمدين. شاهدَ منازلَ برلين تمرُّ، شَعْبِي، فكّر، أنا وأنتم، اجتمعنا مجددا.
قال موجها حديثه إلى رجال قوات الحماية الثلاثة ’كيف تجري الأمور؟ هل هناك أي تطورات حديثة بخصوص الشأن السياسي؟ لقد كنت بعيدا عن الديار عدة أسابيع، قبل وفاة بورمان، في الواقع‘.
أجابه الرجل عن يمينه ’هناك بطبيعة الحال وفرة من الجماهير الهائجة تدعم الدكتور الضئيل، وهي نفسها من دفعته إلى المكتب. على أي حال، من المستبعد أن يطالب الأفراد المميزون عندما يسودون دعم العاجزين والدهماء الذين يَعتمدُ على تهييجهِم بأكاذيبه وكلماته الفاتنة‘.
’أفهم ذلك‘ قال فيجينير.
يستمر، فكّر، الكُره المميت. ربما البذور هناك، في ذلك. سيأكل بعضهم بعضا في النهاية، ويتركون من بقي منا هنا وهناك في هذا العالم- أحياءً. سيبقى الكفاية منا مرة أخرى للبناء والأمل وصنع بعض المشاريع اليسيرة.
***

وصلت جوليانا فرينك عند الساعة الواحدة بعد الظهر إلى تشيني وايومنغ. من القطاع التجاري في وسط المدينة عبرت محطة القطار القديمة والهائلة، ووقفت عند متجر سجائر واشترت صحيفتي ما بعد الظهيرة. ركنت السيارة عند الرصيف وواصلت البحث حتى وجدت الموضوع الذي تريده.

عطلة تنتهي بجرح مميت

ما زال البحث مستمرا عن أسباب الجرح المميت الذي سببته لزوجها في جناحهم الفاره داخل فندق بريزدنت غارنر في دنفر . غادرت السيدة جو تشيناديلا من كانون سيتي الفندق فورا –وفقا لموظف الفندق– بعد الذروة المأساوية لشجار زوجين . وجدت شفرات موسى في الغرفة ، ومن المفارقة أن هذه المستلزمات تقدمها إدارة الفندق للنزلاء لكونها وسائل الراحة ، ومن الواضح أن السيدة جو تشيناديلا استخدمتها –التي وُصفت بأنها سمراء ، وجذابة ، وأنيقة ، ورشيقة ، وفي الثلاثين من العمر– لقطع حنجرة زوجها ، الذي عثر على جثته ثيودور فيرز ، موظف الفندق الذي أخذ القمصان من تشيناديلا قبل نصف ساعة من إعادتها كما طُلب منه ، ليأتي ويشهد المنظر المروع فحسب .

أظهر جناحهم الفندقي –وفقا للشرطة– علامات شجار والتي قالت ربما أن جدالا عنيفا قد...

إذن، فهو ميت، فكّرت جوليانا عندما طوت الصحيفة. وليس هذا فحسب، فهم أيضا لا يعرفون اسمي الصحيح، لا يعرفون من أنا ولا أي شيء عني.

تحررت من قلق كبير الآن، وقادت حتى وجدت نُزلا مناسبا، وأجرت ترتيبات الغرفة هناك، حملت ممتلكاتها من السيارة. من الآن فصاعدا ليس عليَّ أن أستعجل، قالت لنفسها. بمقدوري أن أنتظر حتى المساء والذهاب إلى آل أبندسن، وبهذه الطريقة سأكون قادرة على ارتداء ثوبي الجديد. ليس من اللائق ارتداؤه نهارا- لا ترتدي ثوبا رسميا مثله قبل العشاء.

وبإمكاني أن أنهي قراء الكتاب. استرخت في غرفة النُزل، وشغلت المذياع، وحصلت على القهوة من مقهى الفندق، واستلقت مستندة على الفراش المرتب بعناية مع النسخة الجديدة والنظيفة غير المقروءة من الجندب، التي اشترتها من محل الكتب داخل الفندق في دنفر.

أنهت الكتاب عند السادسة والربع مساءً. أتساءل إن كان جو قد وصل إلى نهايته؟ تساءلت. يوجد بداخله أكثر بكثير مما فهمه. ما الذي أراد أبندسن قوله؟ لا شيء عن عالمه التخيلي. وهل أنا الوحيدة التي تعرف؟ سأراهن على ذلك، لا يوجد شخص آخر يفهم الجندب حقا سواي- إنهم يتخيلون ذلك فحسب.
ما زالت متقلقلة بعض الشيء، وضعت الكتاب في حقيبة سفرها وارتدت معطفها وغادرت غرفة النُزل باحثة عن مكان تتناول فيه العشاء. كانت رائحة الهواء طيبة، ولوحات الإعلان وأضواء مدينة تشيني تبدو متهيّجة على نحو خاص. وأمام حانة وقفت عاهرتان هنديتان جميلتان بأعين سوداء تتشاجران، فأبطأت سيرها لتشاهد. ترتقي الشوارع سيارات لامعة وتهبط، ولفَّ المشهد بأكمله هالة من الإشراق والترَّقب تتطلع نحو الأمام لحدث ما مهم وسعيد أكثر من الخلف... الخلف، فكّرت، البالي والكئيب، الذي أُستعِملَ ورُميَ بعيدا.
تناولت العشاء مستمتعة به في مطعم فرنسي باذخ، حيث يَركنُ رجل بمعطف أبيض سيارات الزبائن، وفوق كل طاولة شمعة مشتعلة وسط كأس خمر كبير، وتُقدم الزبدة في كاسات زجاجية مدورة بدلا من أن توضع بشكل مربعات.
عادت إلى النزل لوجود متسع من الوقت لقضائه. كانت أوراق مصرف الرايخ النقدية على وشك النفاد لكنها لم تكترث فليس للأمر أهمية. لقد أخبرنا عن عالمنا، فكّرت حين أدارت مقبض باب غرفتها في النُزل فاتحةً إياه. هذا، الذي يدور حولنا الآن. في الغرفة، شغلت الراديو مجددا. أرادنا أن نرى ماهيته. وأنا أرى، وأكثر في كل لحظة.
أخذت ثوبها الإيطالي الأزرق من علبته الورقية، ووضعته برفق شديد على السرير. لم يمسه أي ضرر، كل ما يحتاجه، في الغالب، أن يُفرش لإزالة الوبر. لكنها حين فتحت الرزم اكتشفت أنها نسيت أن تجلب أيا من حمالات الصدر النصفية من دنفر.
'اللعنة عليها' قالت وقعدت غارقة فوق الكرسي. أشعلت سيجارة ودخّنت لبرهة. ربما بإمكانها أن ترتديه بحمالة صدر عادية. خلعت بلوزتها وتنورتها وحاولت أن ترتديه لكن بدا شريطا حمالة الصدر وكذلك الجزء العلوي من غطائي النهد للحمالة، هذا غير لائق. أو ربما، فكّرت، بإمكاني أن ألبسه دون أي حمالة على الإطلاق... لقد مرّت سنوات طويلة منذ أن فعلت ذلك... يُذكرها الأمر بأيامها القديمة في المدرسة الثانوية حين كانت تملك نهودا صغيرة، ولم تقلق بشأنها، لكن

الآن قد نضجن كثيرا، وحددت مقاسهما في الجودو على حجم ثمانية وثلاثين. على أي حال، ارتدته من دون حمالة صدر، ووقفت على الكرسي في الحمام لتنظر إلى نفسها عبر مرآة خزانة الأدوية.
بدا الثوب نفسه بصورة مثيرة، لكن ارتداءه مجازفة خَطِرة. كل ما كان عليها أن تفعله أن تنحني لتطفئ سيجارة أو تلتقط شرابها- وتقع الكارثة!
دبوس! بإمكانها أن ترتدي الثوب بدون حمالة صدر وتجمع مقدمته. أفرغت محتويات علبة مجوهراتها على السرير، واستخرجت دبابيس أثرية حظيت بها منذ سنوات خلت، من فرانك أو رجال آخرين قبل زواجهما، والدبابيس الجديدة التي منحها إياها جو في دنفر. نعم، دبوس فضي ذو شكل حصان من المكسيك قد يجدي نفعا، وجدت الموضع المضبوط، لذا فبإمكانها ارتداء الثوب أخيرا.
سعيدة لأني أنجزت أي شيء الآن، قالت لنفسها. جرت الكثير من الأمور بشكل خاطئ وتبقى القليل على أي حال من الخطط الرائعة. صففت شعرها بشكل شامل لذا فقد شقشقَ وأشرقَ، والأمر المتبقي هو اختيار الحذاء المناسب وأقراط الأذن. ارتدت معطفها الجديد بعد ذلك، وأخذت حقيبتها الجلدية الجديدة اليدوية الصنع، وخرجت.
طلبت من مالك النُزل أن يتصل على سيارة أجرة لأجلها بدلا من قيادة سيارة الستيدي بيكر القديمة. خطرت ببالها فجأة فكرة الاتصال بفرانك حين كان تنتظر سيارة الأجرة في مكتب النُزل. لماذا خطرت ببالها الآن لم تستطع أن تفهم، لكن الفكرة كانت موجودة. لمَ لا؟ سألت نفسها. بمقدورها أن تدخر رسوم الاتصال، سيكون تواقا ليسمع شيئا منها وسعيدا ليدفع.
وقفت خلف منضدة المكتب، ثم رفعت سماعة الهاتف نحو أذنها، وأنصتت مستمتعة لمشغلي الاتصالات على بعد مسافات طويلة يتحدثون ذهابا وإيابا محاولين إتمام الاتصال من أجلها. كان بمقدورها الاستماع إلى موظف هاتف سان فرانسيسكو، البعيد جدا، يحصل على معلومات من سجل فرانسيسكو عن الرقم، وطنَّت في أذنها أصوات طقطقة وخشخشة عديدة، وفي الختام ضجة الرنين نفسها. كانت تراقب قدوم سيارة الأجرة وهي تنتظر، من المفترض أن يصل بأي وقت، فكّرت. لكن لن يمانع عن الانتظار؛ يتوقعون هذا.
’من تطلبينه لا يجيب‘ قال موظف اتصالات مدينة تشيني لها في الأخير. ’سنكرر الاتصال مرة أخرى لاحقا-‘.

’لا‘ قالت جوليانا هازة رأسها. لم تكن سوى نزوة على أي حال. ’لن أكون هنا، شكرا لك‘. أنهت الاتصال -كان مالك النُزل واقفا ليتأكد أن أي رسوم لن تسجل بالخطأ عليه-، وخرجت على عجالة من المكتب باتجاه البرد، والرصيف المظلم، حيث وقفت تنتظر.
ظهرت سيارة أجرة جديدة تلمع من طريق المرور وارتقت الرصيف ثم توقفت؛ فتح السائق الباب وقفز خارجا ليستدير على عجالة لفتح الباب لها. لحظة بعدها، كانت جولينا في طريقها، تركب في المقعد الخلفي لسيارة أجرة فاخرة عابرة تشيني نحو آل أبندسن.

كان منزل آل أبندسن منيرا واستطاعت سماع موسيقى وأصوات. منزل ستوكو ذو طابق واحد تلفه الشجيرات، وأزهار متسلقة في حديقة مُعتنى بها بشكل جيد. فكّرت عندما بدأت تمشي فوق الممر المرصوف بالحجارة، هل بمقدوري حقا أن أكون هناك؟ هل هذا هو المعقل العالي؟ الذي دارت حوله الشائعات والقصص؟ كان المنزل عاديا، ومحافظا عليه بإتقان، وذا ممرات تقود إليه. حتى إن هناك دراجة طفل ثلاثية العجلات مركونة في درب إسمنتي طويل خاص.
هل يعقل أنها أخطأت عنوان أبندسن؟ حصلت على العنوان من سجل هاتف تشيني، لكنه مطابقٌ للرقم الذي اتصلت عليه البارحة من غيرلي.
خطت صاعدة المدخل المُسَقَّف بمَحجِره ذي الحديد المطاوع وضغطت على الجرس الكهربائي. استطاعت أن تلمح من الباب نصف المفتوح غرفة الجلوس، وعددا من الأشخاص الواقفين داخل المنزل، والستائرَ الفينيسية على النوافذ، وآلة بيانو، وموقد نار، وخزانة كتب... مؤثث بصورة جميلة، فكّرت، يقيمون حفلة؟ لكن ملابسهم غير رسمية.
فتح الباب على مصراعيه فتًى أشعث، في الثالثة عشرة تقريبا، يرتدي تي شيرت وبنطال جينز.
’نعم؟‘.
قالت ’هل- هذا منزل أبندسن؟ هل هو مشغول؟‘.
هتف الفتى متحدثا مع شخص خلفه في المنزل ’ماما، إنها تريد رؤية بابا؟‘.

ظهرت بجانب الفتى امرأة ذات شعر أحمر-بني، من المحتمل أنها في الخامسة والثلاثين، بعينين رماديتين محدقتين وقويتين، وابتسامة متزمتة قاسية وعرفت جوليانا أنها تواجه كارولين أبندسن.
’اتصلت بك البارحة‘ قالت جوليانا.
’أوه، نعم، بالطبع‘ اتسعت ابتسامتها. امتلكت أسنانا بيضاء مثالية متناسقة؛ أيرلندية، جزمت جوليانا. الدم الأيرلندي وحده يمكنه أن يمنحها فكا سفليا بهذه الأنوثة.
’دعيني آخذ حقيبتك ومعطفك. إنه وقت مناسب جدا لك فهناك قلة من الأصدقاء. يا له من ثوب رائع!... إنه من أزياء تشيروبيني، أليس كذلك؟‘.
قادت جوليانا عابرة غرفة الجلوس إلى غرفة النوم حيث وضعت جوليانا أشياءها مع أغراض الآخرين فوق السرير. ’زوجي في مكان ما هناك. ابحثي عن رجل طويل يرتدي نظارات، ويحتسي شراب أولد-فاشند‘. تدّفق الضوء الألمعي من عينيها إلى عيني جوليانا؛ ارتعشت شفتاها- ثمة تفاهم فيما بيننا، أدركت جوليانا. أليس هذا مدهشا؟
’لقد قُدتُ في طريق طويل‘ قالت جوليانا.
’نعم، هو كذلك. أراه الآن‘ قادتها كارولين أبندسن عائدة نحو غرفة الجلوس، باتجاه
مجموعة رجال.
’عزيزي‘ نادت ’تعال إلى هنا. هذه واحدة من قرّائك، متلهفة جدا لتقول لك بعض الكلمات‘.
تحرك رجل من المجموعة، انفصل عنها وقَدم حاملا شرابه.
رأت جولينا رجلا طويلا جدا بشعر أسود مجعد، وبشرة داكنة أيضا، وبدت عيناه من خلف النظارات ذات لون أرجواني أو بني هادئ جدا، ومرتديا سترة مخيّطة يدويا من ألياف طبيعية غالية، ربما من الصوف الإنجليزي، ومضبوطة على مقاس كتفه العريض القوي بدون أدنى مسافة زائدة. لم ترَ طوال حياتها قط سترة متقنة القياس مثلها، وألفت نفسها تحدق إليها بافتتان.
قالت كارولين ’قادت السيدة فرانك كل الطريق قادمة من كانون سيتي، كولورادو، فقط لتحدثك عن الجندب‘.
’اعتقدت أنك تعيش في حصن‘. قالت جوليانا.

انحى هاوثورن أبندسن ليتأملها لها وابتسم ابتسامةً خاطفة. ’نعم، لقد كنا، لكن كان علينا أن نصل إليه عبر المصعد وتفاقمت عندي فوبيا. كنت أبدو مخمورا جدا عندما تصيبني الفوبيا لكن فور تذكري لها، ويخبروني بها، فإني أرفض الوقوف بداخله لأني أقول بأن سلك المصعد يُسحب من قبل عيسى المسيح، وكنا سنبقى واقفين طوال الصعود. وقطعت أمري حازما بألا أقف‘.

لم تفهم جوليانا.

وضّحت كارولين ’قال هاوث ما دام أني عرفتُ المسيح سأقعد حين أراه أخيرا، وألا يقف أبدا‘.

الترنيمة*، تذكرت جوليانا ’لذا فقد تركت المعقل العالي وانتقلتَ عائدا إلى البلدة‘ قالت.

’أود أن أقدم لك شرابا‘. قال هاوثورن.

’حسنًا‘ قالت ثم أضافت ’لكن ليس شراب أولد-فاشند‘ كانت قد لمحت البوفيه سلفا فوقه قناني الويسكي، والمقبلات، والأقداح، وقطع الثلج، والخلاط، والكرز، وشرائح البرتقال. مشت باتجاهه، وصحبها أبندسن. ’فقط شراب آي. دبيلو. هاربر فوق الثلج‘ قالت ’أستمتعُ باحتسائه دائما. هل تعرف المُستخار؟‘.

*** ترنيمة الملائكة تقعد: يحكي الجزء الأول من الترنيمة بأن أثناء صعود المسيح واستعداد الملائكة لاستقباله فإن الرب أمر الملائكة أن يقعدوا، وهذا مقطع من الترنيمة:**

ما أحزنه من وقت في السماوات
يتجمع الملائكة حول العرش
لا يمكنهم الوقوف لرؤية عيسى يموت وحيدا
رؤية الدم المسفوح يكسر قلوبهم
تأهبَّ الملائكة للتحليق لكن الرب التفت وقال
اقعدوا يا ملائكة
فلن يهمَّ بالدعاء
إنه يحفظ العالم من الخطيئة لأجلهم جميعا
أعلم أن بمقدوركم إنقاذه
لكنه ليس بحاجة لمساعدة أحد
اقعدوا يا ملائكة ودَعوه يحرر الأسرى

’لا‘ قال هاوثورن وقد صبَّ الشراب لأجلها.
قالت مندهشة ’"كتاب التغييرات"؟‘.
’لا أعرفه. لا‘. كرر، وناولها شرابها.
قالت كارولين أبندسن ’لا تمزح معها‘.
’لقد قرأت كتابك‘ قالت جوليانا ’في الحقيقة، لقد أنهيته هذا المساء. كيف استطعت معرفة كل هذا، فيما يخص العالم الآخر الذي كتبت عنه؟‘.
لم ينبس هاوثورن ببنت شفة، وحك بمفصل إصبعه شفته العليا، ومتجاوزا بنظره إياها ومقطبًا الوجه.
’هل استخدمت كتاب المُستخار؟‘ سألت جوليانا.
حدق هاوثورن إليها.
’لا أريدك أن تمزح أو تقول طرفة‘ قالت جوليانا ’أخبرني بدون أن تتذاكى بفعل شيء‘.
عضَّ شفته، ونظر هاوثورن إلى الأرضية؛ وضم ذراعيه مطوّقا نفسه، وتأرجح على كعبيه إلى الأمام والخلف. أصبح الآخرون القريبون في الغرفة صامتين، ولاحظت جوليانا أن أسلوبهم قد تغيَّر. لم يعودوا سعداءَ الآن، بسبب ما تفوهت به. لكن لم تحاول أن تتراجع أو تنكره ولم تتظاهر. كان أمرا فائقَ الأهمية، ولقد أتت من مكان بعيد جدا وفعلت الكثير جدا على أن لا تقبل أي شيء أقل من الحقيقة منه.
’إنه- سؤال عسير عن الإجابة‘ قال أبندسن أخيرا.
’لا إنه ليس كذلك‘. ردّت جوليانا.
أصبح كل شخص في الغرفة صامتا الآن، كان الجميع يراقب جوليانا واقفة برفقة كارولين وهاوثورن أبندسن.
’متأسف‘ قال أبندسن ’لا يمكنني الإجابة حاليا. عليك تقبل هذا‘.
’إذن لمَ كتبت الكتاب؟‘ سألت جوليانا.
قال أبندسن لاهيا بكأس شرابه ’ما هذا الدبوس في ثوبك؟ يدرأ عنك (أرواح- أنيمة) العالم الثابت غير المتغير الخَطِرة؟ أم إنه يجمع كل شيء مع بعض؟‘.
’لماذا تغيّر الموضوع؟‘ قالت جوليانا. ’متهربا مما سألتُ، وتَذكرُ ملاحظة بلا أهمية مثل هذه؟ إنها صبيانية‘.

قال هاوثورن أبندسن ’يملك كل شخص- أسراره التقنية. لديك أسرارك ولدي أسراري. عليك أن تقرأي كتابي وتتقبلي قيمته الظاهرة، كما أتقبل ما أراه-‘ وأشار إليها مجددا حاملا كأسه ’من دون الاستعلام فيما إذا كان ذا حقيقة أصيلة بين طياته، أو كُتب بواسطة الأسلاك والسطور الموسيقية وتنجيد المطاط الإسفنجي. أليس هذا جزءا من الثقة في طبيعة الناس والذي ترينه في العموم؟‘ لقد بدا، فكّرت، منفعلا وغاضبا الآن، لم يعد مؤدبا ولا مضيافا أكثر. وكارولين، لاحظتها من طرف عينها، بدا عليها تعبيرُ توترٍ ساخط، زمّت شفتيها معا وتوقفت عن الابتسام بالكامل.

’في كتابك‘ قالت جوليانا ’أبديت بأن هناك مخرجا. أليس هذا ما قصدته؟‘.

’مخرجا‘ كرر بسخرية.

قالت جوليانا ’لقد قمت بالكثير لأجلي، ويمكنني الآن الإدراك بعدم وجود أي شيء أخاف منه، أو أريده، أو أكرهه، أو أتجنبه، هنا، أو أهرب منه أو أسعى خلفه‘.

نظرا إليها محركا نظارته، ودارسا إياها ’هناك شيء عظيم في هذا العالم يستحق الجهد، في رأيي‘.

’أفهم ما الذي يدور في ذهنك‘ قالت جوليانا. كان ذاك التعبير على وجه الرجل مألوفا لها منذ زمن طويل، لكنها لم تتضايق لرؤيته هنا. ولم تشعر به منذ مدة طويلة كما شعرت به ذات مرة. ’ينص ملف غيستابو بأنك تنجذب لمثيلاتي من النساء‘.

قال أبندسن مع تغيّر طفيف جدا في تعبير وجه ’لم يعد ثمة غيستابو منذ عام 1947‘.

’جهاز الأمن النازي، أو أيا ما كان‘.

’هلا وضحتِ؟‘ قالت كارولين بصوت نَشِط.

’أود هذا‘ قالت جولينا ’لقد قُدت إلى دنفر برفقة أحدهم. سيظهرون هنا في نهاية الأمر. يجب أن تذهب إلى مكان لا يستطيعون إيجادك فيه، بدلا من المكوث في منزل مفتوح كهذا هنا، تاركا أي شخص يدخل كما فعلت. الشخص التالي الذي سيقود إلى هنا- لن يجد شخصا مثلي يوقفه‘.

’تقولين "الشخص التالي"‘ قال أبندسن بعد وهلة صمت ’ماذا حدث للشخص الذي قدمتِ معه إلى دنفر؟ لماذا لم يأتِ إلى هنا؟‘.

قالت ’لقد شرطتُ حنجرته‘.
’شيء لا يصدق بتاتا‘ قال هاوثورن ’أن تخبرك فتاة بذلك، فتاة لم ترها قط سابقا في حياتك‘.
’ألا تصدقني؟‘.
أومأ ’بلى‘ ابتسم لها ابتسامة خجولة، ولطيفة، بطريقة بائسة. من الجلي أنه لم يتبادر إلى ذهنه ألا يصدقها. ’شكرا‘ قال.
’أرجوك اختبئ منهم‘ قالت.
’حسنا‘ قال ’لقد حاولنا ذلك كما تعلمين. كما قرأتِ في غلاف الكتاب... حول كل الأسلحة والأسلاك الشائكة المشحونة. لقد كتبناها لتُظهر بأننا ما زلنا نأخذ احتياطاتنا‘. كان صوته سئما وذا نبرة جافة.
’بإمكانك أن تحمل سلاحا في الأقل‘ قالت زوجته ’أعلم أنه سيأتي يوم تدعو فيه شخصا إلى الداخل لتحاوره فيرديكَ قتيلا، محترف نازي يطرحك أرضا، وستبقى تتفلسف كما تفعل الآن. أرى هذا‘.
’بإمكانهم فعلها‘ قال هاوثورن ’إذا أرادوا ذلك. سواء أكان أسلاك شائكة ومعقل عالٍ أو لا‘.
أنت جبري جدا، فكّرت جوليانا. مُتقبِّلٌ لنهايتك. هل تعلم ذلك أيضا، الطريقة التي عرفتَ بها العالم في كتابك؟
قالت جوليانا ’المُستخار من كتب كتابك، ألم يفعلها؟‘.
قال هاوثورن ’هل تريدين الحقيقة؟‘.
’أريدها ولي حقٌّ معرفتها‘ أجابت ’لأجل كل ما فعلته. أليس كذلك؟ تعلم أنه كذلك‘.
’المستخار‘ قال هاوثورن ’كان مستغرِقا في النوم أثناء كتابة كل الكتاب، نائما في زاوية المكتب‘. لم تُبدِ عيناه أي بهجة، وبدأ وجهه أطولَ، وكئيبا أكثر مما مضى.
’أخبرها‘ قالت كارولين ’إنها محقة، لها الحقُّ لتعرف، بحق كل ما فعلَتْه لأجلكَ‘.
وقالت لجوليانا ’سأخبرك إذن سيدة فرينك. اتخذ هاوث خيارته واحدا تلو الآخر. آلاف الخيارات. وفق ما تعنيه الخطوط. الحقب التاريخية. الموضوع. الشخصيات. الحبكة. استغرق الأمر سنينا. حتى إن هاوث سأل المستخار أي نوع من النجاح سيحققه فأخبره بأنه سيكون نجاح عظيم جدا، النجاح الحقيقي

الأول في مسيرته. لذا فأنتِ على صواب. لا بد أنك شخصيا تستخدمين المستخار كثيرا لذا عرفتِ'.
قالت جوليانا 'أتساءل لماذا سيكتب المستخار رواية. هل سبق لك وفكرت بسؤاله هذا؟ ولماذا رواية عن خسارة الألمان واليابانيين الحرب؟ ولماذا هذه القصة بالتحديد لا غيرها؟ ما الشيء الذي لا يمكنه إخبارنا إياه مباشرة، كما فعل دائما من قبل؟ بالتأكيد إن هذا مختلف ألا تعتقد هذا؟'.
لم يجب هاوثورن ولا زوجته.
'هو وأنا' قال هاوثورن في الأخير 'وصلنا إلى اتفاق منذ زمن بعيد فيما يتعلق بالحقوق. إذا سألته لماذا كتبَ الجندب، فإني سأنهي دوري الذي أشاركه به. فالسؤال يوحي بأني لم أقم بشيء عدا الطباعة، وهذا ليس بحقيقي ولا بلائق'.
'سأسأله' قالت كارولين 'إن لم تفعلها'.
'ليس سؤالك لتسأليه' قال هاوثورن 'لندعها تسأله'.

وقال لجوليانا 'تملكين عقلية غير طبيعية، هل تعِينَها؟'.
قالت جوليانا 'أين نسختك؟ نسختي في سيارتي، هناك في النُزل. سأجلبها إن لم تسمح لي باستخدام نسختك'.
اتجه هاوثورن مغادرا. تبعته رفقة كارولين عبر غرفة الحضور باتجاه الباب المغلق. وتركهما عند الباب. عندما انضم لهم مجددا، رأى الجميع مجلدين متشابهين بغلاف أسود.
'لا أستخدم الأعواد الخشبية' قال لجوليانا 'لا أستطيع أن أمسكها بيدي؛ تتساقط منها'.
قعدت جوليانا فوق منضدة القهوة في الزاوية 'أريد ورقة لأكتب عليها وقلم رصاص'.
جلب لها أحد الضيوف ورقة وقلم رصاص. وتحلّق الناس في الغرفة حولها وآل أبندسن منصتين ومراقبين.
'بإمكانك طرح سؤالك بصوتٍ عالٍ' قال هاوثورن 'لا نملك أسرارا هنا'.
قالت جوليانا 'أيها المستخار، لماذا كتبت كتاب الجندب يستلقي ثقيلا؟ ما المفترض علينا أن نتعلُمه؟'.

’تصيغين سؤالك بأسلوب مؤمن بخرافاتٍ مضطرب‘. قال هاوثورن. لكنّه قعد القرفصاء ليشهد عملية رمي العملات المعدنية. ’انطلقي‘ قال وسلّمها ثلاث عُملات صينية نحاسية ذات ثقوب من المركز ’أستخدمها في العادة‘.

بدأت ترمي العملات النقدية، شعرت بالهدوء وبنفسها كثيرا جدا. كتب هاوثورن الخطوط لها. عندما رمت العملات ستَّ مرات، حدقت إلى الأسفل وقالت:

’شمس في القمة، توي Tui في القاع، فراغ في المركز‘.

’هل تعلم أي سداسية هذه؟‘ قالت ’بدون أن تستخدم الجدول؟‘.

’نعم‘ أجاب هاوثورن.

’إنها تشونغ فو Chung fu‘ قالت جوليانا ’الحقيقة الداخلية. أعرفها دون الرجوع إلى الجدول أيضا. وأعرف ماذا تعني‘.

رفع رأسه وحدّق إليها. علا وجهه تعبير همجي الآن ’هل هذا يعني أن كتابي صادقٌ؟‘

’نعم‘ قالت.

قال بغضب ’خسرت ألمانيا واليابان الحرب؟‘.

’نعم‘.

أغلق هاوثورن المجلدين بعدها ونهض على قدميه ولم يقل شيئا.

’حتى لم تواجه الحقيقة‘ قالت جوليانا.

أطرق مفكرا لبعض الوقت، وأصبحت نظرته فارغة، رأت جوليانا هذا. اتجهَ نحو الداخل، أدركتْ. مشغول بنفسه... وعاد الصفاء إلى عينيه مجددا، نخرَ، وبدأ يتحدث.

’لست متأكدا من أي شيء‘ قال.

’صدِّق‘ قالت جوليانا.

هزَّ رأسه نافيا.

’ألا يمكنك؟‘ قالت ’هل أنت متأكد؟‘.

قال هاوثورن أبندسن ’هل ترغبين أن أوقع لك نسخة من الجندب؟‘.

نهضت على قدميها أيضا ’أعتقد أني سأذهب‘ قالت ’شكرا جزيلا. آسفة إن كنت أزعجتُ أمسيَّتك. كان لطف منك أن سمحتَ لي بالدخول‘ مشت متجاوزة إياه وكارولين، وشقّت طريقها وسط حلقة الحضور، ومن غرفة الجلوس نحو غرفة النوم حيث كان معطفها وحقيبة يدها‘.

ظهر هاوثورن خلفها في اللحظة التي ارتدت معطفها ’هل تعرفين ما ماهيتك؟ والتفت إلى كارولين الواقفة بجانبه ’هذه الفتاة شيطان. روح صغيرة من العالم الآخر-‘ رفع يده وحكَّ حاجبه وأزاح نظارته جزئيا عن موضعها ليحكَّ ’تطوف بلا كلل فوق وجه البسيطة‘. وأعاد نظارته إلى موضعها. ’تفعل ما هو غريزي فيها، تعبر ببساطة عن كينونتها. لم تك تقصد أن تظهر هنا أو تسيء، حدث لها ببساطة، كتقلّب الجو الذي يحدث لنا بالضبط. سعيد بقدومها. ولست نادما على كشفها هذا، وإزالتها الحجاب عن الكتاب. لم تكُ تعلم ما الذي سيحدث هنا أو الذي ستكتشفه. أعتقد بأننا جميعا محظوظون. لذا فما من داعٍ للغضب بشأن هذا، موافقون؟‘.

قالت كارولين ’مخرِّبة فظيعة، فظيعة‘.

’وهكذا هي الحقيقة‘ قال هاوثورن، ومدَّ يده لجوليانا.

’شكرا لك لما فعلته في دنفر‘ قال.

صافحته.

’ليلة سعيدة‘ قالت ’افعل كما تقول زوجتك. احمل سلاح جيب، في الأقل‘.

’لا‘ قال ’قررتُ ذلك منذ زمن طويل، ولن أدعه يعكر صفو مزاجي. بإمكاني أن أعتمدَ على كتاب المستخار الآن ولاحقا، إن حان أجلي، وفي آخر الليل بالتحديد فلن يكون سيئا في وضع مثل هذا‘ ابتسم برهة ’في الحقيقة، الشيء الوحيد الذي يزعجني كثيرا هو علمي بكلِّ أولئك المتسكعين الواقفين في المنزل يستمعون ويأخذون كل شيء، ويحتسون كل الخمور في المنزل في الوقت الذي نتحدث فيه‘. استدار وخطا مبتعدا، عائدا إلى البوفيه لإيجاد ثلج من أجل شرابه.

’إلى أين ستذهبين الآن بعد الذي أنهيته هنا؟‘ قالت كارولين.

’لا أعلم‘ لم تشغلها هذه المسألة، لا بد أن أكون مثله قليلا، فكّرت، لن أدع الأشياء المؤكدة تقلقني بغض عن مدى أهميتها.

’ربما سأعود إلى زوجي فرانك. حاولت أن أتصل به الليلة، قد أتصل به مجددا. سأرى كيف ستكون مشاعري لاحقا‘.

’على الرغم من كل ما فعلته لأجلنا، أو ما قلتِ إنك فعلته-‘.

’تتمنين لو أني لم آتِ قط إلى هذا المنزل‘ قالت جوليانا.

’إن كنت أنقذتِ حياة هاوثورن فإنه لأمر عظيم لي، لكني منزعجة جدا، لا يمكنني تصديق كل هذا، ما قُلتِه وما قاله هاوثورن‘.

’ما أغربَ هذا‘ قالت جوليانا ’لم أكن لأفكر أبدا بأن الحقيقة ستُغضبك‘. الحقيقة، فكّرت، رهيبة كالموت لكن بالكاد نجدها. أنا محظوظة. ’اعتقدت بأنك ستكونين مبتهجة ومتحمسة مثلي. إنه محض سوء فهم، أليس كذلك؟‘ ابتسمت، وبعد برهة تمكنت السيدة أبندسن أن تبادلها الابتسامة. ’حسنا، ليلة سعيدة على أي حال‘.

كانت جوليانا بعد لحظة تتبع خطواتها فوق الممر المرصوف بالحجارة، نحو بقع الضوء الآتية من غرفة الجلوس وبعدها باتجاه الظلال من وراء حديقة المنزل، قاصدة الرصيف المظلم.

مشت من دون أن تنظر مجددا باتجاه منزل أبندسن، وكانت تبحث في الشوارع بعناية عن سيارة أجرة أو سيارة، متحركة ومشرقة وتنبض بالحياة، لتُقلَّها عائدة إلى النُزل.

***

الرجل في المَعقِل العالي.

تعرض هذه الرواية- من روايات التاريخ البديل والخيال العلمي- حقيقة مغايرة عما عرفناها، إذ تدور أحداثها في عام 1962، بعد هزيمة الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، وسيطرة النازيين واليابانيين على معظم العالم، ليبدأ عصر جديد من الديستوبيا والتطور العلمي وغزو الفضاء. ما بين شخصيات متعددة تتوزع أحداث الرواية بصورة شبه متساوية لتؤدي دورها على حدة تارة ومع بعضٍ في أخرى. بسرد راوٍ عليم ومستعينا بشخصياته أحيانا، يقدم فيليب ديك عملًا روائيا ذا طابع سينمائي في جو من الطاوية والتشويق والمؤامرات والمفاجآت. المترجم.

وُلِد فيليب في شيكاغو عام 1928، وقضى معظم حياته في كاليفورنيا. قصد لمدة وجيزة جامعة كاليفورنيا في بيركيلي عام 1947. يعد فيليب واحدا من أكثر روائيي الخيال العلمي غرابة وأسيلهم إنتاجًا، ومزجت أعماله الفكر الفلسفي بعناصر سوريالية. فازت روايته "الرجل في المعقل العالي" بجائزة هوغو لأفضل رواية خيال علمي لعام 1963. إريك براون.